من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

الخروج

القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: سفر الخروج.

المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

الطبعة:

الناشر: كنيسة الشهيد مارجرجس بسبورتنج.

المطبعة:

رقم الإيداع:

تقديم

بدأ الكتاب المقدس أسفاره بالتكوين، حيث أعلن بدء الخليقة وبدء الحياة البشرية في أحضان الله محب البشر، لكن سرعان ما سقط الإنسان تحت العصيان فخرج من الفردوس يحمل في نفسه فراغًا ليس من يملأه، وفي قلبه موتًا أبديًا ليس من يقدر أن يفلت منه.

لم يقف الله مكتوف الأيدي أمام محبوبه الإنسان، فإن كان الإنسان قد خرج معطيًا لله القفا لا الوجه، التزم الله في حبه أن يخرج إليه ليخلصه ويرده إلى أحضانه الإلهية مرة أخرى. وهكذا جاء سفر الخروج يعلن بطريقة رمزية عن خلاص الله المجاني، فقدم لنا خروج الشعب القديم من أرض العبودية بيد الله القوية منطلقًا نحو حرية مجد أولاد الله. وكأن هذا السفر وهو يقدم لنا حقائق تاريخية واقعية لم يقصد أن يسجل الأحداث لأجل ذاتها، فهو ليس سجلاً تاريخيًا، وإنما أراد أن ندخل إلى الأعماق لنكتشف خلاصنا الذي نعيشه في حياتنا الآن. في هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [لم تكتب هذه الأمور بقصد تاريخي، فلا نظن أن الكُتب الإلهية أرادت أن تسجل تاريخ المصريين[1]، إنما كُتبت لأجل تعليمنا (١ كو ١٠: ١)، كُتبت لإنذارنا (١ كو ١٠: ١١)[2]].

كما قال أيضًا: [نحن نعلم أن الكتب المقدسة لم تُكتب لتروي لنا قصصًا قديمة، وإنما لأجل بنيان خلاصنا. لهذا فإننا نعلم أن ما نقرأه عن ملك مصر في (خر ١: ٨)، إنما نعيشه اليوم في حياة كل واحد منا[3]].

مصر والعبرانيون

لما كان محور هذا السفر هو خروج العبرانيين من أرض مصر، لذا فإننا نفهم فرعون يمثل الشيطان الذي يأسر أولاد الله، ومصر تشير إلى العالم، والشهوات المصرية إنما تشير إلى شهوات العالم، والعبرانيين يشيرون إلى المؤمنين الذين يعيشون كغرباء في العالم. فالحديث في هذا الكتاب يأخذ الصورة الرمزية. **لكن الآن صارت مصر علامة البركة كوعد الرب "مبارك شعبي مصر"** (إش ١٩: ٢٥)، إذ يُعرف الرب في مصر، ويعرف المصريون الرَب في ذلك اليوم، ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذرًا ويوفون به" (إش ١٩: ٢١). وصارت "إسرائيل" تشير إلى "إسرائيل الجديد" أي الذين قبلوا الإيمان بالسيِّد المسيح المخلص، وليس إسرائيل كأمة وجنس معين.

---

[1] خروج ١: ٨.

[2] *Origen: In Exodus, hom 1: 5.*

[3] *Ibid 2: 1*

مقدمة السفر

تسميته

لم يعطِ العبرانيون لهذا السفر اسمًا، وإنما اعتبروه جزءً لا يتجزأ من التوراة ككل، فكانوا يدعونه "هوميس سيني" بمعنى "الثاني من الخمسة"، أي السفر الثاني من أسفار موسى الخمسة، وأيضًا "وإله شيموت" أي "وهذه أسماء"، وهما أول كلمتين وردتا في السفر[1]. أما اسمه في الترجمة السبعينية وفي معظم الترجمات فهو باليونانية *Exodus* التي تعني "الخروج". يشير هذا الاسم إلى الأحداث الواردة في الأصحاحات (١–١٥)، خاصة (١٢–١٥)، التي تروي خروج شعب بني إسرائيل من مصر.

كاتب السفر

كتب موسى النبي هذا السفر بوحي إلهي، يظهر ذلك من الدلائل التالية:

١. يبدأ السفر بحرف العطف "واو"، قائلاً: "وهذه أسماء"، وكأن هذا السفر هو تكملة للسفر السابق "التكوين" الذي كتبه موسى النبي.

٢. قدم لنا السفر أحداثًا بدقة بالغة، وفي كثير من التفاصيل مما يدل على أن الكاتب هو شاهد عيان، بل أنه قائد عملية الخروج.

٣. سجل حوادث خاصة بموسى النبي نفسه، مثل قتله المصري سرًا، وأنه التفت يمينًا ويسارًا قبل قتله، وروى لنا تفصيل الحديث الذي جرى بينه وبين العبراني الذي كان يظلم أخاه، كما روى لنا أخذ زوجته وابنيه على حمير وختان ابنه... الخ.

٤. قبل السامريون هذا السفر كأحد أسفار موسى الخمسة، وهم أعداء اليهود، فلولا تأكدهم من الكاتب لما قبلوه.

تاريخ الخروج

اختلف العلماء في تحديد تاريخ الخروج، وفيما يلي ملخص لأهم الآراء[2]:

---

[1] *Origen: Comm. In Ps. PG 12; 1084. St. Jerome, Ep. 32: 1.*

[2] لدراسة هذه الآراء بأكثر توسع راجع:

H. H. Rowley: From Joseph to Joshua, London 1948.

١. تم الخروج في القرن السادس عشر قبل الميلاد. نادى بهذا الرأي مانيثو المصري حوالي عام ٢٥٠ ق.م إذ رأى أن العبرانيين قد طُردوا مع الهكسوس. لكن هذا الرأي لا يتفق مع الاكتشافات الحديثة ولا مع النصوص الكتابية الواردة في (خر ١: ١١؛ ١٢: ٤٠؛ ١ مل ٦: ١).

٢. تم الخروج حوالي عام ١٢٩٠ ق.م أثناء حكم رمسيس الثاني. يرى أصحاب هذا الرأي أن الضيق حلّ بالشعب اليهودي أيام سيتي الأول (١٣٠٩–١٢٩٠ ق.م) واستمر في عهد خلفه رمسيس الثاني (١٢٩٠–١٢٢٤ ق.م)[1]. اعتمدوا على أن بني إسرائيل بنوا مخازن مدينتيّ فيثوم ورعمسيس قائلين: أن اسم "رعمسيس" هو اسم فرعون الذي تم الخروج في عصره. لكن لا يمكن الأخذ بهذا الرأي، لأنه يحتمل أن يكون الاسم قد استخدم في عمر سابق لزمن رمسيس الثاني بزمن طويل.

٣. تم الخروج في عصر يَفتاح حوالي عام ١٢٣٠ ق.م، وقد اعتمد أصحاب هذا الرأي خطأ على النصب التذكاري الذي أقامه يَفتاح، والذي يذكر فيه الانتصار على إسرائيل وغيره من الأمم التي تقطن في فلسطين في ذلك الوقت. والحقيقة أن وجود مثل هذا النصب إنما يؤكد العكس أن إسرائيل قد خرج منذ زمن واستقر في فلسطين وبعد ذلك تمت الحرب.

٤. الرأي الأرجح أنه تم حوالي عام ١٤٤٧ ق.م أثناء الأسرة المصرية الثامنة عشر، أيام تحتمس الثالث، أو في زمن أمنوفس الثاني. هذا يتفق مع قضاة (١١: ٢٦)، إذ يذكر يَفتاح الذي عاش حوالي عام ١١٠٠ ق.م أن ثلاثمائة سنة قد انقضت على دخول العبرانيين الأرض، أي دخلوها حوالي عام ١٤٠٠ ق.م فإذا أُضيفت إليها الأربعون عامًا التي قضوها في البرية لكان تاريخ خروجهم حوالي عام ١٤٤٠ ق.م.

يتفق هذا الرأي أيضًا مع ما ورد في (١ مل ٦: ١) أن بيت الرب قد بُنيَ في السنة الأربعمائة والثمانين لخروج الشعب من مصر. فإن كان قد بدأ سليمان في بناء الهيكل عام ٩٦٧ أو ٩٦٦ ق.م يكون الخروج قد تم حوالي عام ١٤٤٧ ق.م.

ويتفق هذا التاريخ أيضًا مع الاكتشافات التي ظهرت في أريحا وحاصور، ومع ما ورد في لوحات تلّ العمارنة، التي تتحدث عن شعب قادم إلى أرض فلسطين في هذا التاريخ تقريبًا، أو بعده بزمن قليل.

[1] *The Jerome Biblical Commentary, London 1970, p. 47.*

موضع العبور

اختلف العلماء في تحديد موضع العبور...

تمت المعجزات على يديّ موسى النبي في صوعن أي تانيس (مز ٧٨: ١٢) عاصمة الهكسوس. وكانت رعمسيس[١] ضاحية لهذه العاصمة، إذ كان العبرانيون يعملون مخازن مدينتيّ فيثوم ورعمسيس (خر ١: ١١) ومن رعمسيس ارتحلوا إلى سكوت[٢] (خر ١٢: ٣٧). لم يتخذوا أقصر الطرق إلى فلسطين بل رحلوا عن طريق البرية بالقرب من البحر الأحمر (خر ١٣: ١٧–١٨)، حيث ضربوا خيامهم لأول مرة بعد مغادرة سكوت في إيثام التي تبعد ثمانية أميال غرب سكوت، وتقع على طرف البرية عند حافة الصحراء (خر ١٣: ٢٠).

"من هناك رجعوا وضربوا خيامهم أمام فم الحيروث بين مجدل البحر أمام بعل صفون" (خر ٢: ١٤)، ليس من السهل تحديد هذا الموقع، لكنه من المعروف أنه غرب البحر الأحمر. من هناك عبروا إلى برية شور (خر ١٥: ٤، ٢٢؛ عد ١٣: ١٠، ١٥)[٣].

ويذهب كثير من العلماء إلى أن الخليج كان ممتدًا في أيام موسى إلى منطقة البحيرات المرَّة على هيئة مستنقع ماء. ويرى البعض أن العبور كان بالقرب من الإسماعيلية، وآخرون أنه بالقرب من السويس.

ويلاحظ أن التعبير العبري لبحر (يم) سوف *Yam sûp* يعني "بحر الغاب" أو "بحر البوص". وفي رأى البعض أن هذا التعبير إنما يصف المستنقع في منطقة *Isthmus* والذي يمتد حوالي ٧٢ ميلاً من البحر الأحمر نحو رأس خليج السويس، ذراع البحر الأحمر.

ملامح السفر

١. يتحدث **القديس أغسطينوس** عن **ارتباط العهد القديم بالعهد الجديد** قائلاً: [العهد الجديد مخفي في القديم، والقديم معلن في الجديد. يظهر ذلك بأكثر وضوح في سفر الخروج، فقد رأى الإنجيلي متى في السيِّد المسيح إسرائيل الجديد وموسى الجديد. استخدم الإنجيلي كلمات هوشع النبي "من مصر دعوت ابني" (١١: ١)، كنبوة عن هروب السيِّد المسيح إلى أرض مصر (مت ٢: ١٥). وكما اعتمد إسرائيل القديم في البحر الأحمر (خر ١٤)، اعتمد السيِّد المسيح الحامل فيه الكنيسة –

---

[١] رعمسيس: بيت رمسيس، وهي المدينة الملكية في الدلتا في ذلك الوقت.

[٢] هي تل المسخوطة في وادي طميلات تبعد حوالي ٣٢ ميلاً جنوب شرقي تانيس، ١١ ميلاً غرب الإسماعيلية.

[3] *The New Westminster Dictionaryog the Bible, Philadelphia 1969.*

إسرائيل الجديد – في مياه الأردن (مت ٣: ١٣–١٧). قضى السيِّد المسيح أربعين يومًا في البرية (مت ٤: ١–١١)، وكأنه كان يستعيد الأربعين عامًا التي قضاها إسرائيل الأول في البرية، والأربعين يومًا التي قضاها موسى النبي على جبل سيناء (خر ٢٤: ١٨). موسى الأول، مستلم الشريعة العظيم ليقدمها لإسرائيل، قدمها بعد أن أعلنت له على جبل سيناء (خر ٢٤: ٣–٨)، والسيِّد المسيح – موسى الجديد – الذي هو بعينه كلمة الله قدم شريعته للشعب على الجبل (مت ٥، ٦). فكان العهد السينائي رمزًا للعهد الجديد[1].

يطول الشرح إن تحدثنا عن ارتباط العهدين بوضوح في سفر الخروج، لذا نترك الحديث عن هذا الأمر خلال شرحنا للسفر نفسه. إنما نر يد أن نؤكد أن ما ورد في سفر الخروج كان إعلانًا لمواعيد الله لإقامة "مملكة كهنة وأمة مقدسة" (خر ١٩: ٦)، يتمتع أعضاؤها بطعام سماوي وشراب روحي ويقيمون مقدسًا ليسكن الله في وسطهم (خر ٢٥)... هذا كله مجرد بدء انطلاق. للصداقة الإلهية الإنسانية والتي تتحقق في كمالها في العهد الجديد.

٢. شخصية موسى النبي

لهذا السفر أهمية خاصة، إذ عرض حياة موسى النبي، الذي صار ممثلاً للعهد القديم بكونه مستلم الشريعة والمتكلم مع الله وقائد الشعب في تحريره من العبودية للدخول به إلى أرض الموعد. لذا حين تجلى السيِّد المسيح على جبل طابور ظهر موسى وإيليا معه (مت ١٧: ١–٨). وفي سفر الرؤيا نسمع عن تسبحة موسى التي يترنم بها الغالبون في السماء (رؤ ١٥: ٣).

تلقفت الكنيسة حياة موسى لترى فيها جوانبًا حية للحياة الروحية، فأفاض **العلامة أوريجينوس** في تفسيره الرمزي لسفريّ الخروج والعدد عن موسى النبي وكل تحركاته كرمز للناموس الروحي الحيّ الذي يمس الحياة الداخلية للمؤمن ونموه الروحي. أما معلمه **القديس إكليمنضس الإسكندري** فقد أعجب جدًا بشخصية موسى النبي وأحبه، وكما سبق أن رأينا في كتابنا "آباء مدرسة الإسكندرية الأولون" أنه رأى أن الفلاسفة اليونانيين إذ جاءوا ببعض الحق، إنما استعاروه عن موسى، ولذا فهم يحسبون أطفالاً إن قورنوا بالعبرانيين[2]. يقتطف كلمات *Eupolemus* في كتابه "عن ملوك يهوذا" قوله: [كان موسى أول رجل حكيم، أول من قدم النحو ليهود فتسلمه الفينيقيون عنهم، وتسلمه

[1] *J. Danielou: From Shadow to Reality, London 1960. p 153-226. The Jerome Biblical Commentary, p. 47- 8*

[2] *Strom1: 29.*

اليونانيون عن الفينيقيين[١]. كما قال: [اعتمد أفلاطون الفيلسوف على كتب موسى في التشريع[٢]. وقال: [يعلن الفلاسفة أن الرجل الحكيم هو وحده ملك ومشرع وقائد وعادل ومقدس وحبيب الله، فإن اكتشفنا أن هذه الصفات جميعها تنطبق على موسى كما توضح الكتب المقدسة نفسها، بهذا يتبرهن لنا بالتأكيد أن موسى هو الرجل الحكيم الحقيقي[٣]. ويرى أن فلسفة موسى حملت جوانب أربعة: الجانب التاريخي، والجانب التشريعي، والذبيحي، والرؤي[٤].

وجاء **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** وتلميذ **العلامة أوريجينوس الإسكندري** يسجل لنا "حياة موسى"[٥] في ثوب رمزي روحي جميل.

لماذا نتحدث عن آباء الكنيسة الذين أطالوا الحديث جدًا عن موسى، فإن السيِّد المسيح نفسه قد أعطى إشارة لبدء انطلاق هذا الفكر بقوله: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان" (يو ٣: ١٤). وأوضح الرسل ارتباط خروف الفصح بذبيحة المسيا (١ كو ٥: ٧)، والصخرة التي تابعتهم كانت السيِّد المسيح... الخ

٣. سفر الفداء أو الخلاص

بدأ هذا السفر بالذل والاضطهاد وانتهي بظهور مجد الله في خيمة الاجتماع، أي في مسكنه مع شعبه (خر ٤٠)، بدأ بالظلام الذي ساد أرض العبودية وانتهي بالمجد. وقد أكد لنا هذا السفر أن هذا التغير أو هذا الخلاص ليس ثمرة عمل بشري، بل كانت الحاجة ماسة لتدخل الله نفسه الذي وحده يقدر أن يخلِّص ويحرِّر خلال تيار الدم المقدس (ذبيحة الفصح). والسفر في مجمله يقدم لنا صورة حيّة وعملية لملامح طريق خلاصنا.

٤. سفر العبور

قاسى الشعب الأمرّين من العبودية لكنه لم يفكر في الانطلاق من الموقع إلاَّ بعد أن أرسل الله لهم موسى يحدثهم عن الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، أي أورشليم. هنا لم يعودوا يحتملون العبودية ولا قبلوا الاستسلام لها. ونحن أيضًا باكتشافنا لكنعان السماوية، يجعلنا نشعر بمرارة عبودية الخطية، ونستطيع تحت القيادة الإلهية أن ننطلق إلى البرية القاحلة التي بلا أنهار ولا مزروعات ولا بيوت

---

[1] *Strom 1: 23.*
[2] *Strom 1: 25.*
[3] *Strom 1: 26.*
[4] *Strom 1: 28.*
[5] *J. Danielou: Gregoire de Nysse, la vie de Moise, Source Chret., bis, Paris 1955.*
A. J. Malherbe, E. Ferguson: Gregory of Nyssa, the Life of Moses, N.Y. 1978. PG.44.

للإقامة، فتصير موضعًا للتسبيح والتهليل (خر ١٥)، وطريقًا للعبور، نختبر فيه كل يوم معاملات الله الخلاصية معنا. وكأن سرّ عبورنا المستمر إنما يكمن في اكتشافنا لأورشليم العليا والتأمل فيها بالبصيرة الداخلية.

أما عن **إمكانية العبور**، فتكمن في قول النبي: "نزل لينقذهم" (خر ٣: ٨). إنها إمكانيات نزول الله إلينا، الذي وحده في السماء يقدر أن ينزل إلى أرضنا ليحملنا فيه إلى أمجاده العلوية. أراد موسى أن يعبر بشعبه من ذل فرعون مستخدمًا ذراعه البشري ففشل حتى في خلاص نفسه، وعاش هاربًا أربعين عامًا. لهذا نزل الله إليه خلال العليقة الملتهبة نارًا، رمز التجسد الإلهي، ليعبر به مع بقية الشعب. نزل إليه في العليقة ليؤكد سرّ حلوله وسط شعبه، ونزل إلى شعبه كسحابة تظللهم نهارًا كسرّ حمايتهم، وكعمود نار يضيء لهم كسرّ استنارتهم وكقائد لهم. وفي الصخرة ليرويهم، وفي الخيمة ليسكن في وسطهم... كانت هذه جميعها تحمل رموزًا لتجسد كلمة الله ونزوله إلينا لنتحد به فيحملنا معه خلال استحقاقات الدم الكريم.

٥. سفر الحرية

أولاً: استعبد فرعون الشعب لا إراديًا، لكن ما هو أخطر استسلام الإنسان للعبودية الداخلية وخضوعه لنيرها بإرادته، حاسبًا أنها مصدر لذته وسلامه، مع أنها تحمله إلى الذل وتقدم له الموت. لقد حررهم الله بموسى من سلطان فرعون، لكنهم حتى بعد العبور كانوا في عبودية شهوة الجلوس عند قدور اللحم في مصر (خر ١٦: ٣) والتمتع الوقتي بشهوات الجسد، فصاروا يتعبدون لعجل أبيس المصري، إذ حملوه في قلوبهم (خر ٣٢).

ولماذا نتحدث عن الشعب فإن موسى نفسه كان هو أولاً محتاجًا أن يتحرر داخليًا حتى يتسلم عصا الله. كان مستعبدًا للذات "الأنا" فظن في البداية أنه قادر أن يخلص الشعب بذراعه، وبقى أربعين عامًا في البرية يدربه الرب عوض الأربعين عامًا التي عاشها في القصر حاسبًا نفسه شيئًا. كان لزامًا أيضًا أن يتحرر من عبودية الخوف والزمن (الشعور بالشيخوخة)، حتى إذ أدرك مفهوم الحرية كوجود دائم مع الله (أنا أكون معك، وفي فمك) تسلم عصا الله ليرعى الشعب في طريق الحرية.

ثانيًا: إذ بدأ موسى النبي ينطلق بشعبه نحو طريق الحرية انطلق أيضًا الشيطان يحاربه، فيقدم له أنصاف الحلول[1] عوض الحرية لينحرف به عن الهدف، فطريق الحرية ليس مفروشًا بالورود، ولا نسلكه ونحن نائمون في ترف وتدليل بل هو طريق الحرب الروحية المستمرة حتى النهاية.

٦. سفر الوصية والعبادة

بالرغم من وجود سفر متخصص في الوصية الإلهية أو الناموس وفي العبادة الموسوية، لكن موسى أصرّ أن يختم سفر الخلاص بأمرين: استلام الشريعة، وخيمة الاجتماع. وكأن العبور وهو انطلاق إلى الحرية خلال الاتحاد مع الله والوجود الدائم معه إنما يتحقق خلال كلمة الله أو الوصية والعبادة (الخيمة). فالوصية هي القائد للنفس للدخول إلى السماويات، والعبادة هي عبور للشركة مع السمائيين في ليتورچياتهم.

العبادة هي غاية العبور "أطلق شعبي ليعبدونني"، خلالها نتعرف على قانون السماء (الوصية) ونتدرب على السكنى مع الله (الخيمة السماوية)!

عبور البحر الأحمر أو المعمودية هي بداية ضرورية وأساسية خلالها ننعم بالميلاد الجديد ونحمل سلطانًا لاعتزال أعمال الإنسان القديم، لكننا نبقى في عوز إلى تقدم مستمر نحو كنعان يسندنا الروح القدس الذي نلناه في سرّ الميرون وتعيننا الوصية الإلهية والعبادة غير المُنقطعة، بهذا نحافظ على قوة العبور بالدم المقدس فنتمتع بخروج مستمر حتى ندخل الأحضان الإلهية ونلتق مع الله وجهًا لوجه.

٧. البرية كمدرسة

يتحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن البرية كمدرسة التزم العبرانيون بدخولها، وللأسف كانت تصرفاتهم وسلوكهم كأطفال صغار[2]، وكان الله يحتملهم ويتعامل معهم على هذا الأساس، فمن ذلك:

أ. في خروجهم أعطاهم نعمة في عيون المصريين فأعاروهم أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابًا (١٢: ٣٥-٣٦)، وكان ذلك عربونًا لغنى الحياة الأبدية، لكنه في نفس الوقت كان كأب يُعطي أطفاله مالاً في الصباح ليشجعهم على الذهاب إلى المدرسة والإصغاء إلى معلميهم.

---

[1] بمشيئة الله سنتحدث عن أنصاف الحلول في الأصحاحات ٧-١٠.

[2] *St. John Chrysostom: in Colos. Hom 4.*

ب. إذ كانوا يقضون وقتًا طويلاً في المدرسة كانوا يحنّون إلى الرجوع إلى مصر تاركين دراستهم. كانوا كأطفال يبكون قائلين: "ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟!" (١٤: ١١)، لماذا أصعدتنا من مصر؟! (١٧: ٣).

ج. أساء الأطفال معاملتهم لله أبيهم وموسى مدرسهم حتى غضب موسى وكسر لوحي الشريعة (٣٢: ١٩)، وكأنه أراد أن يتوقف عن تعليمهم. ومع ذلك كان حنونًا عليهم، حين غضب الرب عليهم وأراد إبادتهم تشفع فيهم (٣٢: ٣٢).

د. كانوا كأطفال مُترفين، قدم لهم أبوهم المن السماوي طازجًا كل يوم، لكنهم كانوا يتذمرون عليه. اشتهوا الكرات والثوم في مصر، وذلك كالطفل الذي يجلس على مائدة أبيه وقلبه متعلق باللعب في الطين.

هـ. من أجل ضعفهم قدم لهم شريعته "عين بعين وسن بسن"، مانعًا إياهم من الانتقام بأكثر مما أصابهم... حتى متى دخلوا إلى دور النضوج يقدم لهم "لا تقاوم الشر بالشر" و"من لطمك على خدك الأيمن حوّل له الآخر"، بهذا هدأ فيهم رغبة الانتقام الطفولية ليعبر بهم إلى مرحلة النضوج[١].

و. عندما وقفوا أمام فرعون وأمام عماليق للحرب، قال لهم على لسان موسى النبي: "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (١٤: ١٤)، "للرب الحرب مع عماليق" (١٧: ١٦)، "أُعادي أعداءك وأضايق مضايقيك" (٢٣: ٢٢). يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** الشعب كأطفال يقولون لأبيهم: "فلان يضربني في طريق المدرسة" فيُجيبهم: "إنه إنسان شرير، لا تحافوا أنا أضربه لكم".

ز. عندما غاب موسى على الجبل، كأطفال لم يحتملوا غياب مدرسهم فتصرفوا بطيش وطلبوا من هرون أن يصنع لهم العجل الذهبي.

هذه مجرد أمثلة تكشف عن معاملات الله مع الشعب اليهودي الذي كان يتصرف في طفولية روحية ولم يكن بعد قد بلغ النضوج الروحي، لذا دعاهم الرسول بولس أطفالاً وقصّرًا وتحت الوصاية.

طريق الخلاص

قلنا إن سفر الخروج في مجمله يقدم لنا صورة حيَّة لملامح طريق خلاصنا بطريقة واضحة، لكنها ليست كخطوات متتالية، وإنما كطريق واحد متلاحم معًا... هذه الملامح هي:

---

[١] راجع الموعظة على الجبل للقديس أوغسطينوس.

١. **الشعور بالحاجة إلى مخلص:** قد يستسلم المريض لمرضه ويبقى العبد مستكينًا للذل، لكن عمل الروح القدس هو فضح ما وصلت إليه النفس وإذلال الخطية لها لتشعر أنها في حاجة إلى الله المخلص. ليس هذه بداية للطريق وإنما هو عمل الروح القدس المستمر في حياة المؤمن طوال طريق غربته. كلما التقينا بالمخلص، اكتشفنا بروحه القدوس ضعفاتنا أكثر وأحسسنا بالحاجة إليه، نبقى في فرح دائم بلقائه وفي توبة مستمرة على ضعفاتنا محتاجين إليه، حتى يبلغ بنا إلى أمجاده الأبدية.

٢. **نزول الله إلينا:** الشعور بمرارة العبودية، وفضيحة النفس، قد تدفع الإنسان إلى اليأس ما لم يسرع السيِّد المسيح نفسه إليها، ويسندها بدمه لينطلق بها إلى الحرية. فإن كان سفر الخروج قد أعلن شعور الشعب بالحاجة إلى مخلص، فإنه بعد ذلك أوضح خروجين، هما في الواقع عمل واحد متكامل ومتلاحم: خروج الشعب، وخروج الله نفسه لخلاص الشعب. فإنه لا يقدر الإنسان أن يتحرك نحو الحرية بذاته مادام مكبلاً بقيود العبودية، إنما يحتاج إلى خروج ابن الله إليه.

في هذا السفر ترى الله هو الذي بادر بالحب، وهو الذي أعد موسى كقائد للخلاص، وهو الذي كان يعمل به وفيه، وظل يعمل ويعمل... وبقيت هذه الصورة تتأكد عبر الأجيال، وفي كل العصور. لذا يقول الرب نفسه "خرج الزارع ليزرع"، هو الذي بادر بالخروج ليلقي ببذار محبته فينا. وفي دعوة لاوي يؤكد الإنجيل أن السيِّد المسيح خرج إليه إلى موضع الجباية يدعوه: "اتبعني"، فانحلت قيوده ورباطات قلبه بأموال الجباية وانطلق في الحال يتبعه. أخيرًا فإنه ما كان يمكن للعازر أن يخرج من القبر ما لم يخرج الرب نفسه إليه ويهبه نعمة القيامة والتحرر من رباطات الموت.

٣. **الحاجة إلى الدم:** كانت الضربة الأولى هي تحويل الماء دمًا، وفي الأخيرة ذبح خروف الفصح، فلا عبور لنا إلى الحياة الأبدية إلاَّ خلال تيار دم السيِّد المسيح.

٤. **الميلاد الجديد:** بالصليب دُفع ثمن عبورنا، أما بدء العبور فهو دخولنا بالإيمان إلى مياه المعمودية لندفن مع السيِّد المسيح، ونقوم معه في جدة الحياة.

٥. **الجهاد المستمر:** بعبور الشعب البحر الأحمر لم يجد الشعب نفسه داخل أورشليم، بل في بداية طريق البرية التي يسير فيها أربعين عامًا، في القفر يحارب عماليق (شهوات الجسد)، ليكتشف في الطريق وجود الله الدائم معه، سندًا له وشبعًا لكل احتياجاته.

أقسام السفر

من جهة الموضوعات، يمكننا تقسيم السفر إلى قسمين متكاملين:

١. الخلاص [ص ١–١٨].

٢. الشريعة والعبادة [ص ١٩–٤٠].

ويمكننا أيضًا تقسيم السفر حسب المواضع التي تمت فيها الأحداث الواردة فيه:

١. في مصر [١: ١–١٢: ٣٦].

٢. من مصر إلى سيناء [١٢: ٣٧–١٩: ٢].

٣. في سيناء [١٩: ٣– ص ٤٠].

هذه الأقسام الثلاثة تمثل جوانب ثلاث في حياة المؤمن، ففي مصر يشعر الإنسان بالحاجة إلى الخلاص الإلهي. وفي الطريق من مصر إلى سيناء يتدرب الإنسان على الطاعة الكاملة لله. وفي سيناء يتمتع الإنسان بقبول الوصية وينعم بالعبادة الروحية (الخيمة). وكأن هذا السفر ربط في حياة المؤمن بين "الإيمان والأعمال (الطاعة) والعبادة مع الوصية". هذا الثالوث يمثل وحدة واحدة، يسند كل منها الآخر، ويُكمله حتى يعبر بالمؤمن إلى أورشليم العليا.

الباب الأول

أحداث الخلاص
في مصر

(١: ١-١٢: ٣٦)

الأصحاح الأول

الحاجة إلى مخلص

يحدثنا هذا الأصحاح عن:

١. **نشأة بني إسرائيل في مصر** ١–٧.

٢. **خضوعهم للعبودية** ٨–١٤.

٣. **قتل الذكور** ١٥–٢٢.

قصة العبودية

يروي لنا هذا السفر قصة العبودية في كثير من التفاصيل، أولاً لأنها تمثل قصة عبوديتنا للخطية التي من أجلها جاء السيِّد المسيح لتحريرنا. وثانيًا لأن هذه التفاصيل تمثل جوانب حيَّة تمس حياتنا وعلاقتنا مع الله. أما السبب الثالث فهو أننا كثيرًا ما ننسى أو نتناسى هذه العبودية القاتلة، لذلك عندما أعلن السيِّد المسيح رسالته، قائلاً: "تعرفون الحق والحق يحرركم" (يو ٨: ٣٢)، أجابه اليهود: "إننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحرارًا؟!" ويعلق **القدِّيس أغسطينوس** على هذه الإجابة قائلاً:

❖ حتى إن نظرنا إلى الحرية التي في العالم (وليس التحرر من الخطية) فأين الحق في قولهم أننا ذرية إبراهيم ولم نُستعبد لأحد قط؟ ألم يُبَع يوسف (تك ٣٧: ٢٨)؟ ألم يؤخذ الأنبياء القدِّيسون إلى السبي (٢ مل ٢٤؛ حز ١: ١)؟ وأيضًا أليسوا هم تلك الأمة التي كانت تخضع لحكام قساة فيصنعون اللَّبْن في مصر، يخدمون ليس فقط في الذهب والفضة وإنما في الطين؟ لو أنكم لم تُستعبدوا لأحد قط فلماذا يُذكِّركم الله على الدوام أنه هو الذي خلّصكم من بيت العبودية؟![١]

والعجيب أنهم ينطقون بهذا في الوقت الذي فيه كانوا مستعبدين للحكم الروماني، فإن هذه هي طبيعة الإنسان، يستسلم للعبودية ويخضع خانعًا لها ويظن أنه في حرية... لذا سجلت عبودية هذا الشعب وتحريرهم، حتى نذكر دومًا حاجتنا إلى السيِّد المسيح كمحرر لنفوسنا من أسر الخطية.

[1] *On the Gospel of St. John, tractate 41: 2.*

١. نشأة بني إسرائيل في مصر

إن كان قد دخل يعقوب وبنوه وأحفاده إلى مصر كعائلة واحدة، فقد نشأت الأمة اليهودية في مصر، وصار لها أول قيادة (موسى النبي). لقد ترعرعت بعد موت يوسف [٧]، وسقطت تحت ظلم فرعون وعبودية المصريين، لكن الله أعد موسى ودعاه للنضال ضد فرعون ليخرج الشعب خلال ذبيحة الفصح.

نزل يعقوب إلى مصر ومعه من صلبه الاثني عشر أبًا ليتغربوا كقول إشعياء النبي: "هكذا قال السيِّد الرب: إلى مصر نزل شعبي أولاً ليتغرب هناك، ثم ظلمه أشور بلا سبب" (٥٢: ٤). تغربوا وسقطوا تحت الذل والعبودية لكننا نجد أسماءهم في سفر الرؤيا قد سُجلت على أبواب أورشليم السماوية (٢١: ١٢)، كما أُحصيَ عدد المختومين من كل سبط كأولاد الله ينعمون بالأمجاد السماوية. إذن فليَظلِم أشور بغير سبب، أما الله فحافظ لأولاده، يحصيهم وينقش أسمائهم في سفر الحياة.

يعلق **العلامة أوريجينوس** على قول الكتاب: "**وكان جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفسًا**" **[٥]**، قائلاً[1] إن الإنسان لا يلد نفسًا، ولا تخرج النفس من صلبه، ففي بدء الخليقة ماذا يقول آدم عن حواء؟ "هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي" (تك ٢: ٢٣)، لكنه لا يقول "هذه نفس من نفسي". أيضًا لابان ليعقوب: "إنما أنت عظمي ولحمي" (تك ٢٩: ١٤)، ولم يجسر أن يتحدث عن قرابة النفس بل على القرابة الجسدية حسب اللحم والعظم. أما هنا فيقول: "جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب"، وكأنما أراد أن يعلن عن نوع جديد من القرابة فوق مستوى الجسد، أراد أن يحمل إلينا قرابة روحية نهتم بها.

النفس لا تلد إلاَّ إذا بلغت مستوى القائل: "لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس لكم آباء كثيرون، لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١ كو ٤: ١٥). هؤلاء هم الذين يلدوا نفوسًا لتعيش في العالم بروح الإنجيل، حاملين سمات السيِّد المسيح فيهم، إذ يقول في موضع أخر: "أولادي الذين أتمخض بهم إلى أن يتصوَّر المسيح فيهم" (غل ٤: ١٩)

هذه هي سمة إسرائيل الجديد، أي الكنيسة، إنها أم ولوّد، تنجب نفوسًا مقدسة تحمل سمات السيِّد المسيح.

أما سرّ النمو فيكمن في العبارة التالية:

[1] *Origen: In Exod. Hom 1: 3.*

"ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل. وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرًا جدًا، وامتلأت الأرض منهم" [٦-٧].

يربط هذا النص بين موت يوسف وإثمار بني إسرائيل وتكاثرهم جدًا وامتلاء الأرض منهم. فإن كان يوسف قد حمل رمزًا للسيِّد المسيح في جوانب كثيرة، فإنه لا نمو للكنيسة – إسرائيل الجديد – إلاَّ خلال موت السيِّد المسيح بالصليب. هذا وأن بني إسرائيل يرمزون أيضًا إلى الفضائل التي تسكن في القلب، فلا نمو في الحياة الفاضلة ولا امتلاء للقلب من الفضائل إلاَّ بإعلان قوة موت المسيح وصلبه في داخله.

يعلق **العلامة أوريجينوس** على هذا النص، قائلاً: [قبل موت يوسف الذي باعه يهوذا أحد إخوته بثلاثين من الفضة كان عدد بني إسرائيل ضئيلاً للغاية، لكنه إذ ذاق الموت لأجل الجميع إنما "لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب ٢: ١٤)، تكاثر الشعب المؤمن... فإنه ما كان للكنيسة أن تثمر وتأتي بهذا الحصاد في كل الأرض لو لم تقع حبة الحنطة على الأرض وتموت (يو ١٢: ٢٤). لقد سقطت في الأرض وماتت، وخلالها جاء كل هذا المحصول من المؤمنين، إذ خرج صوت الرسل يملأ الأرض كلها وبلغ إلى كل المسكونة (مز ١٩: ٤)... وكما هو مكتوب "كانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا" (أع ٦: ٧)...

هذا هو التفسير الروحي، لكن لا يفوتنا أن نذكر الجانب التعليمي، لأنه يبني نفوس السامعين: "إن مات يوسف فيك، أُريد أن أقول إن حملت في جسدك إماتة الرب يسوع" (٢ كو ٤: ١٠)؛ إن ماتت أعضاؤك عن الخصية، يتكاثر داخلك بنو إسرائيل أي الارتباطات الروحية السامية. بإماتة الشهوات الجسدية تنمو رباطات الروح. بالإماتة اليومية عن خطاياك تكثر فضائلك، وتمتلئ الأرض، بالأعمال الصالحة، أي تنمو داخل الجسد.

أتُريد أن أثبت لك هذا من الكتاب المقدس، من الذي أثمرت فيه الأرض؟[1]. أنظر كلمات الرسول بولس: "ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي فماذا أختار لست أدري... فإني محصور من الاثنين: لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا، ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم" (في ١: ٢٢-٢٤). هل عرفت كيف أثمرت فيه الأرض؟ فإنه ما دام في الأرض – أي في الجسد – يحمل ثمار تأسيس الكنائس ويربح شعبًا لله مبشرًا بالإنجيل[2].

---

[1] أي الرسول بولس.

[2] *Oregen: In Exode, hom 1: 4.*

٢. خضوعهم للعبودية

النتيجة الطبيعية للنمو المتزايد خلاص صلب المسيح وموته هو هياج عدو الخير وثورته، إذ يقول الكتاب: "ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا. هلم نحتال لهم لئلاَّ ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم" [٨-١١].

مَن هو هذا الملك الجديد إلاَّ إبليس الذي يرتعب كلما رأى الرب يملك على قلوب أولاده، يبذل كل طاقاته لتكريس جنوده وإمكانياته الشريرة لاستعباد البشر وإذلالهم بالعمل في الطين، أي يجعلهم يرّتبكون في الأعمال الأرضية.

يرى **العلامة أوريجينوس**، إبليس في حالة رعب من تبعيتنا للمصلوب الذي جرده من كل رئاسة وسلطان وشهَّر به (كو ٢: ٥)، فيقول: [هذا التفكير يجعله مرتعبًا، فيقول: لئلاَّ يُحاربوننا ويصعدون من الأرض [١٠]؛ فهو لا يريدنا نصعد عن الأرض، بل يُريدنا أن نظل على صورة الترابي (١ كو ١٥: ٤٩). إذن، إن كنا قد عبرنا إلى عدوه، هذا الذي يدخلنا ملكوت السموات يلزمنا أن نترك صورة الإنسان الترابي ونأخذ صورة السماوي[1]].

إن كان الشيطان يُقيم رؤساء تسخير لإذلالنا، للعمل في الطين، فقد أقامنا ربنا يسوع رؤساء من نوع آخر لتعليمنا حتى نترك الطين، أي نخلع أعمال الإنسان القديم ونحيا حسب الإنسان الجديد على صورة ملكنا الحقيقي.

بناء مدينتي فيثوم ورعمسيس

"فبنوا لفرعون مدينتي فيثوم ورعمسيس" [١١].

يرى **العلامة أوريجينوس** أن "رعمسيس" تعني (بلد الفساد). وكأن عدو الخير يُريد إذلالنا بالعمل في الطين لحساب "الفساد" والشر. وهنا يثور أمامنا السؤال التالي:

لماذا يسمح الله لأولاده بالضيق؟

أ. للاشتياق للحياة الأفضل، فلو بقى الشعب في راحة لما انطلقوا إلى كنعان. هكذا يسمح الله لنا بالضيقات والأتعاب ليعدنا للحياة الفضلى والتمتع بكنعان السماوية. يقول **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم:**

[1] *Ibid 1: 5.*

[الله صالح ومحب، ليس فقط عندما يعطي عطايا، بل وعندما يؤدبنا أيضًا. فإنه حتى تأديباته وعقوباته هي من قبيل جوده، ومظهر عظيم من مظاهر عونه لنا[1].]

ب. ليلتصقوا بالرب، فالضيق يشعرنا باحتياجنا إلى عمل الله فينا ومعنا.

ج. إن كان الله قد بدا كأنه قد ترك شعبه للمذلة، لكن الكتاب يؤكد "بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا" [١٢]. إن كانت يد العبودية قد قست لكن الله لم يتركهم، وعمل على خلاصهم بكل الطرق.

٣. قتل الذكور

استدعى فرعون قابلتي العبرانيات شفرة وفوعة، وطلب منهما أن يقتلا كل طفل ذكر عند ولادته ويستبقيا البنات. وكان هذا الأمر سهلاً، فقد كانت العادة المتبعة في مصر في ذلك الحين أن تتم الولادة على كرسي خاص، فتستطيع القابلة أن تقتل الطفل قبل أن يراه أحد، لكن القابلتان خافتا الله واستبقتا الذكور والإناث.

العبرانيين: لقد دُعي الشعب اليهودي بالعبرانيين، نسبة إلى عابر أحد أجداد إبراهيم (تك ١٠: ١٢)، لذلك كانت كلمة "عبراني" تشير إلى اليهودي الأصيل وتميزه عن اليهودي الدخيل من الأمم[2]. ويدعى المؤمنون عبرانيين أيضًا، لأن طبيعة حياتهم "العبور" المستمر. يشعر أنه غريب ومنطلق على الدوام من الأرضيات نحو السماويات.

قابلتا العبرانيات: يرى **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** أن "القابلة" التي تولِّد العبرانيات إنما تشير إلى الإرادة الحرة التي تنجب الفضيلة في حياة المؤمنين وسط آلام المخاض المرّة[3]. فإن المؤمن وإن كان يعمل بالله، لكن لا ثمر له بغير إرادته، وكأن فرعون الذي هو إبليس عدونا لا يطيق "إرادتنا الحرة" التي وهبها الله لنا، والعاملة بالمسيح يسوع لنموِّنا.

أما **العلامة أوريجينوس**[4] فيرى في القابلتين "المعرفة" التي تسند أولاد الله في ولادة الذكور كما الإناث، أي يكون لهم ثمر في التأمل العقلي الإلهي، وفي تقديس العواطف. لأن الذكور يشيرون إلى العقل والإناث إلى العاطفة.

---

[1] القمص تادرس يعقوب: القديس يوحنا الذهبي الفم: هل للشيطان سلطان عليك؟ طبعة ١٩٧٢م، ص ٢٧.

[2] يبدو أن المصريين كانوا يطلقون كلمة عابر *aperu* على كل شخص يأتي من دول الشرق الأوسط إلى مصر أسيرًا. *Nelson: A New Catholic Comm. On the Holy Scrip., P. 208.*

[3] *St. Gregory of Nyssa: The Life of Moses 2: 5.*

[4] *In Exode, hom 2: 1, 2.*

وتشير القابلتان أيضًا إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، خلالهما ينعم أولاد الله بالثمر المتزايد عقليًا وعاطفيًا، أو روحيًا وجسديًا.

اسما القابلتين: شفرة وفوعة، كلمتان عبريتان، ربما تعنيان جمال وفتاة، لكن **العلامة أوريجينوس** يرى كلمة شفرة "صفُّورة" تعني عصفور أو طائر، وفوعة تعني "عفيفة" أو "حياء"؛ وكأن القابلتين يعملان معًا في الكنيسة لإثمارها، أولاً برفع القلب وتحليقه في السماء كالعصفور الطائر، وثانيًا بروح الحياء والتعفف.

إن كانت القابلتان تشيران إلى العهدين، فإن العهد الأول يجب أن نتقبله كعصفور، أي نتفهم العهد القديم بطريقة روحية وليس خلال الحرف القاتل. أما العهد الجديد فيمثل الحياء (إحمرار الوجه) علامة الرش بدم السيِّد المسيح الذي خلاله تكون لنا المعرفة المثمرة في العالم [١٠].

قتل الذكور واستبقاء الإناث: قلنا إن الذكور يشيرون إلى العقل أو الروح بينما الإناث يشرّن إلى الجسد أو العواطف[1]، فقد أراد فرعون أن تُقتل المعرفة الفهم العقلي للكتاب المقدس أو الإدراك الروحي، ونهتم فقط بالجانب المادي... فتصير معرفتنا الإنجيلية جافة وقاتلة.

هذا وأن حرب الشيطان ضد أولاد الله هو أن يفقدهم التفكير العقلي المتزن، ويثير فيهم العاطفة الجسدية، أما المعرفة الأمينة الإنجيلية فتربط الاثنين معًا: الجانب العقلي مع العاطفي، تقديس الروح والجسد معًا، أي نستبقي الذكور والإناث معًا!

مجازاة الله للقابلتين: يقول الكتاب "وكان إذ خافت القابلتان الله أنه صنع الله لهما بيوتًا" [٢١]، فهل يصنع الله بيوتًا؟! إذ تشير القابلتان إلى الكتاب المقدس، فإنه إذ يُدرس بمخافة إلهية، ويعيشهما المؤمنون كما يجب، يقيم الله للكتاب موضعًا في أماكن كثيرة، أي ينفتح مجال الخدمة وتُقام بيوت لله. هكذا يحتاج العالم أن يرى فينا كلمة الله عاملة في قلبنا بخوفٍ إلهيٍ، فيجد الإنجيل له موضع في كل قلب.

وقد أثار هذا النص جدلاً: لماذا يكافئ الله القابلتين وقد كذبتا على فرعون؟... فهل يجوز الكذب كما فعلت أيضًا راحاب الزانية؟... لقد أفرد **القدِّيس أغسطينوس** مقالين عن "الكذب" أوضح فيهما أنه لا يجوز استخدام الكذب حتى ولو كان فيه نفع للآخرين، لأن "الفم الكاذب يقتل النفس" (حك ١: ١١)، وقد أوصانا السيِّد المسيح نفسه "ليكن كلامكم نعم نعم لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (مت ٥: ٣٧)، كما يحذرنا الرسول بولس قائلاً: "لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد

[1] *Methodius: Banquet of the ten Virgins 4: 2.*

على قريبه" (أف ٤: ٢٥). وقد علل القديس مكافأة الرب للقابلتين أنه عاملهما حسب درجتهما الروحية وقدرتهما على التصرف[1]. ومن ناحية أخرى يقول إنه كافأهما "ليس لأنهما كذبتا، وإنما لأنهما صنعتا رحمة بشعب الله. لم يُكافأ فيهما خداعهما (لفرعون)، بل معروفهما وحنو ذهنها وليس خطأهما بالكذب[2]".

طرح الأطفال في النهر: يقول الكتاب "**ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ابن يولد تطرحونه في النهر**، لكن **كل بنت تستحيونها**" **[٢٢]**، ويعلق على ذلك **العلامة أوريجينوس** قائلاً: **[أترون بماذا يأمر رئيس هذا العالم خدامه؟ إنه يأمر بسرقة أولادنا وإلقائهم في النهر، ونصب الشباك على الدوام منذ ولادتهم. يأمر بالهجوم عليهم منذ يبدأون في لمس ثديي الكنيسة ويطلب نزعهم عنها ومطاردتهم حتى تبتلعهم أمواج العالم...**

تأمل الخطر الذي يهددك منذ ولادتك، بل بالحري منذ ولادتك الجديدة، أي منذ نوالك المعمودية مباشرةً... فقد أُصعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجرب من إبليس (مت ٤: ١). هذا هو أمر فرعون لشعبه بخصوص العبرانيين، أي الهجوم عليهم واقتناصهم في لحظة ولادتهم وإغراقهم... لكن المسيح انتصر حتى يفتح لك طريق النصرة، انتصر وهو صائم حتى تدرك أنت أيضًا كيف تُخرج هذا الجنس بالصوم والصلاة (مر ٩: ٢٩)[3].]

[1] *On lying 7.*
[2] *To Consentus, against lying 32.*
[3] *In Exod, hom 2: 3.*

الأصحاح الثاني

إعداد موسى للخدمة

بعد أن كشف الأصحاح الأول عن الحاجة إلى مخلص جاءت الأصحاحات [٢-٤] تتحدث عن إعداد موسى النبي للخدمة.

١. موسى في النهر ١-٤.
٢. موسى في القصر ٥-١٠.
٣. موسى يخدم بغيرة بشرية ١١-١٥.
٤. موسى في أرض مديان ١٦-٢٥.

١. موسى في النهر

سمحت العناية الإلهية للشعب بتجربة قاسية، وفي نفس الوقت كانت تعد لهم المنقذ (١ كو ١٠: ١٣). أعد الله لهم موسى ودربه في فترة ثمانين عامًا، حيث مرّ به في مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: حيث عاش موسى في قصر ابنة فرعون أربعين عامًا يتثقف بحكمة المصريين وعِلمهم، وفي نفس الوقت كان يرضع لبن شعبه العبراني. في هذه الفترة ظن أنه قادر أن يخدم الله معتمدًا على فصاحة لسانه وقدرة تدبيره وحكمته... لكنه فشل.

والمرحلة الثانية: قضاها في البرية لمدة أربعين عامًا يتدرب فيها على معرفة نفسه، أنه بدون الله لا يساوي شيئًا... عرف فيها نفسه أنه ثقيل الفم واللسان (٤: ١٠)، عاجز عن العمل بذاته (٤: ١٤).

أما المرحلة الثالثة: فبدأت بلقائه مع العُلِّيقة المشوكة الملتهبة نارًا، وتعرف على الله الذي يعمل في اللاشيء ليقيم أعمالاً مجيدة.

نعود بعد هذه المقدمة إلى موسى في طفولته، فيتحدث معلمنا بولس الرسول عن والديه كبطلي إيمان قائلاً: "بالإيمان موسى بعدما وُلد أخذه أبواه ثلاثة أشهر لأنهما رأيا الصبي جميلاً ولم يخشيا أمر الملك" (عب ١١: ٢٣). ونحن أيضًا بالله الذي ينظر فى الخفاء إلى أعمالنا يلزمنا أن نخفي كل فضيلة حتى لا تصير فريسة لفرعون (إبليس) وتبتلعها أمواج النهر.

يرى **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم**[1] كيف أخرج الله من أمر فرعون بركة لموسى، إذ يقول: [لو لم يلقَ الأطفال في النهر لما خلص موسى، ولا نشأ داخل القصر حين كان في أمان لم يكن في كرامة]. لكنه حينما أُلقي به في النهر صار في كرامة ورأى القدِّيس في كل الأحداث حتى العنيفة ضد أولاد الله استخدمها الرب كجزء من خطته لخلاصهم.

سفط من البردي: يقول الكتاب: "ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد، أخذت له سفطًا من البردي وطلته بالحمرة والزفت، ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر" [٣].

يرى **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** أن موسى وهو يمثل الحياة الفاضلة التي تلدها الإرادة الحرة خلال ألم الطلق والمرارة، لابد أن يوضع في سفط من البردي أو في تابوت من ألواح متنوعة، لكي تبقى هذه الحياة الفاضلة في أمان من أمواج النهر[2]. هذا السفط هو "التعلم"، فالإنسان الذي يهتم على الدوام أن يتعلم ويكون له شوق للمعرفة الروحية المتجددة النامية، إنما يكون كموسى محفوظًا من كل التيارات المهلكة. لا تقدر الأمواج أن تبتلعه بل تدفعه نحو الشاطئ بعيدًا عن الاضطرابات[3].

دموع أمه: كان السفط هو الحافظ الظاهر للطفل، أما دموع أمه فكانت الحافظ المستتر. في هذا يقول **القدِّيس غريغريوس النيسي:** [من يهرب من مثل هذه الأمور يلزمه أن يقتدي بموسى، ولا يكف عن الدموع، فإنه إن كان في أمان داخل التابوت، لكن تبقى الدموع هي الحارس القوي لمن خلص بالفضيلة[4]]، إن دموع التوبة هي الحارس لكل فضيلة خفية داخل القلب، والسند لها حتى لا يفترسها عدو الخير.

٢. موسى في القصر

ابنة فرعون: يرى **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** أن ابنة فرعون إنما تمثل الفلسفات الزمنية، فهي عقيمة وغير مثمرة، كابنة فرعون العاقر، تتمخض لكنها لا تلد[5]. حقًا كالأميرة ابنة فرعون لها جمالها وسلطانها وغناها وجاذبيتها وتردد الكثيرون عليها ويطلبون رضاءها، لكنا كعاقر لا تشبع النفس. وفي نفس الوقت لا تقف الكنيسة موقف العداء منها، وإنما كما دخل موسى قصرها وإن

---

[1] *St. Chrysostom: In Act. Hom 54.*
[2] *Life of Moses 2:7.*
[3] *Ibid 2: 8.*
[4] *1bid 2: 9.*
[5] *Ibid 2: 11.*

كان قد نشأ يرضع لبن أمه، هكذا نتقبل الفلسفات والعلوم ولا نحتقرها، لكننا نتمسك بتقليد الكنيسة أمنا وإنجيلها وتعاليمها وفكرها وكل حياتها.

وقد اهتمت مدرسة الإسكندرية المسيحية منذ بدء انطلاقها بهذا العمل، أي قبول الفلسفة دون الانحراف عن الفكر الإنجيلي، إذ يقول **المؤرخ شاف:** [هدف اللاهوت الإسكندري إلى مصالحة المسيحية مع الفلسفة... مقيمًا هذه الوحدة على أساس الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة][1]. فقد رأى **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري** أنه لا عداوة بين المسيحية والفلسفة[2]، وأن الفلسفة ليست عملاً من أعمال الظلمة، بل في كل مذهب من مذاهبها يشرق عليها شعاع نور[3] من اللوغوس، منتقدًا القائلين أن الفلسفة شر[4]. لقد أوضح أن الله استخدام الفلسفة عند اليونانيين ليدخل بهم إلى معرفة المسيح "الحق".

ويرى **العلامة أوريجينوس** أن ابنة فرعون تشير أيضًا إلى **كنيسة الأمم** التي تقبلت موسى (الناموس) من اليهود خلال النهر (المعمودية) وأدركته بمفهوم جديد، إذ حملته معها إلى قصرها. في هذا يقول: [أعتقد أن ابنة فرعون تمثل الكنيسة التي تجتمع من كل الأمم. فإنه وإن كان أبوها ظالمًا ووثنيًا لكنه قيل لها: "اسمعي يا ابنة وانظري واصغي وانسي شعبك وبيت أبيك، لأن الملك قد اشتهى حسنك" (مز ٤٤: ١). إنها تخرج من بيت أبيها، وتأتي إلى المياه لتغتسل من خطاياها التي اقترفتها في بيت أبيها، حينئذٍ تقتني "أحشاء رأفات" وترْقَ للطفل. هذه هي الكنيسة القادمة من الأمم لتجد في النهر موسى الذي رفضه خاصته. إنها تأتي إليه بمرضعة من بني جنسه حيث يقضي فترة طفولته ويكبر. يُقدم إليها موسى فتتبناه. كثيرًا ما شرحت أن موسى يمثل الناموس، فبحضور الكنيسة إلى مياه المعمودية تأخذ الناموس الذي كان مخفيًا في سفط من البردي مطليًا بالحمرة والقار... إذ كان الناموس نائمًا في مثل هذا الموضع أسير حواس اليهود (الجسدية) الملوثة، حتى جاءت كنيسة الأمم لتجتذبه من وسط الحمرة وتسكنه في بلاط قصر الحكمة الملوكي. وهكذا عبر الناموس من خاصته لأنهم لا يعرفون كيف يسمعونه روحيًا وهو صغير كطفل يرضع اللبن. لكنه إذ قُدم للكنيسة ودخل البيت كبر وتقوى فلم يلبس ثوب الضعة والحقارة، إنما صار يلبس كل ما هو عظيم وسامٍ وجميل. ما هي هذه العظمة إلاَّ السمو في الروحيات؟!...

---

[1] *Schaff, vol. 2, p. 77.*

القمص تادرس يعقوب: آباء مدرسة الإسكندرية الأولون طبعة ١٩٨٠. ص ١٤-١٥، ٤٨-٤٩، ٧٢-٧٦، ١٨١-١٨٤.

[2] آباء مدرسة الإسكندرية الأولون طبعة ص ٧٣-٧٦.

[3] *Strom 1: 13.*

[4] *Ibid 1: 4.*

إذن فلنصلِ لربنا يسوع المسيح ليكشف لنا ذاته ويرينا أيضًا عظمة موسى وسموه[1].

أما من جهة الاسم، فقد دعته ابنة فرعون "موسى"، الذي يعني بالمصرية "ماء" [١٠]، وهو الاسم الذي دعاه به الله نفسه، وكما يقول **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص:** [لم يستنكف الله أن يدعو خادمه بهذا الاسم، ولا حسبه أمرًا غير لائق أن يترك له الاسم الذي أعطته إيَّاه امرأة أجنبية ليعبر عما يناسب النبي[2]].

ويرى **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري**[3] أن "موسى" هو الاسم المصري ويعني المنتشل من الماء، أما اسمه العبراني عند ختانه فهو يهوياقيم، وله اسم ثالث في السماء في نظر الرمزيين هو "ملكي" (تث ٢٣: ٥).

٣. موسى يخدم بغيرة بشرية

إذ تثقف موسى بحكمة المصريين قرابة أربعين عامًا ظن أنه قادر أن يخدم الله، معتمدًا على فصاحته وحكمته. ظن في نفسه أنه شيء فارتبك في خدمته، "إذ التفت إلى هنا وهناك" [١٢]، مهتمًا بنظرة الناس إليه، مع أن خادم الله لا يهتم ببُغض الناس أو رضائهم عن خدمته، ما دام يعلم أن الله هو الذي أرسله... موسى خرج إلى الخدمة معتمدًا على كفاءته الخاصة فخاف وهرب من الخدمة [١٥].

هذا ويلاحظ أن ما تعرض له موسى إنما يتعرض له كل من يضع في قلبه أن يكرس حياته لله، فيواجه حربين: حرب شمالية وأخرى يمينية.

أ. الحرب الشمالية: وهي الحرب ضد الشر الواضح، وذلك كما رأى موسى الصراع بين رجل غريب الجنس وآخر من بني جنسه، فضرب الأول ضربة قاضية وطمره في الرمل، هكذا حمل ذلك صورة رمزية للمؤمن الذي لا يضرب إنسانًا، وإنما يضرب كل شرّ في قلبه ويدفنه، حتى لا يكون للخطية الغريبة عن طبعنا موضع داخلنا.

ب. الحرب اليمينية: وهي حرب مع البر الذاتي، حين يظن الإنسان في نفسه أنه قد صار بارًا أفضل من الآخرين، ليست له خطايا واضحة. وهذه حرب أمرّ بين العبراني وأخيه، أي بين الإنسان وذاته "الأنا".

---

[1] *In Exod, hom 2: 4.*
[2] *Answer to Eunomius, Second Book. N.P.N.F., Series 2, vol 5, 79.*
[3] *Strom 1: 23.*

كذلك يواجه المؤمن حربين: حرب ضد الخطية ظاهرة وسهلة نسبيًا، وحرب الانقسام الداخلي في الكنيسة وهي أخطر وأقسى... تؤدي إلى هروب الكثيرين من الخدمة، كما اضطر موسى إلى ذلك.

ويعلق **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم** على كلمات العبراني "من جعلك رئيسًا وقاضيًا علينا؟! أمفتكر أنت بقتلي؟!" [١٤]، قائلاً[1]: [إن الشعب كان أشبه بمريض يرى الطبيب الماهر قد أمسك بمشرط في يده، ففي ثورته وخوفه قال: من أقامك طبيبًا وأعطاك مشرطًا لتستخدمه؟!]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد استخدم الله هذا الأمر لنفع موسى حتى يهرب ليتعلم الفلسفة في البرية وينظر الرؤيا[2].

٤. موسى في أرض مديان

بعد أربعين عامًا انتقل موسى إلى البرية ليتدرب على معرفة حقيقة نفسه أنه لا شيء... إذ يقول: "من أنا حتى أذهب إلى فرعون؟!" (٣: ١٢) وبهذا تأهل لنوال قوة إلهية.

ما أحوج الخادم إلى ترك موقع الخدمة والانطلاق نحو "حياة الوحدة" يمارس اتحاده مع الله حتى يتأهل لاتساع القلب بالأكثر ليحب المخدومين.

هناك في البرية سكن رعوئيل الذي تفسيره "الله صديق" وتزوج بصَفُّورة التي تعني "عصفورة" وأنجب منها جرشوم الذي يعني غريب. وكأن موسى هنا يمثل الخادم الذي في وحدته يلتقي بالله صديقًا له، وتتحد حياته بالعصفورة أي بالفكر السماوي الطائر في العلويات، ويلد الشعور الدائم بالغربة...

ويلاحظ أن حميه رعوئيل دُعيَ يثرون (خر ٣: ١)، غالبًا كلقب شرف بكونه كاهن مديان، والتي تعني "المتقدم في السمو"[3]، كما دُعيَ في سفر العدد ١٠: ٩، "حوباب بن يثرون"، وربما حوباب تعني رعوئيل أيضًا، ويرجح أنه من نسل إبراهيم وقطورة (تك ٢٥: ٢).

أما عمل موسى فكان رعاية الغنم، وقد رأى **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري**[4] **والعلامة أوريجينوس**[5] في هذا العمل صورة السيِّد المسيح الراعي الصالح الذي يرعى حركات النفس الداخلية كقطيع.

---

[1] *St. John Chrysostom: in 2 Car. Hom 15.*
[2] *In Act. Hom 54.*
[3] *J. Hastings: Dict. Of the Bibe, p. 496.*
[4] *Strom 1: 23.*
[5] *In Jerm. Hom 5: 6.*

الأصحاح الثالث

العُلِّيقة المُتَّقدة نارًا

يتحدث هذا الأصحاح عن:

١. العُلِّيقة المُتَّقدة نارًا	**١–٤.**
٢. خلع الحذاء	**٥.**
٣. دعوة موسى للخدمة	**٦–١٠.**
٤. اعتذار موسى	**١١–١٣.**
٥. اسم الله	**١٤–١٧.**
٦. سرّ الأيام الثلاثة	**١٨.**
٧. يد الله القوية	**١٩–٢٢.**

١. العُلِّيقة المُتَّقدة نارًا

بينما كان موسى يرعى غنم حميه يثرون ساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب، إذا به يرى عُلِّيقة تتقد نارًا ولا تحترق فقال: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" [٣]. هنا دخل موسى النبي إلى مرحلة جديدة هي مرحلة اللقاء مع الله الذي هو سرّ القوة، والراعي الخفي الذي يعمل لخلاص العالم وبنيان الكنيسة.

والآن إلى أي شيء تشير هذه العُلِّيقة المُتَّقدة؟

أ. إن كلمة "العُلِّيقة" بالعبرية كما جاءت في العددين [٢، ٣] تعني "العُلِّيقة المملوءة شوكًا *The thorny bush*"[1]، لذا رأى اليهود في هذه العُلِّيقة رمزًا لإسرائيل وقد أحاطت به الأشواك والأتعاب التي تلحق به[2]. وقد أخذ بعض الآباء الأولين ذات الفكر، فرأى **العلامة ترتليان**[3] في العُلِّيقة إشارة إلى الكنيسة التي تشتعل فيها نار الاضطهاد ولا تُبيدها، ونادى بذات الرأي **القدِّيس هيلاري أسقف بواتييه**[4].

---

[1] *Philo: Vita Mos. 1: 12: 65.; St. Clem. Alex., Paed 2: 8: 75.*
[2] *Midrash Rabbah: Exod 2: 5; Philo: Vita Moses 1: 12: 65.*
[3] *Ad Gnost.*
[4] *Tract. Myst. 1: 30.*

كما يقول **القدِّيس هيبوليتس الروماني:** [يتحدث الله مع قديسيه في الكنيسة كما في العُلِّيقة[1]]. وكأن موسى النبي رأى في العُلِّيقة كنيسة السيِّد المسيح المتألمة تحوط بها الأشواك، لكنها ملتهبة بنار الروح الإلهي فلا يصيبها الموت... هذه هي الخدمة التي دُعي إليها!

ب. يرى **القدِّيس أغسطينوس** أنها تشير إلى مجد الله الذي حلَّ في الشعب اليهودي لكنه لم يبيد قساوة قلبهم المملوءة أشواكًا[2].

ج. يرى **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري**[3] في العُلِّيقة إعلانًا عن الميلاد البتولي، فقد وُلد السيِّد المسيح من البتول، وبميلاده لم تُحل بتولية العذراء. هذا أيضًا ما عناه **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** إذ قال: [نور اللاهوت الذي أشرق منها نحو الحياة البشرية خلال ميلادها (ليسوع المسيح) لم يحرق العُلِّيقة المُتَّقدة، وذلك كما أن زهرة البتولية فيها لم تذبل بإنجابها الطفل[4]]. وفد نادى **ثيؤدورت** أيضًا بذات الرأي[5].

د. يرى **القدِّيس كيرلس الإسكندري**[6] أن العُلِّيقة حملت سرّ "التجسد الإلهي"، فقد اتحد اللاهوت بالناسوت دون أن يُبتلع الناسوت. فإنه ما كان يمكن لموسى النبي أن يبدأ هذا العمل الخلاصي ما لم يتلمس ظلال التجسد الإلهي، فيتعرف على "الكلمة الإلهي" المتجسد كصديق للبشرية، صار واحدًا منا، عاش بيننا يحمل جسدنا وإنسانيتنا حتى يدخل بنا إلى أمجاده الإلهية. في هذا يقول **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص:** [لم يشرق النور خلال كوكب مضيء بل خلال عُلِّيقة أرضية، لكنه كان يفوق في بهائه الأنوار السماوية، وفي نفس الوقت لكي لا يظن أحد أنه ليس صادرًا عن مادة ملموسة[7]]، أي لئلاَّ ينكر حقيقة تجسده.

هـ. أخيرًا رأى **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم** في العُلِّيقة صورة حيَّة لقيامة السيِّد المسيح، الذي حمل جسدًا حقيقيًا، ومات فعلاً، لكنه لم يُمسك في الموت على الدوام[8].

---

[1] *Ben Mos.*
[2] *N.P.N.F., vol 1, p. 229 (n).*
[3] *Adu. Anthropom 26 P.G. 76: 1129 A.*
[4] *Vita Mos. 2: 21.*
[5] *N.P.N.F., vol. 1, p. 229 (n).*
[6] *In Exod.*
[7] *Vita Mos. 2: 20.*
[8] *In 1 cor. Hom 38.*

وفي هذه المناسبة نذكر ما كتبه **القدِّيس جيروم** إلى **أبيفانيوس** كاهن *Beatrice* بأسبانيا يواسيه لأنه كفيف لا يبصر، قائلاً: [يليق بك ألاَّ تحزن لأنك حُرمت من الأعين الجسدية التي يشترك فيها النمل والحشرات الطائرة والزواحف مع الإنسان، بل بالأحرى تفرح أن لك العين المذكورة في سفر نشيد الأناشيد... هذه التي بها تنظر الله، والتي أشار إليها موسى حين قال: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" [٣][1].

ويلاحظ أن الكتاب يقول: "وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُلِّيقة" [٢]. وهنا كلمة ملاك تعني "مرسل"، وتشير إلى الأقنوم الثاني، الابن الذي أُرسل من قبل الآب ليعلن هذا العمل ويرسل موسى النبي... فلو أن الذي ظهر ملاك وليس الأقنوم الثاني لما قال: "ناداه الله من وسط العُلِّيقة... ثم قال: أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله" [٤-٦].

يرى بعض الآباء أن الآب لا يُرى، لكن كلمته تُعلن هنا في العُلِّيقة كنار ملتهبة، وهو بعينه الذي يأتي في آخر الأزمنة متجسدًا "لكي يخبر" عن الآب!

٢. خلع الحذاء

يقول الرب لموسى: "لا تقترب إلى هنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة" [٥].

في حديثنا عن قدسية الهيكل[٢] قلنا أننا إلى يومنا هذا ندخل الهيكل حفاة الأقدام كوصية الرب لموسى النبي. وخلع الحذاء يشير إلى الشعور بعدم تأهلنا حتى للوقوف في هذا الموضع المقدس الذي فيه تقدم الذبيحة المخوفة التي تشتهي الملائكة أن تطلع إليها. خلع الحذاء أيضًا – عند الآباء – يحمل معانٍ أخرى كثيرة وعميقة، نذكر منها:

أ. كانت الأحذية في القديم تصنع من جلد الحيوان الميت، وكأن الله بوصيته هذه يطلب منا أن نخلع عنا محبة الأمور الزمنية الميتة لنلتصق بالسمويات الخالدة حتى نلتقي به. هذا ما نادى به العلامة أوريجينوس، وأخذ عنه كثير من الآباء. فيقول **القدِّيس أغسطينوس:** [أي أرض مقدسة مثل كنيسة الله؟! إذن لنقف فيها ونحن خالعين أحذيتنا، أي رافضين الأعمال الميتة[٣]]. ويقول **القدِّيس**

---

[1] *Ep 76: 2.*

[٢] المؤلف: الكنيسة بيت الله ١٩٧٩، ص ٩٦-٩٧.

[3] *St. Augustine: Sermons on N. T. Lessons, Sermon 52: 7.*

أمبروسيوس: [كان موسى رمزًا للشعب لم يحتذي بحذاء الرب (مت ٣: ١١)، بل بنعل رجليه! لذا أمره الرب بخلعه حتى يحرر خطوات قلبه وروحه من قيود ورباطات الجسد، ويسير في طريق الروح[١]. ويقول **القدِّيس غريغوريوس النزينزي:** [ليت من يقترب إلى الأرض المقدسة التي هي قدس الله يخلع نعليه كما فعل موسى حتى لا يدخل بشيء ميت إلى هناك، ولا يكون بينه وبين الله شيء... أما من يهرب من مصر(محبة العالم) والأشياء التي بها فليحتذي لأجل سلامته، حتى لا تلدغه العقارب والحيات الكثيرة الموجودة بها، فلا تؤذِهِ تلك التي تطلب عقبه (تك ٣: ١٥) وإنما كما أُوصى يطأها بقدميه (لو ١٠: ١٩)[٢].]

ب. الجلد الذي تصنع منه الأحذية – كما يقول **العلامة أوريجينوس** – يستخدم في الطبول. هنا إشارة إلى عدم استخدام الطبول أو حب الظهور في العبادة، إنما خلال الجهاد الروحي المملوء اتضاعًا يمكن للنفس أن تدخل إلى المقدسات الإلهية وتلتقي بإلهها.

ج. يرى **العلامة أوريجينوس** أيضًا أن خالع النعلين مرتبط بما ورد في العهد القديم، أنه إن رفض إنسان أن يتزوج أرملة أخيه كوصية الله ليقيم لأخيه الميت نسلاً، تأتي الأرملة إليه في حضرة الشيوخ وتخلع حذاءه من رجليه، ويسمى "بيت مخلوع النعلين" (تث ٢٥: ٥-١٠)، هكذا إذ خلع موسى نعليه أعلن أنه ليس بعريس الكنيسة. وفي كل مرة يخلع الأسقف أو الكاهن أو الشماس حذاءه عند دخوله الهيكل إنما يدرك حقيقة نفسه أنه ليس عريس الكنيسة الحقيقي بل صديق العريس وخادمه.

أخذ **القدِّيس أمبروسيوس** ذات الرأي عن **العلامة الإسكندري أوريجين** فقال: [لم يكن موسى العريس لذلك قيل له: "اخلع حذاءك من رجليك" حتى يترك المكان لربه. ولا يشوع بن نون كان العريس لذا قيل له؟ "اخلع نعلك من رجلك" (يش ٥: ١٦)، لئلاً بسبب تشابهه مع الاسم (يسوع) يظن في نفسه أنه يسوع المسيح عريس الكنيسة. ليس أحد هو العريس إلاَّ السيِّد المسيح الذي وحده قال عنه يوحنا: "من له العروس فهو العريس" (يو ٣: ٢٩). لذا خلع هؤلاء أحذيتهم من أرجلهم، أما حذاء السيِّد المسيح فلا يمكن أن يُحل إذ قال **القدِّيس يوحنا:** "لست مستحقًا أن أحل سيور حذائه" (يو ١: ٢٧)[٣].]

---

[١] القديس إمبروسيوس: تفسير إنجيل لوقا. وفي حديثه "بخصوص التوبة ٢: ١١" يقول: [كم بالأولى يليق بنا نحن أيضًا أن نحرر أقدام نفوسنا عن رباطات الجسد وتنقي خطواتنا من كل رباطات هذا العالم!!]..

[2] *Greg. Naz.: Second Oration on Easten, 19.*

[3] *St. Ambrose: of The Christian Faith 3: 10.*

د. ربط **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** بين خلع الحذاء الجلدي وثوبيّ الجلد اللذين لبسهما آدم وحواء (تك ٣: ٢١) بعد سقوطهما في العصيان، إذ يقول: [يعلمنا هذا النور(الذي للعُلِّيقة) أنه يليق بنا أن نقف أمام النور الحقيقي. لكن الأقدام التي بها أحذية لا تقدر أن ترتفع إلى العلو الذي من خلاله ترى الحق. لهذا يلزمنا أن نخلع عن قدمي النفس الغطاء الجلدي الأرضي الميت، الذي وُضع حول طبيعتنا في البداية حين تعرينا بسبب عصياننا للإرادة الإلهية. بهذا تكون لنا معرفة الحق التي تعلن عن ذاتها لنا، فنتحقق كمال المعرفة للأمور الموجودة (الحق)، بتطهير أفكارنا عن الأمور غير الموجودة (غير الحق أو الشر)[١]. وقد احتل تعليم **القدِّيس غريغوريوس** عن "ثوبي الجلد" مركزًا هامًا في كتاباته، فيقول مثلاً: [الختان يعني خلع الجلد الميت الذي لبسناه حين طُردنا من الحياة الفائقة الطبيعة بعد عصياننا[٢]. لذا فالعمودية في نظره هي خلع هذا الثوب الجلدي المحيط بطبيعتنا، أي خلع أعمال الإنسان القديم، هذا الذي يعلن عن موتنا وشهواتنا التي دخلت إلينا بعدما كنا على صورة الله[٣].

٣. دعوة موسى

من خلال العُلِّيقة الملتهبة نارًا دُعيَ موسى وهو واقف حافي القدمين ليتسلم خدمة شعب الله، وهنا نلاحظ:

أ. تطلع موسى النبي إلى العُلِّيقة وإذا كلها أشواك، لكن النار الإلهية ملتهبة خلالها دون أن تحترق... لعله رأى في ذلك عمل الله الناري الذي يستخدمنا بكل ما فينا من أشواك، يلهب قلوبنا ويعمل بنا بالرغم من كل ضعفاتنا. وكما يقول **القدِّيس أمبروسيوس:** [لماذا نيأس، إن الله يتحدث في البشر، هذا الذي تكلم في العُلِّيقة المملوءة أشواكًا؟! إنه لم يحتقر العُلِّيقة! إنه يضيء في أشواكي![٤]].

حقًا إن المتحدث نار آكلة (إش ١٠: ٧)، والدعوة صدرت عن النار الإلهية، لكنها لا تؤذي موسى بل تسنده وتلهبه... كما فعل الروح القدوس الناري في التلاميذ، الذي أحرق ضعفاتهم وأعطاهم قوة للحياة الجديدة الكارزة (مت ٣: ١١؛ أع ٢).

---

[1] *Vita Mos. 2: 22.*

[2] *De beat. 8 P.G. 44: 1292 B.*

[٣] تحدث القديس عن ثوبيّ الجلد فى كثير من أعماله، منها:

In Inscrip Ps 1: 7 P.G. 44: 456 C;
Or. Cat. 8 P.G. 45: 33 C, D;
De Virg. 12, 13 P.G. 46: 373 D, 376 B;
De Mel. Epis. P.G. 46: 861 B;

[4] *St. Ambrose: Can. Virgins 1:1. In Cant. 11 P.G. 44: 1004 D, 1005 C.*

ب. إذ دعى الله موسى النبي لم يحدثه عن مؤهلاته للخدمة وإمكانياته البشرية بل حدثه عن نفسه، الإمكانيات الإلهية المقدمة له، قائلاً له: "أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" [٦]. وكانت هذه الكلمات تخرج بسلطان وقوة نارية حتى "غطَّى موسى وجهه لأنه خاف" [٧]. تحدث أيضًا عن قيامه هو بالخلاص، فقد رأى وسمع وعلِم مذلة شعبه، لذا فهو ينزل لإنقاذهم...

أما سرّ قوة موسى النبي فهو "إني أكون معك" [١٢]. وهو ذات الوعد الذي يعطيه لجميع أنبيائه ورسله وكل العاملين في كرمه. فيقول ليشوع بن نون: "كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك" (يش ١: ٥)، ويؤكد لإرميا النبي "لأني أنا معك يقول الرب لأنقذك" (إر ١: ١٦)، ويقول لتلاميذه: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠).

٤. اعتذار موسى

أراد موسى أن يعتذر عن الخدمة قائلاً: "من أنا حتى أذهب إلى فرعون، وحتى أُخرِج بني إسرائيل من مصر؟!" [١١].

طبيعة موسى الضعيفة بالرغم من كونه من رجال الإيمان جعلته يتردد في قبول الدعوة، وربما كان ذلك من آثار فشله الأول حين خرج إلى الخدمة متكلاً على ذراعه البشري. فما كان له أن يقول: "من أنا؟!" بعد أن عرف أن الله نفسه هو الذي يرسله وهو الذي ينزل ليخلص.

أصر موسى على إعفائه أكثر من مرة، تارة يضع أسئلة واعتراضات، كأن يقول: "فإذا قالوا ما اسمه، فماذا أقول لهم" [١٣]، والرب يُجيبه، وأخرى يقول: "ولكن ها هم لا يُصدقونني" (٤: ١). فيعطيه الرب إمكانية عمل آيات ومعجزات... الخ، وثالثة يعترض بسبب ضعفه الشخصي قائلاً: "أنا ثقيل الفم واللسان" (٤: ١٠). والله يؤكد له أنه هو خالق الفم واللسان "اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به" (٤: ١٢). إذ لا يجد أي حجة يقول: "استمع أيها السيِّد، أرسل بيد من ترسل" (٤: ١٣)، حتى حميَ غضب الله (٤: ١٤) فأعطاه هرون شريكًا معه في الخدمة.

هكذا إذ يدعونا الله للخدمة لا يتركنا نستعفى بل يقدم لنا إجابات عملية لكل تساؤلاتنا، ويسند كل ضعف فينا، ويكمل كل نقص في إمكانياتنا، فهو الراعي الخفي لقطيعه المقدس.

٥. اسم الله

عرف موسى أن الذي يحدثه هو الله، فسأله عن اسمه "فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه، وقال هكذا قل لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم... إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم" [١٤-١٥].

حملت إجابة الله لموسى شقين:

أولاً: أن الله غير مُدرَك وفوق كل تسمية "أهيه أي أنا هو".

ثانيًا: أنه الله المنتسب للبشرية، مُنتسب لخاصته الأحباء "إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب".

أولاً: أهيه الذي أهيه *AHIAH*

يرى **فيلون اليهودي الإسكندري** أن هذا الاسم "**أهيه**" يكشف عن جانبين في الله: **أولاً** أنه هو الكائن وحده الذي بجواره يكون الكل كأنه غير موجود. **ثانيًا** أنه ليس اسم يقدر أن يعبَّر عنه. في هذا يقول: [إخبرهم أولاً إني أنا هو الكائن حتى يعرفوا الفارق بين من هو كائن وما هو ليس بموجود. كما قدم لهم الدرس الآخر أنه لا يمكن لاسم ما أن يُستخدم ليليق بي أنا الذي إليه وحده ينسب الوجود[١]].

ويرى **القدِّيس أغسطينوس** أن هذه العبارة تعني أنه إذا قورنت كل الأمور الزمنية بالله تصير "باطلاً"[٢] أو "لا شيء"، وأنها تعلن عن الله بكونه الوجود الأول والسامي غير المتغير[٣].

هذه العبارة تُظهر الله أنه حاضر على الدوام، ليس فيه ماضٍ انتهى ولا مستقبل منتظر، لكنه فوق الزمن "حاضر دائم"... في هذا الحاضر الدائم، أو الأبدية الحاضرة "نجد لنا ملجأ، فنهرب إليه من كل تغيرات الزمن ونبقى فيه إلى الأبد"[٤].

إن كان الله هو الوجود الدائم، [إذن من يأخذ الاتجاه المضاد لله إنما يسير نحو العدم[٥].]

---

[1] *Philo: Vita Mos. 1: 14: 75.*

[2] *St. Augustine: On Ps. 144.*

[3] *St. Augustine: City of God 12: 2; On Christian Doctrine 1: 32.*

كثير من الآباء فسروا هذه العبارة على أن الله غير مدرك وأنه إذا قورنت الخليقة به تحسب كأنها غير موجودة (القديس جيروم رسالة ٤٨: ١٤).

[4] *St. Augustine: on Ps. 90.*

[5] *St Augustine: On Ps. 39.*

في حديث **الأب ميثوديوس** عن البتولية وعظمة البرّ المسيحي يقول: [لا يقدر أحد أن يرى بعينيه عظمة أو شكل أو جمال البرّ ذاته أو الفهم أو السلام، إنما تظهر هذه جميعها كاملة وواضحة في ذاك الذي قال أن اسمه "أنا هو"[١].]

ثانيًا: إله آبائكم

قول الله لموسى: "إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب" [١٥]. وتكرارها ثلاث مرات في هذا اللقاء بين الله وأول قائد للشعب [٦، ١٥، ١٦] سحب قلب آباء الكنيسة، فقد رأى **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري** علامة الصداقة الإلهية الإنسانية فمع أن الله هو إله العالم كله، إله السمائيين والأرضيين، لكنه ينسب نفسه للأخصاء أصدقائه. إنه لا يود أن يكون سيِّدًا بل صديقًا فنراه يكلم موسى وجهًا لوجه كما يُكلم الصديق صاحبه (خر ٣٣: ١١)، ويطلب منه "قف عندي هناك" (٣٤: ٢). ويقول **القدِّيس أفراهات:** [أسماء الله متعددة ومكرمة... أما الاسم الذي تمسك به والذي هو عظيم ومكرم فليس ما يخص بره، إنما ما يخص علاقته بالبشر كخليقته "الخاصة به"[٢]. ويقول **القدِّيس أغسطينوس:** [برحمته ربط نعمته بالبشر قائلاً: "أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب"، حتى يُفهم من هذا أن هؤلاء الذين هو إلههم إنما يعيشون معه إلى الأبد. إنه ينطق بهذا حتى يفهم أولاده أنه يلزمهم بقوة الحب أن يعرفوا كيف يطلبون وجهه إلى الأبد، ويدركوا قدر ما يستطيعون هذا الذي هو "أهيه الذي هو أهيه"[٣].

والآن إذ نربط الاسمين معًا "أهيه"، "إله أبائكم" نقول إن الله غير المدرَك ولا متغير، الذي فوق كل حدود الزمن، يقدم ذاته للبشرية ليتعرفوا عليه كإلههم الخاص، المشبع لكل احتياجاتهم. لذا لم يتحدث قط أي نبي عن نفسه كأنه شيء يقتنونه، أما السيِّد المسيح فهو "كلمة الله" الذي جاء يقدم ذاته في أكثر من موضع، قائلاً: "أنا هو"... قدم نفسه الصديق والعريس، والأخ البكر والمخلص، والخبز النازل من السماء والينبوع الحيّ، والقيامة والباب، والطريق والحق والحياة، وأخيرًا قال "أنا هو الألف والياء" أي مشبع كل حياتنا[٤].

---

[1] *Methidius: Disc. 8, ch 8.*
[2] *Aphrahat: Demon. 17 of Christ the Son of God, ch. 5.*
[3] *On Ps. 110.*

[٤] للقديس يوحنا الذهبي الفم حديث شيق في هذا، راجع كتابنا "الكنيسة تحبك".

وأخيرًا، نلاحظ أن السيِّد المسيح استخدم الاسم الثاني ليؤكد للصدوقيين القيامة، فإن الله إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، إله أحياء وليس إله أموات: (مت ٢٢: ٣١-٣٢). فإن كان الله هو الحيّ إنما ينسب لنا، واهبًا إيَّانا الحياة لنبقى معه إلى الأبد[1].

٦. سرّ الأيام الثلاثة

أمر الله موسى أن يطلب مع الشيوخ من فرعون قائلين: "الرب إله العبرانيين التقانا، فالآن نمضي سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا" [١٨].

لقد طلب الرب منهم أن يخرجوا سفر ثلاثة أيام في البرية ويذبحوا للرب، وكان فرعون يطلب من موسى وهرون أن تقدم الذبائح في أرض مصر، لكن موسى أجابه "لا يصلح أن نفعل هكذا... نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا كما يقول لنا" (٨: ٢٦-٢٧). وأخيرًا سمح لهم بالخروج، لكنه كان يقول لهم "لا تذهبوا بعيدًا" (٨: ٢٨)، أما موسى فأصر على السفر ثلاثة أيام... لماذا؟

الطريق الذي يخرج فيه الشعب ليقدم لله ذبيحة إنما هو السيِّد المسيح نفسه الذي قام في اليوم الثالث، وخلال قيامته تقبل كل عبادة وتقدمة منا للآب.

للعلامة أوريجينوس أحاديث طويلة عن سرّ الأيام الثلاثة، نقتطف منها العبارات التالية: [يلزمنا أن نخرج من مصر ونترك العالم إن كنا نريد أن نخدمه! لا نتركه جسمانيًا بل نتركه من جهة أفكارنا؛ ليس بالخروج من الطرق العادية الملموسة وإنما بالتحرك الإيماني. اسمعوا ما يقوله **القدِّيس يوحنا** في هذا الشأن: "يا أولادي لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم، لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون" (١ يو ٢: ١٥-١٦)...

ماذا يقول موسى؟ "نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية نذبح للرب إلهنا" (٥: ٣). ما هو هذا الطريق الذي يقطعه في ثلاثة أيام للخروج من مصر والذهاب إلى الموضع الذي ينبغي أن نذبح فيه للرب؟ إنه الرب نفسه القائل: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦). ينبغي أن نسير في هذا الطريق ثلاثة أيام، لأنك "إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رو ١٠: ٩). هذه هي الأيام الثلاثة التي تقطعها في الطريق لتصل إلى الموضع الذي يُذبح فيه للرب وتُقدم "ذبيحة التسبيح" (مز ٤٩: ١٤).

هذا هو المعنى السري، أما المعنى السلوكي (الأخلاقي) وهو أهم، فإننا نترك مصر مسيرة ثلاثة أيام حين نكون أنقياء في الجسد والروح، كقول الرسول: "احفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور

[1] *St. Aug,: On the Gospel of St. John, tr. 12: 2.*

ربنا يسوع المسيح" (١ تي ٦: ١٤). إننا نترك مصر مسيرة ثلاثة أيام حين نفصل عقلنا وطبيعتنا وإحساساتنا عن أمور هذه الحياة لنلتصق بوصايا الله. نترك مصر ثلاثة أيام حين تتنقى أفعالنا وكلماتنا وأفكارنا، إذ توجد ثلاث فرص للخطية (خلال العمل والكلام والفكر)[1].

يُريد إبليس (فرعون) ألاَّ نبتعد كثيرًا، فلا نسير ثلاثة أيام (٨: ٢٨)... لأن عمل عدو الخير هو حرماننا من التمتع بقوة قيامة السيِّد المسيح في داخلنا. هذا من جانب، ومن جانب آخر ألاَّ نسير في الرب ثلاثة أيام، أي لا نتنقى في أفعالنا وكلماتنا وأفكارنا، إنما يريد أن يكون له موضع فينا إن لم يكن بالعمل فبالكلام، وإن لم يكن باللسان فبالفكر. وعلى حد تعبير **العلامة أوريجينوس:** [يريد أن يضمن أنهم يخطئوا إن لم يكن بالفعل فليكن بالقول وإلاَّ فعلى الأقل بفكرهم. إنه لا يريدهم أن يبتعدوا عنه ثلاثة أيام كاملة. يريد أن يرى له فينا ولو يوم واحد على الأقل، إذ له في بعض الأشخاص يومان وفي الآخرين له الأيام الثلاثة كلها. لكن طوبى لمن ينفصل عنه الأيام الثلاثة بأكملها، ولا يكون له فيه يوم واحد[2]].

بخروجنا ثلاثة أيام ندخل إلى معرفة "القيامة" فتستنير بصيرتنا الداخلية بنور المعرفة الحقيقية. فإن كان فرعون يمثل إبليس "رئيس ظلمة هذا العالم" (أف ٦: ١٢)، فإنه لا يُريدك أن تخرج من دائرة الظلمة إلى نور المعرفة. إنما يُريدك أن تبقى في ظلمة القبر ولا تنعم بنور القيامة. لذا نجده في حديثه مع موسى يعترف بعدم معرفته أي بظلمته قائلاً: "لا أعرف الرب" (٥: ٢).

خبرة الأيام الثلاثة أي القيامة مع السيِّد المسيح اختبرها قبلاً إبراهيم أب الآباء، هذا الذي خرج من بيته ثلاثة أيام وعندئذ رأى العلامة فقدّم ابنه ذبيحة حب لله (تك ٢٢: ٤)، ما هي هذه العلامة التي خلالها يقدم إبراهيم ابنه الوحيد إسحق إلاَّ علامة قيامة المصلوب، لذا يقول معلمنًا بولس الرسول عنه إنه: "آمن بالله القادر على الإقامة من الأموات" (عب ١١: ١٩). رأى قيامة السيِّد المسيح فقدم ابنه إسحق مؤمنًا أن الله قادر أن يقيمه من الأموات.

٧. يدّ الله القوية

من حين إلى آخر يؤكد الله لموسى قدرته على الخلاص قائلاً: "فأمدّ يديّ وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها وبعد ذلك يطلقكم" [٢٥].

---

[1] *Origen: In Exod, hom 3:3.*
[2] *Ibid.*

وفي خروجهم لا يخرجهم فارغين، بل يعطيهم نعمة في أعين الشعب فيُعيروهم أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابًا [٢٢]... أولاً إشارة إلى قوة الخلاص في حياة المؤمن، ليس فقط نفسه تتقدس، لكنه في خروجه نحو كنعان السماوية يحمل معه غنائم كثيرة، طاقاته الداخلية وعواطفه وأحاسيسه ودوافعه، يصير كل ما في داخله مما كان مكرسًا للشر وعلّة موت له مقدسًا ومباركًا. ومن جهة أخرى إن كان الشعب قد سلبت أُجرتهم وأذلوهم في السخرة وبناء بيوت لهم، فإن الله يعطيهم نعمة في أعينهم لكي يقدموا لهم بإرادتهم هذه الأمور: ذهبًا وفضة وثيابًا[١].

أما غاية هذا العمل الإلهي الخلاصي فهو "أصعدكم... إلى أرض تفيض لبنًا وعسلاً" [١٧]، يجد الأطفال البسطاء قوتهم، والناضجون الأقوياء غذاءهم. فاللبن والعسل إنما هما إشارة إلى حياة الشبع واللذة الروحية، لهذا كان المعمَّدون في الكنيسة الأولى يشربون أثناء طقس المعمودية لبنًا ويأكلون عسلاً، إذ بالمعمودية صار لهم حق الدخول إلى كنعان السماوية الموعود بها[٢].

[١] يقول العلامة ترتليان (ضد مرقيان ٤: ٢٤) إن كان الله يأمر ألاّ نُكمّ ثورًا دارسًا فهل يترك هؤلاء محرومين من أجرة عملهم؟!.

[٢] للمؤلف: القديس كيرلس الأورشليمي.

الأصحاح الرابع

موسى يلتقي بشعبه

بعدما التقى موسى بالله خلال العُلّيقة الملتهبة نارًا كان لابد لموسى النبي أن يترك مديان ليلتقي بهرون أخيه وبشعبه في مصر:

١. معجزات ثلاث لشعبه	١–٩.
٢. أنا ثقيل الفم واللسان	١٠–١٣.
٣. هرون كسند لموسى	١٤–١٧.
٤. ترك مديان	١٨–٢٣.
٥. ختان ابن موسى	٢٤–٢٦.
٦. بدء العمل	٢٧–٣١.

١. معجزات ثلاث لشعبه

كما ظهر الله لموسى خلال العُلّيقة المُتّقدة نارًا يعلن له سرّ الخلاص خلال التجسد الإلهي والميلاد البتولي والألم، كان لابد أن يمنح موسى إمكانية تقديم بعض المعجزات التي تحمل ظلاً لهذا السرّ أي الخلاص، خلال التجسد الإلهي والصليب. لقد وهبه ثلاث معجزات يمارسها أمام شعبه، ليس لمجرد إظهار قوة فائقة للطبيعة، وإنما تعلن عمل الله الفائق نحو الإنسان. هذه المعجزات هي: تحويل العصا إلى حية، وجعل يده اليمنى برصاء، تحويل الماء إلى دم.

أولاً: تحويل العصا إلى حية

سأل الله موسى: ما هذه التي في يدك؟ فقال: "عصا" [٢].

ألم يعلم الله ما بيد موسى، فلماذا سأله هكذا؟... يجيب **القدّيس يوحنا الذهبي الفم** قائلاً: [حتى عندما يراها حية لا ينسى أنها هي التي كانت عصا، متذكرًا كلماته هو عنها فيتحير بسبب هذا الحدث[1]]. هذه هي طريقة الله في تعامله معنا كأن يسأل عن لعازر قائلاً: "أين وضعتموه؟" (يو ١١: ٣٤)، حتى متى أقامه يشهد اليهود أنفسهم أنه أقامه من القبر.

---

[1] *St. John Chrys.: In Matt., hom 31.*

لقد أمر الرب موسى أن يُلقي عصاه، التي دُعيت فيما بعد عصا الله [٢٠] على الأرض، فتصير حية تبتلع كل حيات المصريين. الله الكلمة هو عصا الله وقوته الذي نزل على الأرض من أجلنا، "هذا الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا" (٢ كو ٥: ٢١)، لكي يقتل كل خطايانا؛ أي حملت المعجزة ظلالاً لسريّ التجسد والصليب.

يقول **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص:** [ليت تحويل العصا إلى حية لا يقلق محبِّي المسيح، إن كنا نتقبل التعليم الخاص بالتجسد خلال حية غير لائقة، فإن الحق نفسه لم يرفض هذه المقارنة، إذ يقول: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا يُرفع ابن الإنسان" (تك ٣: ١٤). فالتعليم واضح، لأنه إن كان والد الخطية دعاه الكتاب المقدس "حية"، فالمولود من الحية بالتأكيد هو حية، إذن فالخطية هي مرادف مشترك مع الذي يلدها. يشهد النطق الرسولي بأن الرب قد صار خطية لأجلنا، إذ لبس (شبه) طبيعتنا الخاطئة (٢ كو ٥: ٢١).

ينطبق هذا الرمز بحق على الرب، لأنه إن كانت الخطية هي حية، والرب صار خطية، إذن النتيجة المنطقية واضحة للجميع. بكونه صار خطية صار أيضًا حية، هذه التي ليست إلاَّ أنها خطية. من أجلنا صار حية لكي يلتهم حيَّات المصريين التي أوجدها السحرة ويقتلها[١]].

أيضًا يقول **القدِّيس أغسطينوس:** [إلى أي شيء أغرت الحية الإنسان؟ إلى الموت (تك ٣: ١). لذلك فإن الموت جاء عن الحية... إذن فالعصا التي صارت حية هي المسيح الذي دخل إلى الموت...[٢]].

وتحدث أيضًا **القدِّيس إيرينيؤس**[٣] **والقدِّيس كيرلس الإسكندري**[٤] عن هذه العصا المتحولة إلى حية كرمز للتجسد الإلهي، **والقدِّيس يوستين**[٥] **والقدِّيس أمبروسيوس**[٦] كرمز للصليب. أما **العلامة ترتليان**[٧] **والقدِّيس أمبروسيوس**[٨] أيضًا فرأيا فيها رمزًا للقيامة، إذ يقول الأخير هل الذي جعل من العصا حية ألاَّ يقدر بإرادته الإلهية أن يعيد العظام، وتعود الحياة للموتى مرة أخرى؟!

---

[1] *Vita Mos. 2: 31-33.*
[2] *On Ps. 74.*
[3] *Adu. Haer 3: 28.*
[4] *Glaph in Ex. 2: 299.*
[5] *Dial. 86.*
[6] *Duties of Clergy 3: 15.*
[7] *De Res. Mort. 28.*
[8] *On belief in the Resurrection.*

ويعلق **القدِّيس أغسطينوس** على خوف موسى من العصا المتحولة إلى حية وهروبه منها قائلاً: [ما هذا أيها الإخوة إلاَّ ما نعرف أنه حدث في الإنجيل؟! فقد مات المسيح فخاف التلاميذ وهربوا[1]]. كما **قارن القدِّيس يوحنا الذهبي الفم** بين خوف موسى هنا وخوف التلاميذ عندما رأوا السيِّد ماشيًا على البحر (مت ١٤: ٢٥-٢٦)، فالإنسان يخاف ويرتعب عندما يدرك قوة العمل الإلهي[2].

العصا تُشير أيضًا إلى الإيمان، إذ يقول **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص:** [بهذه العصا – كلمة الإيمان – التي في يده، تغلَّب على حيَّات المصريين[3]]. إيماننا بكلمة الله المتجسد المصلوب، وإن كان في نظر اليونانيين جهالة وعند اليهود عثرة، لكنه ابتلع حكمة العالم وفلسفاته البشرية، مقدمًا شفاءً حقيقيًا لجراحات الإنسان. وكما يقول القدِّيس بولس الرسول: "لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلِّص المؤمنين بجهالة الكرازة... لأن جهالة الله أحكم من الناس، وضعف الله أقوى من الناس" (١ كو ١: ٢١، ٢٥).

ويتحدث **القدِّيس أمبروسيوس** عن قوة الإيمان الشافي خلال هذه الحية قائلاً: [هذا يعني أن الكلمة صار جسدًا ليُبيد سمّ الحيات القاتلة، لغفران الخطايا. لأن العصا تُمثل الكلمة. هذا حق، أنه عصا ملوكي صاحب سلطان ومجيد في حكمة. صارت العصا حية، لأن ابن الله المولود من الآب صار ابن الإنسان مولودًا من امرأة، ورُفع كالحية على الصليب، وسكب الدواء الشافي لجراحات الإنسان، كقول الرب نفسه: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا يرفع ابن الإنسان" (يو ٣: ١٤)[4]].

أخيرًا، فإن عودة الحية إلى عصا مرة أخرى إنما تُشير إلى السيِّد المسيح الصاعد إلى السماوات، إلى أمجاده بعدما مزق الصك الذي كان علينا، ليُقيمنا معه ويجلسنا معه في السماويات، شركاء معه في المجد، نستقر في حضن أبيه ببره.

ثانيا: يده اليمنى البرصاء

يقول **القدِّيس أمبروسيوس**[5] إن يد الله الآب اليمنى أو يمين الآب إنما هو الابن الجالس عن يمينه، أي قوة الآب، هذا الذي في حضنه. لقد نزل إلينا حاملاً خطايانا (البرص يشير إلى الخطية)

---

[1] *On Ps. 74.*
[2] *In Matt. Hom 28.*
[3] *Vita Mos. 2: 36.*
[4] *Duties of the Clergy 3: 15*
[5] *Ibid.*

ليغسلنا ويُقدسنا، ثم يعود بنا إلى حضن أبيه أصحاء بلا خطية. وكأن هذه الآية إنما تؤكد الآية السابقة.

يرى **القدِّيس جيروم** في هذا المعجزة إعلانًا عن موت السيِّد المسيح بالجسد إذ صارت يده بيضاء، وقيامته إذ عادت يده إلى ما كانت عليه[1].

ويرى **القدِّيس أغسطينوس** في قول المرتل: "لماذا ترُد يدك ويمينك؟ إخرجها من وسط حضنك. إفنِ، والله ملكي منذ القدم فاعل الخلاص في وسط الأرض" (مز ٧٤)، يرى إنها صرخات موجهة لله الآب حيث يطلب أن يرسل ابنه الوحيد "يمينه" الذي في وسط حضنه، ليفنِ الشر مقدمًا الخلاص في وسط كل الأمم. يقول القدِّيس: [لقد أُصيب اليهود بالعمى فلم يعرفوا السيِّد المسيح كمخلص حتى يكمِّل خلاص الأمم[2]].

ثالثًا: تحويل الماء إلى دم

جاءت هذه المعجزة لتثبيت المعجزتين السابقتين، فإنه لا خلاص لنا إلاَّ خلال دم السيِّد المسيح، الذي يقدس مياه قلبنا الباردة.

٢. أنا ثقيل الفم واللسان

اعتذر موسى النبي عن الخدمة قائلاً: "استمع أيها السيِّد. لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان. فقال له الرب: "من صنع للإنسان فمًا أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرًا أو أعمى، أما هو أنا الرب؟! فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به" [١٠-١٣].

متى شعر موسى أنه ثقيل الفم واللسان؟ حين كان في القصر ابنًا للأميرة ابنة فرعون، يتدرب بكل حكمة المصريين كان يشعر أنه قادر على الكلام، أما الآن إذ صار في حضرة الرب نفسه شعر أنه ثقيل الفم واللسان! وكما يقول **العلامة أوريجينوس**: [أثناء إقامته في مصر عندما تعلم بكل حكمة المصريين (أع ٧: ٢٢) لم يكن موسى ثقيل الفم واللسان، إذ كان يستخدم البلاغة حين يتحدث عن نفسه. كان في عيني المصريين الصوت المجلجل وصاحب البلاغة التي لا تُقارن. غير أنه إذ سمع صوت الله والوصايا الإلهية شعر أنه أخرس، وذلك حينما بدأ يدرك الكلمة الحقيقي الذي كان عند الله في البدء (يو ١: ١). لتسهيل ذلك استخدم التشبيه التالي: أمام الحيوانات غير العاقلة يبدو الإنسان

[1] *To Pammachius against John of Jerusalem 33.*
[2] *On Ps 74.*

عاقلاً حتى وإن كان غير مثقف وغير متعلم فيظهر أنه بليغ، لأنه ليس للحيوانات صوت ولا عقل. لكنه إذا قورن بعلماء وأصحاب بلاغة يتكلمون بكل أنواع الكلام فيظهر عقيمًا وأخرس. هكذا حينما تتأمل كلمة الله ذاته وترفع عينيك نحو الحكمة الإلهية ذاتها، فإنه مهما كان عملك وحكمتك فستعترف أمام الله أنك كالحيوان الأخرس، بل وأكثر منه. هذا هو الشعور الذي انتاب داود الطوباوي نفسه حين قارن نفسه في ميدان الحكمة الإلهية فتال "أنا بليد ولا أعرف، صرت كبهيم عندك" (مز ٢٢: ٢٧). هذا ما قصده موسى أعظم الأنبياء بقوله "أنا ثقيل الفم واللسان" لا أقدر على الكلام. بالمقارنة مع الله الكلمة يصير الناس جميعًا ليس فقط بلا بلاغة بل وخرس[1].

بالوقوف أمام الله اكتشف موسى النبي ثقل فمه ولسانه، انسحق في داخله معتذرًا عن الخدمة فتأهل بالأكثر لكي يملأ الله فمه ليخدم. وقد تحدث الآباء كثيرًا عن اتضاع موسى.

يقول **القديس إكليمنضس الروماني:** [دُعيَ موسى أمينًا في كل بيت الله (عد ١٢: ٧؛ عب ٣: ٢)... مع أنه نال كرامة عظيمة هكذا لكنه لم يستخدم أسلوب العظمة، وإنما حين سمع القول الإلهي من العُلِّيقة قال: "من أنا حتى أذهب؟ أنا ثقيل الفم واللسان" (خر ٣: ١١؛ ٤: ١٠)، كما يقول: "أنا ليس إلاَّ دخان زق"[2].

كما يقول **القديس غريغوريوس النزينزي:** [جيد لك أن تتراجع عن الله إلي حين (في دعوته لك للخدمة) كما فعل قديمًا موسى العظيم (خر ٤: ١٠)، وإرميا (إر ١: ٦)، بعد ذلك تجري في الحال إليه كما فعل هرون (خر ٤: ٢٧)، وإشعياء (إش ١: ٦)، لكنه يلزمنا أن ننفذ الأمرين بروح الخضوع، ننفذ الأمر الأول بشعور الحاجة إلي القوة، وننفذ الأمر الثاني بسبب قدرة ذاك الذي دعانا[3]...]

يقول أيضًا: [هرون كان مشتاقًا (للخدمة) أما موسى فقاوم. إشعياء خضع للحال أما إرميا فكان خائفًا بسبب صغر سنه ولم يجسر أن يتنبأ، حتى يتقبل من الله وعدًا وقوة تفوق سنه[4].]

ويقول أيضًا **العلامة أوريجينوس:** [إذ بلغ (موسى) عمق الفهم الذي هو "معرفته لنفسه"... كافأته النعمة بمواهب عظيمة كهذه: "أنا أكون معك وأعلمك ما تتكلم به" [٢٢]. طوبى للذين يفتح الله أفواههم ليتكلموا! إنه يفتح أفواه الأنبياء ويملأها من بلاغته كما قيل هنا... وكما قال الله بفم داود:

---

[1] *Origen: In Exod. Hom 3: 1.*
[2] *Clem. 17.*
[3] *Greg. Naz.: Orat. 1: 1.*
[4] *Orat. 2: 114.*

"افغر فاك وأنا أملأه" (مز ٨١: ١١)، وبنفس المعنى يقول القديس بولس الرسول: "إنه يعطي لي كلامًا عند افتتاح فمي" (أف ٦: ٩). إذن الله هو الذي يفتح فم الذين ينطقون بالكلمات الإلهية[1].

لم ينفتح فم موسى وحده ليتكلم الله فيه، وإنما أيضًا انفتح فم أخيه هرون، هذا الذي التقى مع موسى عند جبل الله [٢٧]. وكأن كل من يريد أن ينفتح فمه ويتمتع بكلمات الرب والمعرفة الإلهية يلزمه أن يلتقي بموسى (الناموس) روحيًا عل جبل الله أي داخل الكنيسة المقدسة الإلهية. في هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [صعد بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل الله ليتأهلوا لرؤية يسوع متجليًا ومعه موسى وإيليا في المجد. وأنت أيضًا إن كنت لا تصعد على جبل الله وتتقابل مع موسى، أي إن كنت لا ترتفع إلي الفهم الروحي للناموس، إن كنت لا تبلغ قمة الإدراك الروحي فلن يفتح الرب فمك. أما إن توقفت عند المعنى الحرفي البغيض، وتختلط بالسرد التاريخي لتفاصيل الأحداث اليهودية فإنك لن تلحق بموسى علي جبل الله، ولا يفتح الله فاك ولا يعلمك ما تقوله[2]].

الله لا يفتح فقط أفواهنا ليملأها بكلماته وإنما يفتح أيضًا عيوننا لتستنير بالروح القدس وترى الأمجاد الإلهية، ويفتح الآذان لتسمع صوته الإلهي بغير عناد، ويفتح حواسنا وطاقاتنا الداخلية لكي تُبتلع بالكامل في الإلهيات. يقول **العلامة أوريجينوس:** [كما يفتح الله أفواه القديسين كذلك يفتح آذانهم ليسمعوا الكلمات الإلهية. يشهد بذلك إشعياء النبي القائل: "السيِّد الرب فتح لي أذنًا وأنا لم أعاند" (إش ٥٠: ٥)... كذلك يفتح الرب الأعين كما فتح عيني هاجر لتبصر بئر المياه الحية، وكما قال إليشع النبي: "يا رب افتح عينيه فيبصر، ففتح الرب عينيّ الغلام فأبصر، وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع" (٢ مل ٦: ١٥)... إذن يفتح الله الفم والأذنين والعينين حتى نتكلم ونسمع ونبصر الأمور الإلهية[3]].

وكما يفتح أولاد الله حواسهم وأعماقهم ليتقبلوا عمل الله فيهم، هكذا يفتح أيضًا أولاد إبليس حواسهم وأعماقهم لأبيهم ليتقبلوا عمله فيه ولحسابه. يقول **العلامة أوريجينوس:** [انظر، ماذا كُتب عن يهوذا؟ "دخله شيطان" (لو ٢٢: ٤). لقد فتح فمه ليتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم بعدما أخذ الفضة[4]].

---

[1] *Ibid 3: 2.*
[2] *Ibid 3: 2.*
[3] *Ibid 3: 2.*
[4] *Ibid 3: 2*

ربما يتساءل أحد: من الذي يفتح فمنا؟ هل نحن نفتحه والله يملأه، أم هو الذي يفتحه وهو الذي يملأه؟ في رد **القديس أغسطينوس** علي رسالتين للبيلاجيين يقول: [مع أننا بدون معونته لا نقدر أن نفعل شيئًا، فلا نقدر أن نفتح أفواهنا، لكننا نفتحها بمعونته مع قيامنا بدور من جانبنا، لكن الله هو الذي يملأه دون أن يكون لنا دور في ذلك[1]].

٣. هرون كسند لموسى

بالرغم من كل تأكيدات الله لموسى أنه هو الذي يعمل فيه، وهو ملتزم بإنجاح طريقه، لكن موسى عاد ليقول: "استمع أيها السيِّد. أرسل بيد من ترسل". حقًا ما أتعب القلب البشري حين يتعب! لقد حمي غضب الله [١٤]، فخسر موسى انفراده بالرسالة، وقدم له الله شريكًا، حقًا إن الشركة في الخدمة جميلة ومبهجة فقد أرسل الرب تلاميذه اثنين اثنين، لكن ما حدث مع موسى كان ثمرة ضعفه وإصراره على الهروب من المسئولية.

على أي الأحوال، حوَّل الله حتى هذا الضعف للخير، إذ صار هرون سندًا لموسى، ورمزًا للملاك الحارس. فكما كان لموسى ملاك شرير (فرعون الذي يمثل إبليس) يقاومه، كان له أيضًا الملاك الحارس كأخ له، هرون الذي صار كاهنًا يشفع في الشعب ويسند موسى في خدمته. وكما يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [هناك تعليم يستمد قوته من تقليد الآباء القائل بأن الله لم يهمل طبيعتنا بعد سقوطها في الخطية بل سندها بعنايته. فمن ناحية أقام ملاكًا يحمل طبيعة غير فاسدة يسند حياة الإنسان، ومن الناحية الأخرى أقام أيضًا المفسد الذي هو شيطان شرير وقاتل يُقاوم طبيعة الإنسان. هكذا يجد الإنسان نفسه بين هذين الاثنين اللذين يحملان غرضين متناقضين ففي مقدوره أن يغلِّب أحدهما على الآخر. الملاك الصالح بتعقله يكشف عن فوائد الفضيلة ليملأ بالرجاء السالكين باستقامة، أما خصمه فيبرز الملذات الملموسة التي لا تعطي رجاءً في الخيرات العتيدة... فإن انسحب إنسان من الذين يغرونه نحو الشر، مستخدمًا عقله ومرتدًا نحو الحياة الفضلى معطيًا للشر ظهره، ومنطلقًا نحو الرجاء في الخيرات كمن ينظر في مرآة، مثل هذا تنطبع على نفسه النقية صور وانطباعات الفضيلة التي يعلنها الله له. مثل هذا يقدم له أخوه (هرون) عونًا ويرافقه، لأن الملاك الذي بطريقه ما هو إلاَّ أخ للنفس العاقلة المتزنة يظهر له ويقف معه عندما يقترب من فرعون[2]].

---

[1] *Against two letters of the Pelagians, ch 20.*
[2] *Vita Mos. 2: 45. 46.*

هرون أيضًا يُشير إلى العمل الكهنوتي التعبُدي، التصاقه بموسى إنما يرمز إلى التحام الوصية بالعبادة للعمل بروح الرب من أجل خلاص العالم. فالكرازة تقوم على إعلان الوصية أو الكلمة الإلهية بروح العبادة التقوية.

٤. ترك مديان

إذ أمر الله موسى أن يرجع إلى مصر ليُخرج الشعب قال له: "انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك، واصنعها قدام فرعون. ولكنني أُشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب" [٢١]. هكذا سبق فأعلن الله له الإمكانيات التي وهبه إيَّاها وأيضًا بالتجارب التي تُحيط به حتى لا يخور في طريق الجهاد. هذا ما فعله السيِّد المسيح معنا، أكد لنا "ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣)، وفي نفس الوقت قال: "ها أنا أرسلكم كحملان في وسط ذئاب" (مت ١٠: ١٦).

هل يُشدد الله القلب؟ يظهر من قول الكتاب (٨: ٣٢) أن فرعون يُقسي قلبه بكمال حرية إرادته، أما هنا فيقول الرب أنه يُقسي قلب فرعون، بهذا نعرف أن الله بحكمه العادل يترك فرعون لينفذ إرادته الحرة التي هي قساوة القلب ولا يمنعه حتى يتمجد فيه، وحسب كلمات الرسول "أسلمه الله إلى شهوات قلبه وإلى ذهنه المرفوض" (راجع رو ١: ٢٤، ٢٨).

٥. ختان ابن موسى

يبدو أن زوجة موسى الغريبة الجنس، صفُّورة ابنة يثرون، خافت على ابنها من الختان، وقد خضع موسى النبي لرأيها... هكذا حتى العمالقة في حياتهم الروحية يتعرضون لضعفات قد تدفع بهم إلى هلاكهم تمامًا.

كان لزامًا على موسى أن ينطلق بزوجته من مديان ليعمل في كرم الرب، وكان لزامًا عليه أن يختن الابن ثمرة اتحاده بهذه الزوجة. هذه صورة حيّة للكنيسة التي لم تحتقر الزوجة غريبة الجنس، فلم تقف في عداوة مع الفلسفات، لكنها احتضنتها والتزمت أن تنطلق بها من بيت أبيها وتختن ثمرة اتحادها معها، فتنزع عنها نقائصها وتطرد ما فيها من أخطاء حتى لا يهلك المؤمنون. في هذا يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [المرأة الغريبة تتبعه، إذ هناك بعض الأمور في التعليم الزمني لا نحتقرها، إذ تهدف إلى إنجاب الفضيلة. حقًا قد تصير الفلسفة الأخلاقية والطبيعية في وقتٍ ما رفيقًا وصديقًا وملازمًا للحياة العلوية بشرط ألاَّ يدخل ثمرة الاتحاد معها شيء دنس غريب[1]]. كما

[1] *Vita Mos. 2: 37.*

يقول: [إذ كان ابنه لم يُختتن بعد، أي لم يُنزع عنه بالكامل كل ما هو ضار ودنس أرعبهما الملاك الذي التقى بهما، لكن زوجته هدأت الملاك بتقديم ابنها طاهرًا، إذ نزعت عنه العلامة الخاصة بالغرباء (الغرلة) تمامًا[1]].

وقد أخذ **القديس غريغوريوس** هذا الفكر عن **العلامة أوريجينوس السكندري الذي رأى في الزواج بالغريبات رمزًا لاستخدام الفلسفة**[2].

٦. بدء العمل

التقى موسى وهرون أي الوصية الإلهية مع العبادة الورعة الكهنوتية، وتلاقيا مع جميع الشيوخ، الذين خضعوا لعمل الله وكلماته، أما الشعب فإذ سمعوا "خروا وسجدوا" [٢٧]. إنها صورة حية لخضوع كل طاقات النفس والجسد للعمل الإلهي خلال قبول كلمة الله والعبادة.

حقًا ما أحوجنا أن نعمل في القلب، كرم الله المقدس، خلال كلمة الله وبروح تعبدي ليصير القلب كله مقدسًا للرب، خاضعًا له!

[1] *Ibid 2: 38.*
[2] *In Gen., hom 11: 2.*

الأصحاحان الخامس والسادس

لقاء مع فرعون

التقى موسى بالله خلال العُلِّيقة، ثم التقى بهرون في جبل الله، وخرج الاثنان إلى جميع الشيوخ وكل الشعب، والآن لابد أن يَدخُلا إلى فرعون نفسه ليلتقيا مع الأسد في عرينه.

١. لقاء داخل القصر	**٥: ١-٥.**
٢. تشديد السُخرة	**٥: ٦-١٥.**
٣. تذمر الشعب	**٥: ١٦-٢٣.**
٤. تأكيدات الرب لموسى	**٦: ١-١٣.**
٥. رؤساء بيوت الآباء	**٦: ١٤-٢٨.**
٦. أنا أغلف الشفتين	**٦: ٢٩-٣٠.**

١. لقاء داخل القصر

أ. إذ طلب موسى وهرون من فرعون أن يطلق الشعب ليتعبد له على مسيرة ثلاثة أيام، أي خلال قوة قيامة الرب، هاج فرعون قائلاً: "من هو الرب حتى أسمع له؟!... لا أعرف الرب" [٢]. أليس هذا هو ذات الروح الذي نطق به المجمع حين دعى الرسولين بطرس ويوحنا "وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلِّما باسم يسوع" (أع ٤: ٨). وكما كتب الفيلسوف أثيناغوراس إلى الإمبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس وكرمودوس أن الاتهام الحقيقي ضد المسيحيين هو "الاسم"، إنهم يحملون اسم السيِّد المسيح عليهم، الأمر الذي لا يطيقه العالم.

ب. سبق فرأينا أن حديث فرعون هذا "لا أعرف الرب" يكشف عن ظُلمة الجهل التي يعيش فيه عدو الخير...

ج. يرى **العلامة أوريجينوس** في شكوى فرعون أن موسى وهرون يبطلان الشعب [٤]. هي شكوى عدو الخير في كل جيل، إذ يرى الكثيرون أن تكريس الشباب حياتهم للعبادة والخدمة هو مضيعة للطاقة البشرية. ففرعون إنسان مادي لا يعرف إلاَّ اللبن والطين، يود أن يغمس حياة الكل فيها، أما مَن تحرر فكره إلى الروحيات فهو إنسان يبطل وقته!

٢. تشديد السُخرة

بدلاً من إطلاق الشعب ليعبد الرب شدد فرعون أوامره ضد الشعب لإذلالهم، متهمًا إيَّاهم أنهم متكاسلون. ويعلق **العلامة أوريجينوس** على ذلك قائلاً: [حقًا قبل أن تُعرف الكرازة لا توجد الضيقات والتجارب. لا تبدأ الحرب قبل أن يبوَّق بالبوق. لكن ما أن يبوَّق بوق الكرازة حتى تُعطى العلامة للحرب (الروحية) وتحل الضيقة[1]].

يقول أيضًا: [قبل أن تبدأ معارك الفضائل ضد الرذائل... تعيش الرذائل في سلامٍ داخل نفسك. لكن إذ تبدأ محاكمة كل رذيلة تحدث حركة واسعة وتتولد داخلك حرب بلا هوادة، لأنه أي خلطة للبرّ مع الإثم، للزنا مع العفة، للحق مع الضلال؟!... إذن لا تضطرب كثيرًا إن كانت رائحتنا قد أنتنت أمام فرعون، لأن رائحة الفضيلة عند الرذيلة هي نتانة[2]].

٣. تذمر الشعب

إذ تشدد فرعون في الأمر قال الشعب لموسى وهرون "ينظر الرب إليكما ويقضي، لأنكما أنتنتما رائحتنا في عين فرعون وفي عيون عبيده حتى تعطيا سيفًا في أيديهم ليقتلوننا" [٢١].

إذ دخل الخوف قلب الشعب تحولت كلمة الله في فمي موسى وهرون التي لها الرائحة الذكية، رائحة حياة للحياة، إليهم رائحة موت لموت (٢ كو ٢: ١٥-١٦).

هذا التذمر ليس علته عنف فرعون وتشديد السُخرة، لكنه طبيعة لازمت هذا الشعب طوال سيرهم في البرية بالرغم من عناية الله الفائقة لهم... لذلك يليق بنا في تذمرنا ألاَّ نلوم الظروف المحيطة بنا بل قلبنا المملوء خوفًا وعدم ثقة في الله المخلص.

٤. تأكيدات الرب لموسى

إذ تذمر الشعب، صرخ موسى إلى الرب وقال: "يا سيِّد، لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إليَّ هذا الشعب، وأنت لم تخلص شعبك" (٥: ٣٢-٣٣).

ما أجمل أن يدخل الخادم مع الله في عتاب حين يشعر كأن خدمته قد فشلت، مقدمًا لله حسابات عمله؟!

---

[1] *In Exod, hom 3: 3.*
[2] *Ibid.*

تقبَّل الله هذا العتاب واستجاب لمرارة قلب خادمه. إن كان فرعون قد أعلن جهله بالله قائلاً: "لا أعرف الرب" (٥: ٢)، فإن تأكيدات الله المتكررة لموسى هي "أنا الرب" (٦: ٢، ٧، ٨، ٢٨). هو الرب الذي عمل في الآباء قديمًا إذ ظهر لإبراهيم وإسحق ويعقوب (٦: ٣)، ويعمل في الحاضر إذ يسمع آنات شعبه ويخرجهم من تحت الثقل ويُحررهم من العبودية (٦: ٥-٦)، ويُدبر لهم المستقبل فيدخلهم إلى الأرض التي وعد بها (٦: ٩).

إنه الرب الذي يعمل لأجل اسمه القدوس الذي يُقاومه إبليس، ومن أجل مواعيده لأولاده، الذي يبقى أمينًا، وأيضًا يعمل ليُقيم له شعبًا مقدسًا يدخل معه في شركة "وأتَّخذكم ليّ شعبًا وأكون لكم إلها" (٦: ٧).

٥. رؤساء بيت آبائهم

بعد أن أكد الرب لموسى أنه يحرر الشعب من العبودية، ذكر الكتاب أسماء بيت آبائهم... وكأن الرب يريد أن يؤكد أنه ليس فقط يهتم بالشعب كجماعة، لكنه يهتم بكل واحد فيهم باسمه. علاقة الله مع شعبه دائمًا علي المستوى الجماعي والشخصي في نفس الوقت، في رعايته لهم كجسد السيِّد المسيح الواحد المقدس، شعرة واحدة من رأس الجماعة لا تسقط بدون إذنه!

لقد وجد بعض الآباء معانٍ كثيرة لهذه الأسماء، نذكر علي سبيل المثال ما رآه **العلامة أوريجينوس**[1] في أسماء بني قورح: أسير وألقانة وأبيأساف (٦: ٢٤)، هؤلاء الذين نظموا صلاة تسبحة جميلة بروح واحد منسجم، جاءت مقدمتها: "كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله" (مز ٤٢)، أما سرّ انسجامهم معًا في الصلاة والتسبيح فهو أن أسير يعني "تعليم" وألقانه تعني "ملكية الله" وأبيأساف في رأيه ترجع لليونانية وتعني مجمع الأب، وكأنه إذ تكون النفس كقورح ويكون لها هؤلاء الأبناء معًا: حب التعلم المستمر، والشعور بالتكريس لله أي في ملكيته، والارتباط بروح الجماعة الواحدة، يفيض في القلب قصيدة حب وصلاة مقبولة يفرح بها الله.

٦. أنا أغلف الشفتين

حاول موسى أن يعتذر للرب قائلاً: "كيف يسمعني فرعون وأنا أغلف الشفتين؟!" (٦: ٢، ٣٠)، لكن تأكيدات الرب له "أنا الرب"... أنا أُخلص...

[1] *In Matt, hom 3: 1.*

ما أجمل أن يشعر الإنسان بضعفه الروحي وخطاياه كسرّ فشل لخدمته، فيقول: "أنا أغلف الشفتين"... ليست فيهما قداسة لتعمل كلماتي بسلطان ضد إبليس، أو كما يقول نحميا حين سمع عن أخبار الخدمة المحزنة "أنا وبيت أبي قد أخطأنا" (نح ١: ٦). لم يلم الظروف ولا الآخرين ولا نسب لله أنه قد نسي أولاده، بل ألقى باللوم على نفسه هو وبيت أبيه لأنهم أخطأوا.

لقد أدرك موسى مفهوم الختان والغرلة على مستوى روحي داخلي، لذا حسب شفتيه في حاجة إلى ختان داخلي... وجاء بعده إرميا يتحدث عن ختان القلب الخفي (إر ٤: ٤)، وختان الأذن (إر ٦: ٤). وتحدث معلمنا بولس الرسول في أكثر وضوح عن الحاجة إلى الختان الروحي في المعمودية، حيث يخلع المؤمن أعمال الإنسان القديم ليحمل جدة الحياة ويكون على صورة خالقه.

الأصحاحات ٧-١٠

الضربات العشر

تتحدث هذه الأصحاحات الأربعة (٧-١٠) عن التسع ضربات الأولى بينما تحدث الأصحاحان (١١-١٢) عن الضربة الأخيرة التي ارتبطت بخروف الفصح:

١. مقدمة للضربات	**٧: ١-١٣.**
٢. تحويل الماء دمًا	**٧: ١٤-٢٣.**
٣. ضربة الضفادع	**٨: ١-١٥.**
٤. ضربة البعوض	**٨: ١٦-١٩.**
٥. ضربة الذباب	**٨: ٢٠-٣٢.**
٦. ضربة المواشي	**٩: ١-٧.**
٧. ضربة البثور	**٩: ٨-١٢.**
٨. ضربة البرد والنار	**٩: ١٣-٣٠.**
٩. ضربة الجراد	**١٠: ١-٢٠.**
١٠. ضربة الظلام	**١٠: ٢١-٢٩.**
١١. ضربة الأبكار	**١١، ١٢.**

١. مقدمة للضربات

قبل أن يبدأ الله بالضربات أكد لموسى عدة حقائق:

أ. "**أنا جعلتك إلهًا لفرعون**" **[١]**. أي جعلتك سيِّدًا عليه، فلا تخافه ولا ترهب قسوة قلبه، وكما يقول **القديس باسيليوس:** [يقدم هذا اللقب برهانًا على نوع من السلطان في التدبير أو في العمل[1]]. فالمؤمن يحذر من إبليس، لكنه يؤمن أن له سلطان عليه كقول الرب: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيَّات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء" (لو ١٠: ١٩)، وكما يؤكد **القديس يوحنا الذهبي**

[1] *St. Basil, Epis. 189: 7.*

الفم في أكثر من مقال إنه ليس للشيطان سلطان علينا، إنما يقدم إغراءاته غير الملزمة وحيله وخداعاته لكي نسقط في فخاخه[١].

ب. "أخوك يكون نبيك" [١]. أي المتكلم عنك، إذ التحمت الوصية (موسى) بالعمل الكهنوت التعبدي (هرون)، صارت العبادة معلنة للوصية وكاشفة عنها، هذا هو إيماننا أن عبادتنا الليتورچية ليست شيئًا منفصلاً عن إنجيلنا، بل عاملة به وكارزة، يستطيع الأُمّي والطفل أن يدركا الأسرار الإنجيلية خلال بساطة الطقس وروحانيته، ويقدر المتعلم والناضج أن يجد أعماق المفاهيم اللاهوتية الإنجيلية فيه.

ج. غاية الضربات: "يعرف المصريون إني أنا الرب" [٥]، أي يبدد ظلمة الجهل التي طمست عينيّ الإنسان في شره. بمعنى آخر، لم يهدف الله بها إلى إلقاء الرعب في قلوب الحاضرين، إنما أراد أن تكون سندًا للخلاص. وكما يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص: [**بهذه المعجزات عينها يُهزم العدو (الشيطان) ويتقوى شعب الله[٢]. ذكَّرهم بها الرب بعد مرور قرون طويلة ليرُدهم إليه، ففي المزمور (٧٨: ٤٣-٥٣) كان يعاتبهم كيف خلصهم بيد قوية وضرب العدو ليُعينهم، أما هم فلا زالوا يسلكون في قساوة قلبهم.

د. استدعى فرعون ساحرين: ذكر القديس بولس الرسول اسميهما "مينيس ويمبريس" (٢ تي ٣: ١)، عن التقليد اليهودي، قام هذان الساحران بمقاومة موسى وهرون ليس بإلقاء الرعب والتهديد كما فعل فرعون، وإنما خلال حرب خطيرة هي حرب التمويه بين الحق والباطل، بين عمل الله وعمل إبليس، فحاولا أن يفعلا ما يفعلانه موسى وهرون لكنهما فشلا، إذ يقول الكتاب:

* "عصا هرون ابتلعت عصيِّهم" [١٢].

* "فعل كذلك العرّافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا... فقال العرّافون لفرعون هذا إصبع الله" (٨: ١٨-١٩).

* "لم يستطِع العرّافون أن يقفوا أمام موسى من أجل الدمامل، لأن الدمامل كانت في العرافين وفي كل المصريين" (٩: ١٢).

---

[١] للمؤلف: القديس يوحنا الذهبي الفم: هل للشيطان سلطان عليك؟

[2] *Vita Mos. 2: 64.*

بمعنى آخر، إن كان السحرة حاولوا الخداع بإبراز بعض أعمال تحمل صورة ما فعله موسى وهرون، وذلك بفعل السحر، لكنهم كانوا في ضعف، وسقط الساحران تحت الضربات كغيرهما، ولم يكونا قادرين على إبطال الضربات أو إنقاذ فرعون وجنوده... واضطرًا أن يعترفا بقوة "إصبع الله".

في دراستنا لسفر الرؤيا رأينا حربًا مشابهة، فكما يعلن الثالوث القدوس أعماله مع الإنسان يحاول الثالوث الدنس "ضد المسيح والوحش البرّي والوحش البحري" أن يخدعوا البشر، بل وأحيانًا يقدمون أعمالاً تبدو كما لو كانت تشبه أعمال الثالوث القدوس، مثل عمل المعجزات بفعل شيطاني[١].

هـ. العصا التي كانت في يد موسى النبي دُعيت "**عصا الله**" (٤: ٢٠)، "**عصا هرون**" (٧: ٢٢)، "**عصا موسى**" (١٠: ١٣)، هي عصا الخلاص التي تعمل في حياتنا تُشير إلى الإيمان بالصليب الخشبة المُحيية، لذا دُعيت عصا الله، كما تُشير للوصية الإلهية أو كلمة الله الكارزة بالصليب (عصا موسى)، وأيضًا تشير للحياة التعبُدية التي خلالها ندخل في حياة الشركة مع المصلوب (عصا هرون)، وكأن الإيمان يلتحم بالكتاب المقدس والعبادة بغير انفصال.

و. **العصا بين الناموس والصليب:** العصا الذي جاء بها موسى إلى مصر هي الناموس الذي يضرب به الضربات العشر، أي يُدين الخطية ويفضحها، وهي أيضًا الصليب الذي جرد إبليس من سلطانه وقهر قوته معطيًا للمؤمنين قوة الغلبة والخلاص، في هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [موسى يأتي إلى مصر حاملاً العصا التي يعاقب بها ويضرب بها الضربات العشرة، أي بالوصايا العشر. أما العصا التي تمت بها هذه الأمور، والتي أخضعت مصر وروَّضت فرعون، فهي صليب المسيح الذي غلب العالم، وانتصر على (رئيس هذا العالم) وعلى "الرؤساء والسلاطين" (كو ٢: ١٥)، إذا ما أُلقيت على الأرض تتحول إلى حيَّة، فتلتهم حيَّات سحرة مصر الذين قاموا بعمل نفس الشيء، وقد كشف لنا الإنجيل أن هذه الحيَّة هي الحكمة بالقول: "كونوا حكماء كالحيَّات" (مت ١٠: ١٠)، وفي موضع آخر: "وكانت الحيَّة أحكم جميع الحيوانات التي في الجنة" (تك ٣: ١)، إذن فصليب المسيح الذي كانت البشارة به تعتبر نوعًا من الجنون، كان موجودًا في موسى، أي في الناموس، كقول الرب: "لأنه مكتوب عني" (يو ٥: ٤٦)، هذا الصليب الذي كتب عنه موسى، إذ طُرح على الأرض، أي آمن به البشر، تحول إلى حكمة تلتهم كل حكمة المصريين، أي يبتلع كل حكمة هذا العالم، انظر كيف صيَّر الله حكمة هذا العالم جهالة؟! (١ كو ١: ٢)، برفع المسيح على الصليب الذي هو قوة الله وحكمته].

[١] للمؤلف: رؤيا القديس يوحنا اللاهوتي، طبعة ١٩٧٩.

ز. سرّ الضربات العشر: يرى بعض الآباء في الضربات العشر صورة رمزية لعمل الصليب في قلب الإنسان الذي صار محبًا للعالم، أي صار كأرض مصر، حتى ينطلق به إلى الحياة المقدسة، ففي اختصار نقول أن:

الضربة الأولي: أو تحويل ماء النهر دمًا، يُشير إلى ضرورة تحويل مياه القلب البارد إلى حياة الجهاد، كقول الرسول: "لم تجاهدوا بعد حتى الدم".

والضربة الثانية: الخاصة بالضفادع تُشير إلى الحياة المملوءة كلامًا فارغًا بلا عمل، كنقيق الضفادع طوال الليل، فبالروح القدس ندخل من كثرة الكلام إلى الحياة الإيمانية العاملة.

والضربة الثالثة: الخاصة بالبعوض تُشير إلى الأفكار الشريرة حيث لا يشعر الإنسان بالبعوضة على جسده إلاَّ عندما تلدغه، وهكذا كثيرًا ما يستسلم الإنسان للأفكار ولا يدري بها إلاَّ بعد أن تثير أحاسيسه نحو الخطية، فينطبق عليه قول الكتاب: "يشربون الإثم كالماء". فبالروح القدس نغلق باب الفكر عن الشر لينفتح منطلقًا نحو العمل الإيجابي البنّاء.

الضربة الرابعة: خاصة بالذباب الذي يقدم عن الأماكن القذرة ويسبب أمراضًا، مُشيرًا بهذا إلى ضرورة الهروب من مصدر الخطية ومثيراتها، كأصدقاء الشر وأماكن الدنس حتى لا تُصاب بالضعف.

الضربة الخامسة: خاصة بالوباء الذي أصاب الماشية، يُشير إلى الانحطاط إلى الأفكار الجسدية الحيوانية، فيليق بنا ألاَّ نسلك حسب شهوات الجسد بل نقبل شهوة الروح.

الضربة السادسة: أي البثور والقروح، تشير إلى فساد الجسد وعدم تقديسنا له، وإذ يلزمنا أن نتقبل عمل الروح القدس حتى في أعضاء جسدنا.

الضربة السابعة: أي حدوث أصوات رعد وبرد ونار، تشير إلى عمل الله داخل القلب فيُرعد بروحه القدوس فينا، ليُزلزل كل خطية استكانت داخل القلب وتأسست فيه، ويسقط البرد لقتل كل بداية زرع شيطاني (الأعشاب)، وبناره المقدسة يحرق الأشواك الخانقة للنفس ويلهب القلب بنار الحب الإلهي.

الضربة الثامنة: خاصة بالجراد تُشير إلى عدم ترك أي أثر للخطية في حياتنا، كما فعل الجراد حيث لم يترك ورقة خضراء في كل الأرض.

الضربة التاسعة: هي الظلام، أي اكتشاف الإنسان عمى بصيرته الروحية، صارخًا إلى الله ليهبه استنارة روحية داخلية.

أخيرًا الضربة العاشرة: ضربة الأبكار التي تُشير إلى قتل إبليس وجنوده، لكي نصير نحن أنفسنا أعضاء في كنيسة الأبكار.

قدم لنا **العلامة أوريجينوس** تفسيرًا لهذه الضربات العشر قائلاً: [كل نفس في هذا العالم تعيش في ضلال وجهل للحقيقة، إنما هي (رمزيًا) في مصر. عندما يقترب منها ناموس الله[1] تتحول لها المياه إلى دم، أي تتحول الحياة السهلة المملوءة كسلاً إلى دم العهدين القديم والجديد، ثم تجتذبها بعيدًا عن الأحاديث الباطلة التي في نظر عناية الله نقيق ضفادع، ثم تُنقيها من الأفكار الشريرة التي تشبه لدغة البعوض، وتنزع عنها إبر الشر. تضمد فيها الجراحات التي تسببها النشوة التي يرمز لها بالذباب، وتهدم فيها الغباء والإدراكات الحيوانية... يهتم الناموس بجراحات خطاياها وينزع عنها انتفاخ الكبرياء وحروق الغضب، ويقدم لها أصوات الرعد أي تعاليم الإنجيل، ويستخدم تأديبات البرد لكي تخضع فيها تنعُّمات الحواس وتلذُّذاتها، كما يُقدم لها نار التوبة لكي تُردد النفس قائلة: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا" (لو ٢٤: ٣٢)، لا يتأخر الناموس عن أن يرسل لها الجراد الذي يهاجم العواطف الثائرة غير النقية فيلتهمها، فتتهذب النفس بتعاليم الرسل "ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب" (١ كو ١٤: ٤٠). وعندما تستوفي التأديبات عن عاداتها الشريرة وتلتزم بتغيير حياتها إلى الحياة الفضلى تعترف بصاحب الضربات، وتقول أنه "إصبع الله"، حينئذٍ تدرك ظلمة أعمالها وتعترف بظلمة خطاياها، فإن بلغت هذا الحد يُهلك الله في داخلها أبكار مصر (الشر)[2].

٢. تحويل الماء دمًا

يلاحظ في الضربات العشر أن الله كان يوجهها ضد آلهة المصريين نفسها ليكشف ضعفها، إذ يقول: "وأصنع أحكامًا بكل آلهة المصريين أنا الرب" (١٢: ١٢)، ومن ناحية أخرى كان يهدف بها إلى فضح حياتهم التي يسلكونها في الشر. فتحويل مياه النيل إلى دم دنس أوقع المصريين في حيرة إذ رأوا معبودهم قد صار دنسًا! ومن جهة أخرى كشف لهم أن فكرهم كله جسداني[3]، يرون كل شيء حسب اللحم والدم وليس بمنظار روحي.

هذا ونهر النيل يُشير إلى حكمة المصريين وفلسفاتهم المتغيرة، فبتحويله إلى دم ظهر أنه لا خلاص لهم بالحكمة البشرية والفلسفة الزمنية، إنما بالإيمان بدم السيِّد المسيح الذي يمتص كل حكمة

---

[1] يقصد هنا الشريعة الإلهية بوجهٍ عام أو الوصية الإلهية.

[2] *Origen: In Exod, hom 4: 8.*

[3] *St. Augustine: On Ps. 78.*

وفلسفة. لهذا بدأت الضربات بالدم وانتهت أيضًا بالدم، حيث ذُبح خروف الفصح، ووُضعت علامة الدم على العتبة العليا والقائمتين، فهلك أبكار المصريين وأُنقِذ شعب الله.

لقد طلب الرب من موسى أن يذهب إلى فرعون في الصباح [١٥]، لأن حربنا مع عدو الخير تبدأ مع صباح حياتنا الروحية وبدء انطلاقها. كما طلب منه أن يلتقي به على حافة النهر، يخرج إليه عند المياه [١٥]. وكأن ذلك إعلان للمؤمن أن يلتقي مع صاحب الفلسفات بذات فلسفاتهم، فلا تخاف الكنيسة من دراسة العلوم الفلسفية، واشترط أن يأخذ العصا التي تحولت إلى حيَّة في يده، فلا إمكانية للغلبة على الشر بدون الصليب واهب النصرة.

أما النتيجة فهي: "يكون دم في كل أرض مصر في الأخشاب وفي الأحجار" [١٩]، فإن كان الأرض قد صار "أرض مصر" أي محبًا للعالم، فإن الدم يُدخل إليه ليقدسه، والخشب الذي فيه بلا حياة يجرى فيه الدم ليصير أشجارًا حيَّة مثمرة، والحجارة الجامدة تتحول إلى "أولاد لإبراهيم"، كقول السيِّد المسيح نفسه "إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ"!

أما موت السمك ونتانته [١٨، ٢١] فيُشير إلى هلاك ما ظنه المصريون غذاءً لهم في الفلسفات الزمنية، فتصير رائحة الفلسفات الوثنية بجانب الإيمان غير لائقة، لا تستريح لها النفس.

ويلاحظ أن الماء لم يصر دمًا للعبرانيين، وكما يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [ليس بالأمر العجيب أن العبرانيين وهم يقطنون بين الغرباء لا يتأثرون بشرور المصريين، هذا ما يمكن ملاحظته في المدن المزدحمة الآن حيث يتمسك الناس بآراء متناقضة، فبالنسبة للبعض مجاري الإيمان التي يستقون منها التعاليم الإلهية منعشة وواضحة، أما بالنسبة للآخرين الذين يعيشون كالمصريين حسب أهوائهم الشريرة صارت المياه دمًا فاسدًا[1]].

٣. ضربة الضفادع

كانت الضفادع مفرزة للإله أوزوريس، ومن مزامعهم أن انتفاخها علامة وحي إلهي، فسمح الله أن تفيض عليهم وتصير ضربة كبرى بالنسبة لهم.

يرى **القديس أوغسطينوس** أنها تشير إلى كثيري التكلم بالأمور الباطلة غير النافعة[2]، **ويرى العلامة أوريجينوس** أنها تُشير إلى أغاني الشعراء التي هي كنقيق الضفادع تقدم أصواتًا ملتوية

[1] *Vita Moses 2: 66.*
[2] *On Ps. 78.*

ومزعجة بلا عمل، لذا يليق بالمؤمن أن يتخلص بصليب السيِّد المسيح من الكلام الباطل الذي بلا عمل.

إن كان فرعون قد ألزم الشعب بالعمل في الطين فقد ناله تأديب قاسي أن تقفز الضفادع من الطين بشكلها القبيح ورائحتها غير المقبولة، وصوتها المزعج لتدخل إلى بيته وتقتحم مائدته وسريره ومخازنه السرّية، فتتحول حياته طينًا ووحلاً! بالكيل الذي كال به كُيِّل له وازداد.

٤. ضربة البعوض

كان الكهنة يهتمون جدًا بالنظافة ويحترسون من التدنس بالبعوض والقمل، فضُربوا بالبعوض، الأمر الذي فشل السحرة أن يخرجوه فاعترفوا أمام فرعون قائلين: "هذا إصبع الله" [١٩].

ماذا يعني إصبع الله؟ يقول **القديس أغسطينوس:** [يقول المرتل: "إذ أرى السموات عمل أصابعك" (مز ٨: ٣)، ونقرأ أن الناموس قد كُتب بإصبع الله (خر ٣١: ١٨؛ ٣٤: ٢٨؛ تث ٩: ١٠). وأُعطيَ خلال موسى خادمه الطوباوي، هنا يفهم الكثيرون إصبع الله أنه الروح القدس[1]].

يرى **العلامة أوريجينوس** في ضربة البعوض إشارة إلى الكلمات الرقيقة المعسولة التي تخدع الإنسان خلال المكر، فلا يشعر بها ولا يراها، إذ لا يعرف كيف خُدع وسقط.

كذلك يتساءل **القديس أغسطينوس:** [لماذا يسمح الله للإنسان أن يتأدب خلال هذه الضربات الضعيفة؟ ويجيب قائلاً: لماذا نحتمل شرورًا من خليقة هي من صنع الله؟ لأننا نقاوم الله! فهل الملائكة تعاني من هذه الخليقة؟! فإننا لو عشنا مثلهم لا يوجد شيء ما يخيفنا. فالتأديب يتهم خطيتك ولا يتهم الديان، بسبب كبريائنا يسمح الله للخليقة الصغيرة جدًا والمزدرى بها أن تعذبنا مادام الإنسان متكبرًا على الله ومتعجرفًا[2]...].

٥. ضربة الذباب

كان المصريون يعبدون آلهة تقوم بطرد الذباب... فأراد الله أن يكشف عن عجز آلهتهم.

---

[1] *St. Augustine: on Ps. 8.*

يفهم الآباء إصبع الله التي أوجدت السموات (مز ٨: ٣)، بأنه الروح القدس الذي يجعل من البشر سموات مقدسة، كما يفهمون ذراع الرب ويمينه بأنه الابن الكلمة.

[2] *On the Gospel of St. John, tr. 1: 15.*

٦. ضربة الوباء الذي أصاب المواشي

كان المصريون يعتقدون بالقداسة في بعض الحيوانات ولا سيما العجل أبيس الذي يحسبون أن فيه روح إلههم أوزوريس، فبضربة الحيوانات يدرك المصريون خطأ معتقداتهم، ويرى **القديس أغسطينوس** أن بضربة الحيوانات أراد أن يضبط الإنسان الشهوة الحيوانية فيه ويروِّضها فلا يعيش كالحيوان بل في حياة الطهارة[١].

٧. ضربة البثور

كان للمصريين آلهة كثيرة يقدمون لها أناسًا أحياء، قيل أنهم كانوا يحرقون بعض العبرانيين على مذبحٍ عالٍ ويذرُّون رمادهم في الهواء، لكي تنزل مع كل ذرة بركة، لذلك أخذ موسى رمادًا من التنُّور وذرَّاه، فنشرته الرياح ونزل على الكهنة والشعب والحيوانات بالقروح والدمامل، حتى لم يستطِع السحرة أن يقفوا أمام موسى من أجل الدمامل [١١]، كأن الله أراد أن يعلن أنه إن كان قد طال أناته عليهم لكنه يستطيع أن يُخلص هؤلاء الذين يحرقونهم بلا ذنب.

٨. ضربة الرعد والبرد والنار

كانت هذه الضربة شديدة إذ لم يعتَد المصريون على البرد القارص وهذا الجو العنيف، وقد رأينا أن أصوات الرعد كانت تُشير إلى إعلانات الله وإنذاراته، والبرد يُشير إلى قتل الزرع الرخيص (العشب) الذي أقامه العدو في القلب، والنار تحرق الأشواك الخانقة للنفس ليلتهب القلب بمحبة الله.

ويرى **القديس أغسطينوس** أن البرد يُشير إلى خطية سلب أموال الآخرين مثل السرقة واللصوصية والاغتصاب، وأن النار تُشير إلى خطية الغضب التي تشتعل في القلب حتى تؤدي إلى جريمة القتل[٢].

٩. ضربة الجراد

الجراد مفسد للزرع ومُجلب للقحط، إذ يُبيد كل نبات أخضر، فكانت الضربة تُشير إلى عجز آلهتهم عن إعالتهم حتى جسديًا.

---

[1] *On Ps. 78.*
[2] *Ibid.*

ويرى **القديس أغسطينوس** في الجراد إشارة إلى الشهادة الباطلة، إذ تؤذي كالجراد غيرها خلال الفم[1].

١٠. ضربة الظلام

كان المصريون يعبدون الإله رع أي الشمس. كأن هذه الضربة قد وُجهت ضد هذا الإله، وفي نفس الوقت كشفت لهم عن عمى بصيرتهم الداخلية، وأعلنت عن حاجتهم لمجيء شمس البر الذي يشرق على الجالسين في الظلمة. وقد بقي الظلام ثلاثة أيام، لعلّ ذلك إشارة إلى انتظار النفس للدخول في نور قيامة المسيح يسوع.

موقف فرعون من الضربات

حاول فرعون أمام هذه الضربات أن يدخل في مفاوضات مع موسى وهرون مقدمًا أنصاف حلول غير مجدية:

أ. ففي البداية اتهم موسى وهرون أنهما يبطلان الشعب، وأن الشعب متكاسل يهرب من العمل (٥: ١٧).

ب. إذ بدأت الضربات صرخ فرعون إليهما ولما حدث الفرج غلظ قلبه ولم يسمع لهما (٨: ١٥).

ج. إذ اشتدت الضربات قال لهم: "اذهبوا اذبحوا لإلهكم في أرض مصر" (٨: ٢٥)، أي يتعبدوا لله دون أن يعتزلوا الشر، ودون تغيير في حياتكم.

د. إذ أصرّ موسى وهرون على موقفهما قال: "أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم في البرية، ولكن لا تذهبوا بعيدًا، صليا لأجلي" (٨: ٢٨)، تظاهر بالورع والحاجة إلى صلاتهما، لكنه لا يُريدهما أن يسيرا الثلاثة أيام كاملة، أي لا يتمتع الشعب بقوة القيامة مع المسيح يسوع المخلص.

هـ. إذ اشتدت الضيقة سمح لهم بالخروج كما يُريدون (أي يسيرون ثلاثة أيام)، لكنه قال: "اذهبوا أنتم الرجال واعبدوا الرب لأنكم هكذا طالبون" (١٠: ١٠)، مشترطًا أن يتركوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم، يسمح لنا العدو أن نتعبد لله لكن بدون نسائنا أي أجسادنا، لأن الزوجة إنما تُشير للجسد، كقول الرسول للرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم، ولا يكون لهم أولاد أي ثمار الروح، وبدون المواشي

[1] *Ibid.*

أي دون تقديس الحواس والعواطف، أنه يريد العبادة منفصلة عن كل حياة الإنسان العملية حتى عن تقديس جسده وعواطفه.

ز. وأخيرًا، سمح لهم أن يخرجوا بنسائهم وأولادهم "غير أن غنمكم وبقركم تبقى" (١٠: ٢٤). وكانت الإجابة "لا يبقى ظلف" (١٠: ٢٦). نخرج جميعنا بنسائنا وأولادنا ومواشينا، مقدمين كل شيء للرب، ولا نترك لإبليس موضعًا في حياتنا... لن نترك له ظلفًا في حياتنا، حتى لا يكون له مجال للعمل الشرير في داخلنا.

الأصحاحان الحادي عشر والثاني عشر

الفصح

بين خروف الفصح وقيامة المسيَّا

إن كان الفصح يُعتبر نقطة تحول في تاريخ الشعب القديم، خلاله عبروا من أرض العبودية إلى البرية منطلقين نحو أرض الموعد، لذا حمل خروف الفصح بكل طقوسه مفهومًا خاصًا، يُقام في أول شهور السنة (١٢: ٢)، يعيدونه كل عام فريضة أبدية (١٢: ١٤)، تلتزم به كل الجماعة (١٢: ٦)، حمل أيضًا مفهومًا روحيًا يمس حياة الجماعة الكنسية في علاقتنا بالله، فلم يكن خروف الفصح مجرد تذكار لقصة تاريخية حدثت في الماضي، لكنه يمثل عملاً حاضرًا ودائمًا لله في حياة شعبه. عيد الفصح أيضًا كان يعني وجود علاقة شخصية بين كل عضو في الجماعة والله نفسه، هذا فيما يخص خروف الفصح الرمزي، أما وقد قدم السيِّد المسيح نفسه "فصحًا" حقيقيًا عن العالم كله، صارت آلامه وصلبه ودفنه وقيامته فصحًا دائمًا ومستمرًا في حياة الكنيسة، تعيده الكنيسة ليس فقط مرة كل عام، بل وفي كل قداس إلهي، بل وتختبر قوته خلال حياتها اليومية، صار هذا العمل الفصحي الإلهي موضوع لهج كل مؤمن حقيقي، خلاله يعبر من مجد إلى مجد ليدخل بالروح القدس إلى حضن الآب.

هذا ما جعل الأصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من سفر الخروج مركزًا للسفر كله، بل وبغير مبالغة للعهد القديم كله، كما أن صلب السيِّد المسيح وقيامته هما مركز الإنجيل، لذلك رأيت الضرورة ملحة إلى تقديم دراسة دقيقة ومختصرة قدر الإمكان لخروف الفصح على ضوء التقاليد المعروفة في ذلك الحين، وعلى ضوء التقليد اليهودي، وخلال آلام السيِّد وصلبه وقيامته، لنعرف أثره في حياة الكنيسة الجامعة وفي حياة كل عضو فيها.

الفصح والتقاليد القديمة

في أيام آدم الأول، قدم ابناه تقدمتين مختلفتين: قدم هابيل – كرجل صيد – ذبيحة دموية كفارة عن خطاياه، تسلمها بلا شك عن والديه، وقدم قايين من محصولات الأرض بكونه رجل زراعة. على أي الأحوال تسلمت البشرية هذين العملين وشوهت صورتهما خلال انحراف البشرية عن الطريق الإلهي، فصارت قبائل البدو في العالم تلطخ خيامها بعلامة الدم اعتقادًا منها أنها تطرد الأرواح الشريرة فلا تؤذيهم. أما القبائل العاملة في الزراعة فصار لها تقليد مغاير، يمتنعون عن أكل الخبز

المختمر لبضعة أيام في بداية المحصول الجديد، حتى لا يدخل الخمير الخاص بالمحصول القديم مع دقيق المحصول الجديد. بهذا يرون أنهم يبدأون عامًا جديدًا بطعامٍ جديدٍ وحياةٍ جديدةٍ.

ويلاحظ أن هذين الطقسين (رش الدم والامتناع عن الخمير) لهما أصل إيماني نقي، لكن البشرية انحرفت بهما عن مسارهما الإيماني، فجاء طقس الفصح يرد الطقسين إلى مسارهما السليم من جديد.

حمل الفصح طقس "علامة الدم"، بمفهوم المصالحة بين الله والإنسان خلال دمّ الفادي، حيث يشعر المؤمن أنه كالبدو يعيش غريبًا ليس له هنا موضع يستقر فيه، إنما هو دائم العبور، في تحرك مستمر نحو أورشليم العليا، بدهن العتبة العليا والقائمتين أي عقله وقلبه لا ليطرد الأرواح الشريرة، وإنما لكي يعبر بكل ذهنه وأحاسيسه إلى الأحضان الأبدية خلال اتحاده بالمخلص، غالبًا قوات الشر تحت قدميه.

أما الطقس الثاني الخاص بالفطير، ونزع كل خميرة من بيته، إنما يخص حياة المؤمن، الذي وإن كان في حركة دائمة نحو السماويات وفي حالة تغرب علي الأرض، لكنه يشعر في أعماقه أنه متكئ علي صدر الرب، مستريح في أحشاء الله، يعمل في كرم الرب في الأرض الجديدة، لذا يأكل الفطير سبعة أيام، أي يبقى كل أيام أسبوعه، أو كل أيام حياته يأكل الطعام الجديد الذي لا يصيبه القدم، وينعم علي الدوام بالحياة الجديدة، ويتمتع بخبز الملائكة، ويترنم بالتسبحة الجديدة، قائلاً مع الرسول: "هوذا الكل قد صار جديدًا".

والعجيب أن الكنيسة في احتفالها بعيد الفصح "القيامة" مارست منذ العصور الأولي طقسين متكاملين ومتلازمين، هما طقس عماد الموعوظين وطقس الإفخارستيا[1]. ففي ليلة العيد يقوم الأسقف بعماد الموعوظين ليحملوا علامة الدم علي جباههم الداخلية وفي قلبهم، ينعمون بالمصالحة مع الله في ابنه يسوع المسيح بواسطة روحه القدوس. ويتنعمون بروح البنوة الذي يعينهم علي العبور نحو الأمجاد الإلهية، ثم يتقدمون مع بقية المؤمنين للاشتراك في الطقس الآخر – أي الإفخارستيا – حيث تظهر الكنيسة المجاهدة علي الأرض وكأنها، وسط جهادها مستقرة حول مذبح الله الأبدي، فتأكل الفطير الجديد علي الدوام، تتمتع بالجسد والدم المقدسين اللذين لا يَفْنُما ولا يشيخا.

هذا هو فصحنا الجديد الذي حمل الفصح القديم ظلاً له ورمزًا.

[1] للمؤلف: القديس كيرلس الأورشليمي.

فصح شخصي

أمر الله أن تقوم كل الجماعة بتقديم الفصح، فهو فصح الكنيسة كلها المتحدة بعريسها، واشترط فيما بعد أن يقدم في أورشليم دون سواها، الموضع الذي فيه دُعي اسمه، لأنه فصح الرب.

هذه الصورة الجماعة الحيَّة لم تتجاهل الجانب الشخصي لكل عضو في الجماعة، بل ركزت عليها خلال اتحاد العضو بالجماعة، فلم يأمر الله أن يرش الدم على كل بيت فحسب، وإنما ألزم كل رجل وامرأة أن يأكلاه مشويًا بالنار. والأكل علامة العلاقة الشخصية والاشتراك الشخصي في ممارسة الطقس، حقًا لم يكن ممكنًا للأطفال الصغار جدًا والرضَّع أن يشتركوا في الأكل، لكنهم كانوا يحضرون الطقس ويفرحون به، بل وخلصوا من الهلاك خلال إيمان والديهم الذين يشتركون في أكل خروف الفصح.

لم يقف الأمر عند عبور الجماعة ككل وعبور كل عضو فيها: رجال ونساء وشيوخ وأطفال، لكنه حتى بعد العبور إذ كانوا يعيِّدونه سنويًا عبر الأجيال. اعتُبر كل مشترك في الاحتفال قد تمتع شخصيًا بشركة الإيمان مع الذين خلصوا، ونال نصيبًا في عمل الحرية التي عاشها الآباء السابقون، ففي سفر الخروج يقول: "تحفظ عيد الفطير... لأنه فيه خرجت (أنت) من مصر" (٢٣: ١٥)، موجهًا الحديث إلى كل عضو في الجماعة كأنه قد خرج بنفسه من مصر. وفي سفر التثنية يقول: "احفظ شهر أبيب واعمل فصحًا للرب إلهك، لأنه في شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلاً" (١٦: ١)، هذه وصية موجهة لكل مؤمن عبر الأجيال كأنه خرج مع آبائه ليلاً...

هذا أيضًا ما أكده التقليد اليهودي، فعلى سبيل المثال جاء في الحجادة[١]: "لم يخلُص أسلافك وحدهم؛ بل وهو يُخلصهم خلصنا نحن أيضًا معهم، فهو ليس بعدو واحد الذي يقف ضدنا ليُبيدنا! القدوس المبارك يُخلصنا من أيديهم!".

إذن الاحتفال بعيد الفصح، حتى في الفكر اليهودي السليم، حمل اتجاهًا داخليًا يمس حياة المؤمن وعلاقته الشخصية مع الله خلال اتحاده بالجماعة. وهو ذات الأمر الذي تعنيه الكنيسة إذ تحتفل بالفصح الجديد ليدخل كل مؤمن إلى التمتع بالحياة المقامة الجديدة خلال عبوره واستقراره في حضن الله، كعضو حيّ في الجماعة المقدسة.

---

[١] تعني "سلوك" أو "الطريق"، وهو عمل يحوي تفسيرًا للناموس بطريقة يستنبط منها قواعد سلوكية (راجع للمؤلف: التقليد والأرثوذكسية ١٩٨٠، ص ٢٩).

من الناموس إلى المسيَّا

كان عشاء الفصح عند اليهود له طقسه الخاص الذي سجله لنا الأصحاح الثاني عشر من سفر الخروج، مع بعض التقاليد الأخرى التي حملت صلوات بركة وتسابيح ومزامير معينة سجلت في المشنة[١]، وقد سبق أن ذكرت ملخصًا لها[٢]. كان هذا العيد غنيًا في ذكرياته ووعوده التي حملت رعاية الله للإنسان خاصة خلال الخلاص المقدم بالمسيَّا. فكانوا يعرفون هذه الليلة أنها ذكرى سنوية لخلقة العالم ولختان إبراهيم وذبيحة إسحق وخروج يوسف من السجن والعتق المنتظر من السبي، وظهور المسيَّا، ومجيء موسى وإيليا وقيامة الآباء ونهاية العالم[٣]. لهذا قدم السيِّد المسيح نفسه فصحًا للعالم في عيد الفصح، ليعلن أن الحقيقة تبتلع الرمز وتدخل به إلى كمال هدفه.

❖ يتحقق سرّ الفصح في جسد الرب...

فقد أُقتيد كحملٍ، وذُبح كشاة، مخلصًا إيَّانا من عبودية العالم (مصر)، ومحررنا من عبودية الشيطان كما من فرعون، خاتمًا نفوسنا بروحه، وأعضاءنا الجسدية بدمه...

إنه ذاك الواحد الذي خلصنا من العبودية إلى الحرية، ومن الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن الظلم إلى الملكوت الأبدي...

إنه ذاك الذي (فصح) عبور خلاصنا...

هو الحمل الصامت... الذي أخذ من القطيع، وأُقتيد للذبح في المساء، ودُفن بالليل.

من أجل هذا كان عيد الفطر مرًا، كما يقول كتابكم المقدس: تأكلون فطيرًا بأعشاب مرَّة،

مرَّة لكم هي المسامير التي استخدمت،

مُرّ هو اللسان الذي جدف،

مرَّة هي الشهادة الباطلة التي نطقتم بها ضده...

❖ تأمل هذا أيها العزيز المحبوب، كيف أن سرّ الفصح جديد وقديم، أبدي وزائل، غير قابل للفساد وقابل للفساد، خالد ومائت!

إنه قديم حسب الناموس، وجديد حسب اللوغوس (الكلمة الإلهي).

---

[١] المشنة *Mishnah* تعني "التكرار" أو "الشريعة الثانية"، وهي عبارة عن تجميع للتقليد اليهودي القانونية الشفوية، جمعها الحاخام يهوذا الأمير عام ٢٠٠م، وهي تشمل آراء الحاخامات والمعلمين. (للمؤلف: التقليد والأرثوذكسية ص ٢٨).

[٢] للمؤلف: المسيح في سرّ الإفخارستيا ١٩٧٣، ص ٨٩-٩١.

[٣] المرجع السابق ص ٩٣.

زائل خلال عبارات الرمز، وأبدي في عبارات النعمة.

قابل للفساد خلال موت الحملان، وغير قابل للفساد خلال حياة الرب...

هكذا ذبيحة الحملان وطقس الفصح وحرف الناموس، هذه قد تحققت في المسيح يسوع. عوض الناموس جاء اللوغوس، فصار القديم جديدًا، وصارت الوصية نعمة، والرمز حقيقة[١].

الأب ميليتو أسقف ساردس[٢]

من الفصح الأرضي إلى الفصح السماوي

يقول **القدِّيس هيبوليتس الروماني:** [يُعيد اليهود بالفصح الأرضي منكرين الفصح السماوي. أما نحن فنُعيد بالفصح السماوي عابرين على الأرضي. الفصح الذي كانوا يُعيدونه هو رمز لخلاص أبكار اليهود. لقد مات أبكار المصريين أما أبكار اليهود فلم يهلكوا لأنهم كانوا في حمى الرمز، بدم الذبيح الفصحي. أما الفصح الذي نُعيد به فيُسبب خلاصًا لجميع الناس، مبتدئًا بالأبكار الذين يخلصون ويتمتعون بالحياة تمامًا[٣].]

ويقول **القدِّيس أمبروسيوس:** [والآن وأنتم تحتفلون بالبصخة (الفصح) المقدسة، يلزمكم أن تعرفوا أيها الإخوة ما هي البصخة؟... البصخة تعني العبور، وهكذا دُعيَ العيد بهذا الاسم، لأنه في هذا العيد عبر ابن الله من هذا العالم إلى أبيه.

أي نفع لكم أن تحتفلوا بعيد الفصح إن لم تمتثلوا بذاك الذي تتعبدون له... فتعبرون من ظلمة الأفعال الشريرة إلى نور الفضيلة، ومن محبة هذا العالم إلى محبة البيت السماوي؟! فإنه يوجد كثيرون يحتفلون بهذا العيد المقدس ويُكرمونه قدره لكنهم يفعلون هذا بغير استحقاق، وذلك بسبب شرهم، وعدم عبورهم فوق هذا العالم إلى أبيهم، أي لا يعبرون شهوات هذا العالم ومن الملذات الجسدية إلى محبة السماء. يا لهم من مسيحيين تُعساء، لا يزالون تحت سيطرة إبليس، مبتهجين بهذا الشر...

لأجل هذا أُنذركم يا إخوتي، بأن تحتفلوا بعيد الفصح كما يلزم، أي ينبغي أن تعبروا. فمن كان من بينكم لا يزال في الخطية، فليُقدس هذا العيد، عابرًا من الأعمال الشريرة إلى حياة الفضيلة. ومن كان فيكم سالكًا في حياة مقدسة، فليعبر من فضيلة إلى فضيلة وهكذا لا يوجد فيكم أحد لا يعبر[٤].]

---

[1] *Mileto of Sardis: Paschal Homily.*

[٢] من رجال القرن الثاني.

[3] *Hyp. of Rome: Spiritual Pasch.*

[٤] للمؤلف: الحب الإلهي.

وقد تحدث **القدِّيس أثناسيوس** في رسائله الفصحية كثيرًا عن العبور من الفصح الزمني إلى الفصح السماوي، من ذلك:

❖ [والآن يا أحبائي قد ذُبح الشيطان (فرعون)، ذلك الطاغية الذي هو ضد العالم كله، فنحن لا نقترب من عيد زمني بل عيد دائم سمائي، مُعلنين إيَّاه لا خلال ظلال (وحرف) بل في الحق. لأن أولئك بعدما شبعوا من جسد الخروف الأبكم تمموا العيد، وإذ مسحوا قوائم بيوتهم بالدم نجوا من المُهلك. أما الآن فإذ نأكل "كلمة الآب" وتُمسح قلوبنا بدم العهد الجديد نعرف النعمة التي يهبنا إيَّاها المخلص، الذي قال: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو" (لو ١٠: ١٩)، لأنه لا يعود يملك الموت، بل تتسلط الحياة عِوَض الموت، إذ يقول الرب: "أنا هو الحياة" (يو ١٤: ٦). حتى إن كل شيء قد امتلأ بالفرح والسعادة كما هو مكتوب: "الرب قد ملك فلتفرح الأرض".

يلزمنا أن نأتي إلى العيد بغيرة وسرور، حتى إذ نبدأ هنا بالفرح تشتاق نفوسنا إلى العيد السماوي. إن عيَّدنا هنا بنشاط، فإننا بلا شك نتقبل الفرح الكامل الذي في السماء، وكما يقول الرب: "شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم. لأني أقول لكم إني لم آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله" (لو ٢٢: ١٥-١٦).

الذين يحفظون العيد في نقاوة يكون الفصح طعامهم السماوي.

ليتنا لا نُعيد العيد بطريقة أرضية، بل كمن يحفظ عيدًا في السماء مع الملائكة. لنمجد الله بحياة العفة والبر والفضائل الأخرى! لنفرح لا في أنفسنا بل في الرب، فنكون مع القدِّيسين![1]].

طقس الفصح

يرى **القدِّيس ميليتو أسقف ساردس** أن الناموس كان مقدمة لعهد النعمة، ليس فقط خلال الوصايا والكلمات، ولكن أيضًا خلال الرمز، إذ يقول: [الكلمات والأعمال (الطقسية) أيها الأعزاء لا معنى لها إن بُتر عنها ما ترمز إليه[2].] هذا هو في الواقع الفكر الكنسي بروح إنجيلي تسلمته الكنيسة منذ بدء انطلاقها.

والآن نتحدث عن طقس الفصح كما ورد في سفر الخروج وما يرمز إليه، مُستعينًا بالنصوص الإنجيلية وكتابات الآباء:

---

[1] الحب الإلهي ص ٦٤٣، ٦٠٥، ٦٤٦، ٦٤٨.

[2] *The Paschal Homily.*

١. لماذا تم بالليل؟

يقول الرب لموسى: "إني نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر" (١١: ٤)، ويؤكد في سفر التثنية "لأنه في شهر أبيب أخرجك الرب إلهك من مصر ليلاً" (١٦: ١). ويقدم لنا **القدِّيس هيبوليتس** تعليلاً لذلك قائلاً: [تمت الضربة في الظلام ليلاً، لأنه في ظل الليل بعيدًا عن نور النهار الواضح يتحقق العدل في الشياطين وجرائمهم القاتمة "وأُعطي عجائب في السماء والأرض دمًا ونارًا وأعمدة دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف" (يؤ ٢: ٣٠-٣١). وأيضًا "ويل للذين يشتهون يوم الرب. ماذا لكم يوم الرب؟ هو ظلام لا نور. كما إذا هرب إنسان من أمام الأسد فصادفه دب، أو دخل البيت ووضع يده على الحائط فلدغته حية، أليس يوم الرب ظلامًا لا نورًا، قتامًا ولا نور له؟! (عا ٥: ١٨-٢٠)[1].]

كأنه بالليل حيث يسكُن الشيطان في الظلمة يقتله الرب في عرينه، بينما هو مطمئن ليس من يُقاومه فيهلك وكل أعماله معه. لقد أسلم الرب "فصحنا الجديد" روحه في آخر النهار ودخل بالليل إلى الجحيم ليفك قيود المأسورين في الظلمة، وينطلق بهم إلى نور الفردوس الذي بلا ظلمة!

٢. في شهر أبيب أول الشهور:

كلم الرب موسى وهرون قائلاً: "هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. هو لكم أول شهور السنة" (١٢: ١). كأنه في كل فصح يدخلون عامًا جديدًا، ليعيشوا في حالة تجديد قلبي مستمر في المسيح يسوع الذبيح.

كما أن السيِّد المسيح "فصحنا" هو رأس الخليقة وبكرها صار هذا الشهر هو بكر الأزمنة، وبدء انطلاق الحياة الجديدة، كقول الرسول "دُفنا معه بالمعمودية للموت حتى... نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو ٦: ٢). وكما يقول **القدِّيس هيبوليتس:** [هذا يعني أن ذبيحة الفصح الحقيقي بالنسبة لنا هي بدء الحياة الأبدية[2]]، ويرى **القدِّيس أثناسيوس**[3] أن الفصح الرمزي جاء في بدء الشهور، أما الرب (الفصح الحقيقي) فجاء في آخر الأزمنة (عب ٩: ٢٦) ليعلن أنه نهاية الناموس وغايته (رو ١٠: ٤).

ويلاحظ أن "أبيب" تعني "سنبلة"، وكأنه خلال الفصح تصير النفس سنبلة الرب أي حصاده.

---

[1] *The Paschal History..*

[2] *The Spiritual Pasch.*

[3] رسائل القيامة للقديس أثناسيوس الرسولي: ترجمة القمص تادرس يعقوب، وأمال إبراهيم ١٩٦٧. ص ١٧٠.

٣. الحفظ في اليوم العاشر [٣]:

كان إشارة إلى دخول السيِّد المسيح أورشليم ليبقى تحت الحفظ حتى يُقدم نفسه فصحًا من أجلنا. أما اختياره اليوم العاشر، فإشارة إلى مجيئه بعد الناموس (الوصايا العشر) يكمل الوصية التي كسرها الإنسان، واهبًا لنا إمكانية تنفيذها.

٤. تقديمه في اليوم الرابع عشر [٦]:

في اليوم الرابع عشر يكون القمر بدرًا، ولما كانت الشمس رمزًا للسيِّد المسيح والقمر للكنيسة، كأنه خلال "المسيح فصحنا" (١ كو ٥: ٧)، تكتمل استنارة الكنيسة ويُعلن بهاؤها.

أما أيام الحفظ فهي خمسة (١٠-١٤ أبيب)، تمثل البدايات الخمس للعالم في تاريخ الخلاص. آدم به بدأ الجنس البشري، ونوح به بدأ العالم بعد الطرفان، إبراهيم بدأ كأب للمؤمنين ومن صلبه خرج شعب الله، وموسى بدأ العالم في الناموس المكتوب وأخيرًا جاء المسيح في اليوم الخامس ليبدأ عهد النعمة، فيه قدم نفسه فصحًا، له فاعليته في كل الحقبات الخمس.

الخمسة أيام أيضًا تُشير إلى فاعلية الفصح الحقيقي لجميع الذين يعملون في أي ساعة من ساعات النهار الخمس، أي الذين بدأوا العمل في الساعة الأولى أو الثالثة أو السادسة أو التاسعة أو الحادية عشر.

٥. دعوة الجار القريب [٤]:

تُشير هذه الدعوة إلى دعوة الأمم بكونهم "القريب" الذي ينعم أيضًا بذبيحة الفصح الحقيقي.

٦. شاة صحيحة [٥]:

اشترط أن يكون إما خروفًا، رمز للوداعة كقول إشعياء النبي: "ظُلم أمَّا هو فتذلل، ولم يفتح فاه، كشاةٍ تُساق إلى الذبح" (٥٣: ٧)، أو من الماعز الذي يقدم فدية عن الخطية حسب الناموس (عد ٧: ١٦).

لقد دُعيَ المسيح المخلص بالحمل، إذ جاء في سفر إرميا "وأنا كخروف داجن يُساق إلى الذبح ولم أعلم أنهم فكروا عليَّ أفكارًا قائلين لنُهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الأحياء فلا يُذكر بعد اسمه" (١١: ١٩). وقال عنه إشعياء النبي: "كشاةٍ تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازَّيها، فلم يفتح فاه" (٥٣: ٧)... وإذ نظره القدِّيس يوحنا المعمدان قال: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم"

(يو ١: ٢٩). وفي السماء رآه القدِّيس يوحنا اللاهوتي "وفي وسط القسوس خروف قائم كأنه مذبوح" (رؤ ٥: ٦).

أما كونه صحيحًا بلا عيب، فلأن السيِّد المسيح قدوس بلا عيب، يقدر أن يُكفِّر عن خطايانا بدم نفسه (عب ٩: ١٤). يقول **القدِّيس هيبوليتس الروماني:** [لأن المسيح وحده بلا عيب في كل فضيلة، وبلا خطأ في أي أمر، يُقدم كل برّ من البداية حتى النهاية، إذ قال عن نفسه: "يليق بنا أن نُكمل كل برّ" (مت ٣: ١٥)[1]]. كما يقول الرسول: "إنكم أُفتديتم... بدم كريم كما من حمل بلا عيب دم المسيح".

أما كونه ذكرًا فإشارة إلى رئاسته، لكونه عريس كل المؤمنين (٢ كو ١١: ٢)، إذ "من له العروس فهو العريس" (يو ٣: ٢٩).

"ابن حول"، أي شاب ليس فيه ضعف الشيخوخة ولا يصيبه القِدم، يبقى جديدًا في حياتنا على الدوام، مع أنه هو القديم الأيام الأزلي.

٧. يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل [٦]:

من جهة تحقق هذا الأمر في شخص السيِّد المسيح الذي قيل عنه "اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودس وبيلاطس بنطس مع أمم وشعوب إسرائيل" (أع ٤: ٢٧)، ومن ناحية أخرى فإن السيِّد هو الذي تقدم بنفسه ليقدم نفسه ذبيحة حب عنَّا. لهذا يقول **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم:** [الأمر لم يكن هكذا بالنسبة للمسيح، فإنه لم يُؤمَر بعمل هذا إنما تقدم بنفسه وصار هكذا، مقدمًا نفسه ذبيحة وقربانًا لله[2].]

بالرغم من تعدد العائلات التي تقدم الحملان لكن الجميع يشتركون في ذبيحة واحدة، أما السيِّد المسيح فقد قدم نفسه فصحًا واحدًا يُكفر عن كل الأمم والشعوب، جامعًا الكل حوله كما في بيت واحد. في هذا يقول **القدِّيس هيبوليتس:** [كما كانت بيوت العبرانيين عديدة لكنها تُحسب كأنها بيت واحد، هكذا مهما كثرت الكنائس في المدينة والبلدة فهي تمثل كنيسة واحد. المسيح الذي هو كامل غير منقسم في بيوت متنوعة، إذ يقول بولس نفسه أننا واحد في المسيح[3].]

---

[1] *The Spiritual Pasch.*
[2] *In Joan, hom 14.*
[3] *The Spiritual Pasch.*

اشترط أيضًا ألاَّ يحملونه خارج البيت، وفي هذا يقول **القدِّيس هيبوليتس:** [لأن الاجتماع واحد، البيت واحد. إنها الكنيسة الواحدة حيث يؤكل جسد المسيح المقدَّس، أما خارج هذا البيت الواحد أي الكنيسة فلا يُحمل الجسد. من يأكله في موضع آخر يُعاقب كشرير ولص[1].]

٨. ذبحه في العشية [٦]:

إشارة إلى تقديم السيِّد المسيح نفسه فصحًا عن العالم في ملء الأزمنة.

٩. رش الدم على العتبة العليا والقائمتين [٧]:

يتحدث الرسول عن فاعلية الدم قائلاً: "فأرى الدم وأعبر عنكم"، "لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب ٩: ٢٢).

بلا شك رأى كثير من المصريين ذبح الخرفان ورش الدم واستهزأوا بهم فهلكوا، وأيضًا لو أن عبرانيًا ربط الخروف عند الباب بدلاً من ذبحه لهلك أيضًا، إذ لا خلاص لنا إلاَّ خلال موت السيِّد المسيح وسفك دمه عنا، لهذا يقول: "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتموت، فهي تبقى وحدها" (يو ١٢: ٢٤).

كان دم الخروف رمزًا لدم السيِّد المسيح الذي بدونه ليس من خلاص. وكما يقول **الأب لاكتانتيوس:** [خلُص العبرانيون وحدهم بواسطة علامة الدم، ليس لأن دم الخروف في ذاته له فاعلية لخلاص البشر، وإنَّما كان رمزًا للأمور المقبلة[2].]

ويتحدث **القدِّيس هيبوليتس الروماني** عن قوة علامة الدم قائلاً: [إنها توضع في البيوت كما في النفوس، حيث يجد فيها روح الرب مسكنه المقدس[3].] كما يقول أن: [الدم على العتبة العليا كما على الكنيسة، وعلى القائمتين كما في الشعبين (اليهود والأمم).]

ويرى **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** أن رش الدم هكذا على العتبة العليا والقائمتين، إنما يُشير إلى تقديس النفس بجوانبها الثلاثة: العقلي والعاطفي والروحي[4]، أي تقديس الإنسان بكل طاقاته الفكرية واشتياقاته وعواطفه وأحاسيسه الداخلية.

هكذا رأى الآباء في علامة الدم تقديس الكنيسة الجامعة والنفس البشرية كعضو في هذه الكنيسة.

---

[1] *The Pasch History.*
[2] *Lactantius: Divine Institutes 4: 26.*
[3] *Pasch Hist.*
[4] *Vita Mos. 2: 96.*

ويلاحظ أن رش الدم لا يكون على العتبة السفلية حتى لا يُداس بالأقدام، إذ يقول الرسول: "كم عقابًا أشر تظنون أنه يُحسب مستحقًا من داس ابن الله وحَسب دم العهد الذي قُدِّس به دنسًا وازدرى بروح النعمة" (عب ١٠: ٢٩). أما عن جهادنا للتمتع بثمر هذا الدم. فيقول **القدِّيس أثناسيوس:** [يليق بنا أن نطيل صلواتنا وأصوامنا وأسهارنا حتى يمكننا أن ندهن مقدمة منازلنا بالدم الثمين فيهرب المُهلك[1].]

١٠. استخدام الزوفا [٢٢]:

"خذوا باقة زوفا، واغمسوها في الدم الذي في الطست، ومسوا العتبة العليا والقائمتين بالدم".

لم يستطِع العلماء الوصول إلى رأي قاطع عن نبات الزوفا، إلاَّ أن الرأي التقليدي بين اليهود أنه هو الزعتر أو السعتر، استُخدم في الكتاب المقدس للتطهير من البرص (لا ١٤: ٤، ٦)، ومن الخطية (مز ٥٠: ٧)، ومن الأوبئة (لا ٤: ٤٩-٥٠)، وللطهارة الطقسية (عد ٦: ١٨-١٩). واستخدم أيضًا لرفع إسفنجة من الخل التي قُدمت للسيِّد على الصليب (يو ١٩: ٢٩). ويقال أن الزوفا نبات عطري الرائحة ينبت في الجدران وفي الصخور.

يرى **القدِّيس أغسطينوس** [أن الزوفا عشب ضعيف ومنخفض، لكن جذوره عميقة وقوية. كأنه يدخل بجذوره إلى الحب ويتعمق فيه ليدرِك مع القدِّيسين ما هو العرض والطول والعمق والارتفاع (أف ٣: ١٧-١٨)، ويتعرف على صليب ربنا[2]]. كأنه خلال الدم النابع عن الحب الذي بلا حدود نتقدس، يُنزع عنا برص الخطية ونُشفى من أمراضنا وتتطهر نفوسنا ونشترك مع المسيح في آلامه على الصليب.

١١. يأكلونه مشويًا بالنار [٩]:

أ. لا يقف الطقس عند رش الدم، إنما يلتزم المؤمنون بأكل اللحم مشويًا بالنار، للاتحاد بالسيِّد المسيح الذي اجتاز من أجلنا العدل الإلهي قائلاً: "قلبي كالشمع ذاب في وسط أحشائي. قوتي نشفت كزق ولصق لساني بحنكي".

---

[1] رسائل الفصح ٣-٦.

[2] *On Christian Doctrine 2: 41.*

ب. لا نقف عند الإيمان بالسيِّد المسيح المتألم الذي اجتاز النار من أجلنا، وإنما أيضًا يُلزمنا أن نتناول جسده ودمه المبذولين عنا ليكون لنا معه شركة آلام ونتعرف على قوة قيامته، بهذا نثبت فيه وهو فينا (يو ٦: ٤).

ج. يرى **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** أن طعام الفصح هو [الإيمان الحار المتقد[1]]. ويتحدث عنه **العلامة أوريجينوس** قائلاً: [ليكن لنا الروح الحار، ولنتمسك بالكلمات النارية التي يقدمها الله لنا كما قدمها لإرميا النبي قائلاً: "هأنذا جاعل كلامي في فمك نارًا" (إر ٥: ١٤). ولننظر أن جسد الحمل قد طُهي جيدًا حتى يقول الذين يشتركون فيه أن المسيح كان يتكلم فينا "ألَم يكن قلبنا ملتهبًا فينا إذ كان يُكلمنا في الطريق ويوضِّح لنا الكتب؟!" (لو ٢٤: ٣٢)[2]].

د. كانت العادة أن يُشوَى الخروف على سيخين متقاطعين يرمزان للصليب.

١٢. لا تأكلوا منه نيئًا أو طبيخًا مطبوخًا بالماء [٩]:

يُريدنا أن نتمتع بالكلمة الإلهي الملتهبة بالنار، لا نأكل منها نيئًا أو مطبوخًا بالماء، أي لا نتقبلها بطريقة مائعة كالماء، بل نتقبلها بروح حار، جادين في التمتع بها.
يُريدنا أن نقبل الإيمان بالصليب خلال الألم لا بروح التراخي والميوعة.

١٣. رأسه مع أكارعه وجوفه [٩]:

إذ نتناول فصحنا الجديد ندخل إلى الرأس والقدمين والجوف، أي نتعرف على محبة المسيح لعلنا ندرك ارتفاعها (الرأس) وأعماقها (القدمين) وعرضها (الجوف)، فنجدها تحصرنا من كل جانب.
يرى **القدِّيس هيبوليتس الروماني**[3]: أن الرأس هو الناموس الذي بدأ بالكشف عن "سر الفصح"، والقدمين هما التلاميذ الذين حاولوا أن يكرزوا بالسلام على جبال صهيون، أما الجوف فهو الفصح ذاته الذي عرفناه خلال الناموس والإنجيل.

١٤. مع فطير [٨]:

يُشير الخمير إلى الشر والخبث (١ كو ٥: ٧-٨)، وإلى الرياء، لذا ينصحنا **القدِّيس أمبروسيوس** قائلاً: [إذا كان الاحتفال بعيد الفصح قد أُعتيد فيه قديمًا أن يأكلوا الفطير خلال السبعة أيام، هكذا

---

[1] *Vita Mos. 2: 109.*
[2] *Origen: Comm. Joan 13.*
[3] *The Pasch Hist.*

يلزم على كل مسيحي أن يأكل من جسد الحمل الحقيقي أي المسيح وأن وأن يعيش في حياة مقدسة بسيطة كل أيام حياته، أي خلال السبعة أيام. احذروا من الخمير القديم، فلا تبقوا فيه يا إخوتي، وذلك كما يحذرنا الرسول قائلاً: "إذًا نقوا منكم الخمير العتيقة" (١ كو ٥: ٧)، أي تنقُّوا من السلوك القديم. فإن تحوَّلتم عن كل الشر الذي يُشار له بالخمير العتيق، ولاحظتم بإيمان ما قد تعهدتم به في المعمودية، عندئذٍ تكونون مسيحيين حقيقيين![١].

يقول **القدِّيس أثناسيوس الرسولي** معلقًا على قول الرسول: "إذًا لنُعيد ليس بخميرة عتيقة، لا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق" (١ كو ٥: ٨)، يقول: [إذ نخلع الإنسان العتيق وأعماله، نلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله (أف ٤: ٢٢، ٢٤)، ونلهج في ناموس الله نهارًا وليلاً، بعقل متضع وضمير نقي. لنطرح عنا كل رياء وغش، مبتعدين عن كل كبرياء ومكر. ليتنا نتعهد بحب الله ومحبة القريب، لنصبح خليقة جديدة، متناولين خمرًا جديدًا... إذًا لنحفظ العيد كما ينبغي[٢]].

ويرى بعض الآباء مثل **أوريجينوس** أن الفصح القديم ارتبط بالخمير حتى لا يختمر المؤمنون بخمير العالم، منتظرين الخمير الجديد الذي لملكوت الله (مت ١٣: ٣٣).

ويلاحظ أن السيِّد المسيح في سرّ الإفخارستيا استخدم خبزًا مختمرًا، لأنه حمل في جسده خطايانا.

١٥. على أعشاب مرَّة يأكلونه [٨]:

أ. يرى **القدِّيس جيروم** أن الله قد منع استخدام العسل في التقدمات وفي نفس الوقت أمر بأكل خروف الفصح على أعشاب مرَّة، كأنه لا يريدنا أن نعيش مدللين بل نحتمل الضيق في العالم[٣].

ب. الأعشاب المرة تُذكر الشعب مرارة عبودية الخطية التي يتحررون منها خلال خروف الفصح.

ج. تُشير الأعشاب المرة إلى التزامنا بالتقدم إلى سرّ الفصح الجديد في مرارة قلب وانسحاق روح من أجل خطايانا. فإذ يتمرر فمنا بسبب الخطية يمتلئ قلبنا من حلاوة جسد الرب ودمه. بمعنى آخر لا تمتع بسرّ الإفخارستيا دون التوبة والاعتراف.

---

[١] الحب الإلهي ص ٦٤٠.

[٢] الحب الإلهي ص ٦٤١.

[3] *St. Jerome: Ep. 128: 2.*

١٦. لا تبقوا منه إلى الصباح [١٠]:

إشارة إلى سرّ الفصح كسرّ "الحياة الجديدة". وقد حرصت كنيستنا على عدم إبقاء الأسرار الإلهية لليوم التالي.

١٧. عظمًا لا تكسروا منه [٤٦]:

يُشير إلى السيِّد المسيح الذي لما جاءوا ليكسروا ساقيه وجدوه قد مات سريعًا (يو ١٩: ٣٦) فلم يكسروهما. ويرى **القدِّيس هيبوليتس** أنه بهذا نستطيع التعرف على قيامته (يو ٢٠: ٢٧)، الذي قام يحمل آثار الجراحات، لكنه ما كان يليق أن يقوم برجلين مكسورتين.

كما أن عظام السيِّد لم تُكسر، هكذا يليق بنا أن نتقبل "كلمة الله" التي نأكلها متقدة بالنار دون أن نكسر عظامها، أي دون أن نتفهمها بطريقة بشرية حرفية قاتلة، إنما نتفهمها خلال الروح الذي يبني.

وكما أن الفصح لا يُكسر عظامه، هكذا الصديقون المتحدون بالسيِّد المسيح فصحهم لا تُكسر عظامهم، إذ يقول المرتل: "يحفظ جميع عظامهم. واحد منها لا تتكسر" (مز ٣٤: ٢٠). وكما يقول **القدِّيس أغسطينوس**[1]: [إن المرتل لا يتحدث عن العظم بالمفهوم الحرفي إنما يقصد الإيمان الحيّ الذي لا ينكسر، مدللاً على ذلك باللص اليمين الذي انكسرت عظام قدميه، أما عظام نفسه فقد حفظها الرب، إذ تمسك بالإيمان في لحظات الضيق المرّ فاستحق الدخول إلى الفردوس محفوظًا بين يديّ الله.

١٨. يأكلوه وهم في استعداد للرحيل [١١]:

اشترط أن يأكلوه هكذا "أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم في أرجلكم وعصِّيكم في أيديكم، وتأكلونه بعجلةٍ. هو فصح للرب" [١١].

يُقدم **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم**[2] لهذه العبارة تفسيرين:

❖ [التفسير الأول هو التفسير التاريخي، حيث يتذكر اليهود أنهم راحلون، وكأنهم بهذا العمل يقولون: "نحن مستعدون للرحلة. ها نحن خارجون من مصر إلى أرض الموعد. ها نحن خارجون". لقد عرف هذا الشعب بكثرة النسيان فأعطاهم هذه الوصية حتى لا ينسوا غاية الفصح.

التفسير الثاني هو التفسير الرمزي، إذ يقول: نحن أيضًا إذ نتناول الفصح الذي هو المسيح (١ كو ٥: ٧)... يليق بنا أن نتناوله محتذين متمنطقين. لماذا؟ لكي نكون نحن أيضًا مستعدين لخروجنا

[1] *On Ps. 34.*
[2] *In Eph. Hom 23.*

ورحيلنا. ليت كل أحد يتناول هذا الفصح ولا ينظر إلى مصر (العالم) بل إلى السماء، متطلعًا إلى أورشليم العليا (غل ٤: ٦)... فالتمنطق هو جزء من رحيل النفس. انظر ماذا يقول الله لإنسان بار: "اشدد الآن حقويك كرجل فإني أسألك فتعلمني" (أي ٣٨: ٣). هذا أيضًا ما قاله لكل الأنبياء، وما قاله أيضًا لموسى سائلاً إيَّاه أن يكون متمنطقًا. بل والله نفسه ظهر لحزقيال متمنطقًا (٩: ١١ الترجمة السبعينية). والملائكة أيضًا يظهرون مُتمنطقين (رؤ ١٥: ٦) بكونهم جنود... إذن فلنتمنطق لنقف بشجاعة... ولا نخف لأن قائد خروجنا يسوع وليس موسى].

إذن كانوا يأكلونه كأناس ينتظرون الرحيل والعبور من أرض العبودية متجهين نحو أرض الموعد، مستعدين بجسدهم (المنطقة) وبأيديهم (العصا) وبأرجلهم (الأحذية). هذا هو مفهوم الاستعداد لسرّ الإفخارستيا، إننا نتناول ونحن مشتهين للعبور إلى حيث المسيح جالس.

الأحقَّاء المشدودة تُشير إلى ضبط شهوات الجسد وملذاته، ليسلك الإنسان ليس حسب أهواء جسده بل حسب شهوات الروح السماوية. لذلك إذ يتحدث **القدِّيس يوحنا كاسيان** عن تمنطق الراهب بمنطقة يقول: [ليعرف جندي المسيح وهو يحتمي بمنطقة يطويها حوله أنه ليس فقط يهيئ ذهنه لقبول أي عمل في الدير، وأن تكون حركته بلا عائق بسبب ملابسه... وإنما استخدامه منطقة من الجلد الميت تعني أنه يحمل إماتة جميع أعضائه التي تحوي بذار الشهوة والدنس، فيعرف على الدوام وصية الإنجيل القائلة: "فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية" (كو ٣: ٥)[1].

الحذاء الذي في الرجل يُشير إلى ما حدث مع موسى النبي، فقد خلع الحذاء المصنوع من جلد الحيوانات الميتة حتى يقدر أن يتمتع بالعليقة المتقدة نارًا. أما هنا فهو يلبس حذاءً من نوع آخر، هو حذاء السيِّد الذي قال عنه معلمنا يوحنا المعمدان أنه غير مستحق أن ينحني ويحل سيوره. إذًا فليكن لنا حذاء السيِّد حتى كما سلك ذاك نسلك نحن بحذائه لا نخاف أشواك هذه الحياة، ولا عنف فرعون وسطوته بل ندكّ كل قوات الشر تحت أقدامنا. وكما يقول **القدِّيس أمبروسيوس:** [من يحتفل بفصح الرب ويُعيد بالحمل يلزم أن تكون قدماه محصنتين ضد هجمات الوحوش المفترسة الروحية ولدغات الحيّة[2]].

[1] *Instit 1: 11.*
[2] *Conc. Rep. 2: 3.*

أما العصا التي في أيدينا فهي عصا الله التي دُعيت أيضًا عصا موسى وعصا هرون... إننا نتكئ على قوة الله التي للخلاص (الصليب) ونمسك بعصا الوصية (موسى) ونمارس العبادة الروحية (هرون).

يرى بعض الآباء في العصا "الرجاء" الذي تستند عليه النفس في رحلتها نحو السماء لتطرد تهديدات إبليس المحطمة لها كما يطرد المسافر الكلاب بعصاه.

أخيرًا فإن **القدِّيس أثناسيوس الرسولي** يتحدث عن الاستعداد لهذه الرحلة، قائلاً: [ربنا يسوع المسيح هو النور الحقيقي، الذي هو عوض العصا صولجاننا، وعوض الفطير هو الخبز النازل من السماء (أف ٦: ١٥)، وباختصار يقودنا الرب بهذه جميعها إلى أبيه[١]].

أما عن أكل الفصح بعجلة [١١] فيقول **القدِّيس هيبوليتس:** [يجب على من يقترب إلى هذا الجسد العظيم أن يكون ساهرًا وصائمًا[٢]]، أي مستعدًا للانطلاق.

١٩. يعيِّدونه فريضة أبدية [١٤]:

تأكيدًا لعمل الفصح الأبدي، وأيضًا حتى يبقى الشعب القديم منتظرًا مجيء الفصح الحقيقي الذي يُقدس دمه إلى الأبد.

٢٠. لا يأكل منه غريب [٤٣، ٤٨]:

اشترط ألاَّ يشترك فيه أهل الغُرلة، إنما يشترك أهل الختان وحدهم. هكذا لا يقدر أن يتمتع بالتناول من الأسرار المقدسة إلاَّ الذي نال الختان الروحي، أي المعمودية، فصار ابنًا لله، له حق الاتحاد معه في المسيح يسوع.

في الرسالة السادسة من رسائل القيامة يقول **البابا أثناسيوس الرسولي:** [الإنسان المخادع وغير النقي القلب والذي ليس فيه شيء طاهر... هذا بالتأكيد غريب عن القدِّيسين ويُحسب غير مستحق أن يأكل الفصح، لأن كل ابن غريب لا يأكل منه. لهذا عندما ظن يهوذا أنه حفظ الفصح بينما كان يدبر خداعًا ضد المخلص، صار غريبًا عن المدينة التي هي من فوق وبعيدًا عن الصحبة الرسولية، إذ أمرت الشريعة أن يؤكل الفصح بحرص لائق، أما هو فبينما كان يأكل نقبه الشيطان ودخل إلى نفسه (يو ٢٢: ٣١)[٣]].

---

[١] القديس أثناسيوس الرسولي: رسائل القيامة (ترجمة القس تادرس يعقوب وأمال إبراهيم ١٩٦٧، ص ١٦٩.

[2] *Pasch Hist.*

[٣] رسائل القيامة ٦: ١١.

٢١. فصح للرب [١١]:

يُميز الكتاب المقدس بين "فصح الرب" و"فصح اليهود"، ففي الشريعة لا يقول "فصحكم" أو "فصح اليهود" وإنما دائمًا يقول "فصح للرب"، ناسبًا الفصح له، لكنه حين سقط الشعب في الشر وعاشوا بلا توبة لا يدعوه منسوبًا إليه بل إليهم[١]، قائلاً: "رؤوس شهوركم وسبوتكم ونداء محفلكم لست أطيق. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي" (إش ١: ١٣).

لاحظ **العلامة أوريجينوس** أن هذا الأمر يحدث في كل أنواع العبادة فيسمى السبت "سبت للرب"، وفي سفر العدد يقول: "قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه في وقته" (٢٨: ١). وأيضًا يسمي الشعب "شعبي" لكنه عندما انحرف عن العبادة له قال لموسى: "إذهب إنزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرضي" (خر ٣٢: ٧)، إذ لم يعد شعب الله بل شعب موسى.

قتل الأبكار

أ. يرى **العلامة ترتليان** أن المصريين قد دفعوا ثمن ما فعلوه بقتلهم أولاد العبرانيين وإلقائهم في النهر، فأدبهم الرب بذات فعلهم[٢].

ب. سمح الله بقتل جميع الأبكار، ولا تترك ماشية واحدة في مصر، هذه صورة رمزية لعمل الله الذي سيُبيد الشر، أما أولاده فحتى شعور رؤوسهم محصاة وتحت رعايته.

ج. يرى **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** في هذا الأمر إشارة رمزية لإبادة كل علَّة للخطية، إذ يقول: [يليق بمن يمسك بشر خلال الفضيلة أن يقتله منذ بدايته، بهذا يُحطم ما يأتي وراءه. هذا ما يعلمنا به الرب في الإنجيل فيدعونا بكل وضوح أن نقتل أبكار الشر... إذ أمرنا بإبادة الشهوة والغضب فلا نخاف من وصمة الزنا وجريمة القتل (مت ٥: ٢٢، ٢٨). فإن هذين لا يأتيان فجأة، إنما الغضب يُنتج قتلاً، والشهوة تولِّد زنا... فبتحطيم الأبكار (الشهوة والغضب) نقتل بلا شك ما ينجم وراءهما. فلو أخذنا الحيّة مثالاً، فإنه يسحق رأسها يكون جسدها قد قتل في نفس الوقت[٣]].

---

[1] *Cf. Origen: Comm. Joan 12; Athanasius: Paschal letters 6: 2.*
[2] *Tertullian: Adv. Marc. 2: 20.*
[3] *Vita Mos. 2: 92-94.*

الباب الثاني

من مصر إلى سيناء

(١٢: ٣٧-١٩: ٢)

في هذا الجزء يصف موسى النبي الرحيل من رعمسيس ويضع القواعد الخاصة بالفصح والشروط التي يخضع لها الغرباء للاشتراك في هذا العيد (١٢: ٤٣-٥١)، وفرض تقديس كل بكر (ص ١٣)، كما تحدث عن الأحداث التالية:

عبور البحر الحمر **[١٤].**

تسبحة الخلاص **[١٥].**

المياه المرَّة والمن والسلوى **[١٥-١٦].**

الصخرة المتفجِّرة **[١٧].**

الانتصار على عماليق **[١٧].**

زيارة يثرون حميه **[١٨].**

تابع: الأصحاح الثاني عشر

خروج الشعب

استدعى فرعون موسى وهرون وقال لهما: "قوموا اخرجوا من بين شعبي... واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم. خذوا غنمكم أيضًا وبقركم كما تكلمتم واذهبوا. وباركوني أيضًا" [٣١-٣٢]، وكان المصريون يلحُّون عليهم بالخروج...

هكذا يعمل الله في حياتنا، ليس فقط يدعونا للعبور إليه، وليس فقط يلهب الحنين في القلب للعبور، وإنما إن ثابرنا حتى النهاية يجعل حتى المقاومين لنا يدفعوننا للعبور دفعًا.

لقد طلب الشعب من المصريين ذهبًا وفضة وثيابًا فأعطوهم، وقد رأينا أن ذلك كان بسماح إلهي، كتعويض عن الأجرة التي سلَبهم إيَّاها المصريون أيام السخرة وبناء البيوت لهم مجانًا، كما حملت رمزًا لتقديس الطاقات والأحاسيس التي كانت تُستخدم لحساب الخطية لتكون آلات بر الله[١]. ويرى **القدِّيس غريغوريوس أسقف نيصص** في هذا التصرف صورة رمزية لعمل الكنيسة التي استعارت من العالم فلسفاته وعلومه وانتفعت بها: [تكون هذه الأمور نافعة إذا ما زين سرّ الهيكل الإلهي بغنى العقل[٢]]. [كثيرون قدموا لكنيسة الله علومهم الزمنية كنوع من التقدمة، من هؤلاء باسيليوس الكبير الذي طلب الغنى المصري من كل ناحية أثناء شبابه وكرّس هذا الغنى لله لتزيين الكنيسة، خيمة الاجتماع الحقيقية[٣]].

محطات الرحلة

تحدث **العلامة أوريجينوس** كثيرًا عن محطات هذه الرحلة بكونها تحمل ملامح انطلاق النفس من أرض العبودية إلى أورشليم العليا، وسنحاول بمشيئة الله أثناء دراستنا لهذا السفر ولسفر العدد أن نتحدث عن هذه المحطات:

"**رعمسيس**": هذه هي بدء انطلاق الرحلة، حيث انطلق منها الشعب إلى سكوت. "رعمسيس" عند **أوريجينوس** تعني "بلد الفساد"، وكأن بداية الطريق هو خروج الإنسان من "بلد الفساد" أو من مثيرات الخطية والشر، فإننا لا نقدر أن ننعم برحلة الخلاص ونحن مستسلمون في أماكن الخطية، في هذا

---

[١] راجع تفسير الأصحاح الثالث (فقرة ٣)، العلامة ترتليان: ضد مرقيون ٤: ٢٤.

[2] *Vita Mos. 2: 115.*

[3] *Ibid 2: 116.*

يقول: [إن أردت أن يكون الرب قائدك، يتقدمك في عمود السحاب، وتتقدمك الصخرة، وتأكل المن الروحي وتتمتع بالشراب الروحي، فلترحل من رعمسيس "لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون" (مت ٦: ٢٩). كما يتحدث الرب بوضوح قائلاً: "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك وأعطِ الفقراء وتعال اتبعني" (مت ١٩: ٢١). هذا هو معنى الرحيل عند رعمسيس واتِّباع المسيح[1]].

"**سكوت**": عند **أوريجينوس** تعني "خيمة"، وكأن المؤمن إذ يترك مثيرات الخطية يُلزمه أن يتطلع إلى حياته هنا كغربة، وكما يقول **العلامة أوريجينوس**: [إذ تنفض عنك صدأ الفساد وتبتعد عن مجال الرذيلة أسكن في الخيام، هذه التي لا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها (٢ كو ٥: ٤). يسكن في الخيام من يركض نحو الله حرًا بلا قيود ولا أحمال[2]].

عدد الخارجين

"الذين خرجوا ستمائة ألف ماشين من الرجال عدا الأولاد" [٣٧].

هذا الرقم يحمل رمزًا لعبور الكنيسة فإنه يتكون من رقم ٦ × ١٠٠ × ١٠٠٠.

رقم ٦ يُشير إلى كمال العمل الإنساني، لأنه في ستة أيام خلق الله العالم، وفي اليوم السادس أوجد الإنسان أكمل خليقة الله على الأرض، كأن الإنسان يخرج حاملاً كمال إمكانياته البشرية من أفكار ودوافع وأحاسيس وعواطف ومواهب مكرسًا جسده وروحه بالكمال لله. أما رقم ١٠٠ فيُشير إلى كمال عدد الجماعة، وكأنه يليق أن تنطلق الكنيسة بأجمعها ولا تترك عضوًا حيًا لا يخرج خلالها نحو الله. أما رقم ١٠٠٠ فكما رأينا في تفسيرنا لسفر الرؤيا[3] تعني الحياة السماوية... وكأن الكنيسة تخرج بكل أولادها بكل طاقاتهم الروحية والجسدية منطلقين نحو أورشليم العليا بفكر سماوي وحياة سماوية.

أما دعوتهم "ماشين من الرجال" فتعني أن الكنيسة في حالة تحرك مستمر نحو السماء بروح الجهاد والمثابرة بلا يأس، لا تعرف التوقف عن العبور.

أما قوله "عدا الأولاد" إنما تُشير أنهم رجال يحملون ثمارًا روحية مستمرة.

---

[1] *In Exod, hom 5: 2.*

[2] *Ibid.*

[3] للمؤلف: رؤيا يوحنا اللاهوتي، طبعة ١٩٨٠.

الأصحاح الثالث عشر

تقديس البكر

شمل هذا الأصحاح الحديث عن:

١. **تقديس البكر** ١–١٦.
٢. **تيَهان الشعب** ١٧–١٨.
٣. **عظام يوسف** ١٩.
٤. **النزول في إيثام** ٢٠–٢٢.

١. تقديس البكر

أول وصية أمر الله بها موسى بعد الخروج مباشرة هي: "قدِّس لي كل بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس ومن البهائم إنه لي" [٢].

إنها ليست أمرًا أو وصية بقدر ما هي عطية ووعد، فبخروج الشعب من دائرة العبودية والانطلاق نحو أورشليم العليا يدخل المؤمن في دائرة ملكية الله، ويصير عضوًا حيًا في هذا الملكوت الإلهي، إذ يقول: "إنه لي".

أ. **المسيح بكرنا:** طلب الله البكر من الإنسان والحيوان، وفيما بعد يطلب أيضًا أبكار الحصاد والكروم والزيت، واهتم الرب بهذا الأمر في أسفار الخروج (١٣) واللاويين (٢٣: ١٠–١٤؛ ٢٧: ٢٦–٢٩)، والعدد (١٥: ١٩–٢١؛ ١٨: ١٣–٢٠؛ ١٩: ٢٣)، بتقديم البكر للرب يتقدس الكل، وبهذا يُحسب أن الكل قد قدم للرب. كان هذا رمزًا للسيِّد المسيح بكرنا، وبكر كل الخليقة ورأسها (كو ١: ١٥، ١٨؛ رو ٨: ٢٩). تقدم نيابة عنا نحن إخوته الأصاغر مقدمًا حياته للآب ذبيحة طاعة وحب بلا عيب، فاشتمه أبوه الصالح رائحة رضا وسرور، فصارت البشرية المتحدة فيه موضوع سرور الآب ورضاه.

لتوضيح ذلك نقول أن الله الكلمة صار واحدًا منا، وإن كان قد جاء حسب الجسد بعد كثيرين لكنه دُعي "آدم الثاني" وحُسب البكر إذ فقد آدم الأول بكوريته للبشرية بسبب خطيته، كما فقد عيسو بكوريته وتسلمها يعقوب، وفقد أيضًا رأوبين بكوريته لأنه دنَّس فراش أبيه (تك ٤٩: ١، ٣؛ ١ أي ٥: ١). وكما حُسب إسحق البكر لأبيه يعقوب وورث كل شيء (تك ٢١: ١٠) مع أنه وُلد بعد أخيه

إسماعيل. ليس من يقدر أن ينال البكورية للبشرية في وجود السيِّد المسيح، القدوس وحده الذي بلا عيب، تقدم كبكر ثمار البشرية للآب فقُبل فيه كل المؤمنين به، وتقدسوا فيه، وسمع كل مؤمن من الفم الإلهي: "إنك لي" [٢].

يظهر ذلك بوضوح في بكور ثمار الشجرة (لا ١٩: ٢٣) فإنها تبقى غلفاء ثلاث سنين أي غير مقدسة روحيًا، وفي السنة الرابعة يقدم كل ثمرها للرب، حينئذٍ يقول الرب: "أنا الرب إلهكم" (لا ١٩: ٢٥). ما هذه الشجرة إلاَّ البشرية التي بقيت غلفاء ثلاث سنوات في الفردوس حين سقط أبوانا آدم وحواء، والبشرية في عهد الآباء في ظل الناموس الطبيعي، والسنة الثالثة في ظل الشريعة الموسوية، أما السنة الرابعة التي يتقبل فيها كل ثمرها فهو في عهد النعمة حيث تقدم السيِّد المسيح ثمرًا مقدسًا عنّا...

ويلاحظ أن فكرة البكورية عرفها الإنسان قبل الشريعة الموسوية، فالإنسان يفرح بابنه البكر، والفلاح يفرح ببكور حصاده... لذا كما قدم لنا الله ابنه البكر الوحيد فدية عنا طالبنا رد الحب بالحب، فنقدم له بكور أولادنا لخدمته بل وبكور حيواناتنا وحصادنا، فهو يريد من أثمن ما لدينا وليس من فضلاتنا.

ب. كنيسة الأبكار: في القديم طالب بأبكار شعبه الذكور كعلامة عمله الخلاصي معهم إذ يقول: "ويكون متى سألك ابنك غدًا قائلاً: ما هذا؟ تقول له : بيد قوية أخرجنا الله من مصر من بيت العبودية. وكان لما تقسَّى فرعون عن إطلاقنا أن الرب قتل كل بكر في أرض مصر من بكر الناس إلى بكر البهائم. لذلك أنا أذبح للرب الذكور من كل فاتح رحم، وأفدي كل بكر من أولادي، فيكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك، لأنه بيد قوية أخرجنا الرب من مصر" [١٤-١٦].

تقديم البكور هي العلامة التي على اليد أي العلامة العملية، وبين العينين أي الملامة التي لا تنسى، خلالها يذكرون أعمال الله الخلاصية، أنه قتل الأبكار بسبب شر فرعون ليقيمهم "الابن البكر لله" (خر ٤: ٢٢، إر ٣١: ٩). لقد أقام الله شعبه كابن بكر له، وإذ جاه البكر الحقيقي إلى العالم واتحدت الكنيسة فيه صارت بحق كنيسة أبكار، كقول الكتاب المقدس.

ج. نظام البكورية: إن كانت البكورية قد عرفت قبل الشريعة الموسوية، فإن الأخيرة جاءت لتنظمها بصورة دقيقة تفصيلية، حملت رموزًا لكنيسة الأبكار السماوية، وإننا إذ نترك دراسة البكورية لمجال آخر إن شاء الرب وعشنا، أود أن أضع بعض النقاط الهامة في تنظيم الشريعة للبكورية:

أولاً: البكر له نصيب اثنين في الميراث (تث ٢١: ١٧)، إشارة إلى فيض نعم الله علينا في الميراث الأبدي.

ثانيًا: يُحسب الذكر المولود أولاً هو البكر، حتى وإن كانت والدته ليست محبوبة لدى زوجها (تث ٢١: ١٥–١٧). ولعل الزوجتين (المحبوبة وغير المحبوبة) تشيران إلى اليهود وجماعة الأمم الوثنيين، فالمؤمن يُحسب بكر في كنيسة الأبكار دون تمييز إن كان من أصل يهودي أو أممي.

ثالثًا: غالبًا ما يتبوأ البكر من أولاد الملوك العرش (٢ مل ٢١: ٣)، ونحن أيضًا كأولاد ملك الملوك نُحسب فيه ملوكًا.

رابعًا: يُقدم البكر لخدمة الرب (خر ١٣: ١٢؛ ٣٤: ١٩)، علامة تقديم كل العائلة وتكريسها للرب. لكنه استُعيد باللاويين عِوَض الأبكار، الأمر الذي نعود لدراسته في سفر اللاويين إن شاء الرب.

خامسًا: تكريس حتى بكور الحيوانات لخدمة الرب، ولا يُفَك ولا يُستَبدَل إلاَّ إذا كان من الحيوانات النجسة (خر ١٣: ١٣؛ لا ٢٧: ٢٧). هكذا يرفض الله بكور الحيوانات غير الطاهرة وتُستبدل بحيوان طاهر وإلاَّ يُكسر عنقها. هذا هو حال الخاطئ الذي لا يُفدى إلاَّ خلال السيِّد المسيح القدوس، وإلاَّ مات.

٢. تيَهان الشعب

اندهش الشعب إذ رأى نفسه يسير في طريق غير طريق فلسطين، فإنه إذ كان لم يتدرب بعد على الحرية، أراد الله أن يتدرج به في البرية حتى يبلغ به إلى أرض الحرية "قال لئلاَّ يندم إذا رأوا حربًا ويرجعوا إلى مصر" [١٧].

٣. عظام يوسف

يقول الكتاب: "وأخذ موسى عظام يوسف معه، لأنه كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً: "إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم" [١٩].

كأن يوسف أدرك خلال الظلام أن شعبه سيخرج من أرض مصر ويستريح في أرض الموعد، فكان طلبه يحمل رمزًا لشوق القيامة فيه، إنه يود أن يستريح جسده أيضًا في أورشليم العليا، حينما يحمل الطبيعة الجديدة اللائقة بالسمويات.

ويعلق **القدِّيس أفراهات** على تصرف موسى النبي قائلاً: [كانت عظام الرجل البار أثمن وأفضل – في عينيه – من الذهب والفضة التي أخذها بنو إسرائيل معهم من مصر وأفسدوها. لقد بقيت عظام يوسف. أربعين عامًا في البرية وعندما رقد موسى أورثها ليشوع بن نون... هذا الذي دفنها في أرض الموعد ككنز![1]].

٤. النزول في إيثام

تحدثنا قبلاً عن الرحيل من رعمسيس إلى سكوت، وقلنا أنها خروج من مثيرات الخطية مع شعور بالغربة، أما الآن فقد بلغوا إيثام، التي في رأي **العلامة أوريجينوس** تعني "علامة" وهي المحطة الثالثة، وفي طرف البرية [٢٠]. ليس ممكنًا للمؤمن أن يدخل البرية بكل آلامها وتجاربها ما لم يبلغ المحطة الثالثة، أي يختبر القيامة مع السيِّد المسيح، فيعلن الرب ذاته له، يسنده نهارًا وينير له ليلاً.

يقول **العلامة أوريجينوس:** [يلزمنا ألاَّ نتوقف هنا (في سكوت) بل نكمل الطريق. يليق بنا أن نرفع الخيمة من سكوت ونسرع إلى إيثام. ويمكننا ترجمة إيثام إلى "علامة"، وهو اسم أُحسن اختياره، لأنك تسمع بعد ذلك أن الله كان يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار لينير لهم. هذه العلامة لا نجدها في رعمسيس ولا في سكوت، وهما المرحلتان الأولى والثانية من الرحلة، وإنما تأتي في المرحلة الثالثة حيث تبدأ إعلانات الله. تُذكِّر ما كُتب قبلاً أن موسى كان يقول لفرعون: "نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا" (خر ٥: ٣)... إذن لم يكن يريد فرعون أن يسمح لبني إسرائيل بالذهاب إلى أماكن إعلانات الله ما لم يسمح لهم بالتقدم لينعموا بأسرار اليوم الثالث. اسمعوا ما يقوله النبي: "الرب يحيينا بعد يومين، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (هو ٦: ٢).

اليوم الأول بالنسبة لنا يمثل آلام المخلص.

واليوم الثاني يمثل نزوله إلى الجحيم.

واليوم الثالث يمثل قيامته.

كان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود السحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. إن أخذنا بقول الرسول أن هذه الكلمات يقصد بها المعمودية (١ كو ٦: ٢)، فإنه ينبغي على كل من يعتمد ليسوع المسيح إنما يعتمد لموته، ويدفن معه بالمعمودية للموت (رو ٦: ٣)، ويقوم معه

[1] *Aphrahat: Dem. 8, on the Resurrection of the Dead.*

في اليوم الثالث. يتحدث الرسول عن مثل هذا الإنسان قائلاً: "إن الله يقيمه ويجلسه معه في السمويات" (أف ٢: ٦).

إذن عندما تقتني سرّ اليوم الثالث يقودك الرب ويريك بداية طريق الخلاص[١].

إن كان الرسول يرى في السحابة التي ظللت الشعب المعمودية (١ كو ٦: ٢)، التي خلالها ننال روح التبنِّي بالروح القدس، فإن **القدِّيس باسيليوس الكبير** يرى فها "ظل نعمة الروح القدس الذي يُعطي برودة للهيب شهواتنا، بإماتة أعضائنا" (كو ٣: ٥)[٢]، بهذا يكون عمود النور ظلاً للإستنارة التي نلناها بالمعمودية لنسير في طريق الرب المخلص خلال ظلمة هذه الحياة.

[1] *In Exod, hom 5: 2.*
[2] *St. Basil: On the Holy Spirit, ch 14.*

الأصحاح الرابع عشر

عبور البحر الأحمر

يتحدث هذا الأصحاح عن:

١. **النزول إلى فم الحيروث** ١–٢.

٢. **ندم فرعون على إطلاقهم** ٣–٩.

٣. **تذمر الشعب** ١٠–١٤.

٤. **صرخة موسى الصامتة** ١٥.

٥. **عبور البحر الأحمر** ١٦–٣١.

١. النزول إلى فم الحيروث

بأمر إلهي رجع بنو إسرائيل ونزلوا أمام فم الحيروث، وهي بين مجدل والبحر، أمام بعل صفون [٢]. يرى **العلامة أوريجينوس** أن "فم الحيروث" تعني "الصعود القاسي أو الصعود القفر"، "ومجدل" تعني "برج"، "وبعل صفون" تعني "الصعود بخفة أو بسرعة".

قبل أن يعبروا البحر الأحمر ليعيشوا أربعين عامًا في البرية حتى يدخلوا أرض الموعد، ألزمهم الرب أن يقفوا أمام فم الحيروث، أي أمام الصعود القاسي، كأنه يعلن لهم مقدمًا أن طريق الخلاص هو صعود مستمر خلال الطريق الكرب والباب الضيق. فالمؤمن لا يعرف التراخي بل الجهاد المستمر خلال شركته مع الله. أما موقع فم الحيروث فهو بين مجدل وبين بعل صفون، أي بين البرج والصعود السريع، بمعنى أن المؤمن يلتزم أن يحسب نفقة بناء البرج حتى لا يبدأ ولا يقدر أن يكل فيهزأ المارة به، وإذ عرف حساباته التزم ألاَّ يتباطأ في الطريق بل يصعد بسرعة نحو الحياة السماوية، أما كونها أمام البحر فهذا إعلان عن دخولنا في التجارب (البحر) والضيقات طوال طريق جهادنا، حتى نعبر إلى الأرض الجديدة والسماء الجديدة حيث لا يكون للبحر موضع (رؤ ٢١).

هذا ما يراه **العلامة أوريجينوس** الذي يقول: [قد تظن إن طريق الله مستوٍ وسهل، لا يحتاج إلى مجهود أو تعب، كلا! إنه صعود، وصعود صعب. فطريق الفضائل لا ينحدر إلى أسفل بل يصعد، هو صعود ضيق وكرب. اسمعوا ما يقوله الرب في الإنجيل: "ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي

يؤدي إلى الحياة؟!" (مت ٧: ١٤). يا للتوافق بين الإنجيل والناموس! فالناموس يُظهر أن طريق الحياة صعود كرب، والإنجيل يُعلن عن ضيقه، والرب نفسه هو الطريق المؤدي إلى الحياة...

إذن فالطريق الذي ينبغي علينا أن نسيره هر طريق صاعد وضيق، يتطلب السهر والإيمان. فالإيمان والأعمال يتطلبان مشقات ومجهودات ضخمة، والذين يريدون السير حسب الله يواجهون تجارب وضيقات عديدة...

في هذا الطريق نجد برجًا... هذا الذي قال عنه الرب في الإنجيل: "من منكم وهو يريد أن يبني برجًا لا يجلس أولاً ويحسب النفقة، هل عنده ما يلزم لكماله؟!" (لو ١٤: ٢٨). هذا البرج هو الأساس القوي الذي تقوم عليه الفضيلة مرتفعة...

وفي خروجك أيضًا... تأتي إلى البحر حيث تلتق بالأمواج، إذ لا يوجد طريق للحياة بغير أمواج التجارب، كقول الرسول "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهَدون" (٢ تي ٣: ١٢). وكما يقول أيوب أيضًا: "أليس جهاد للإنسان على الأرض كأيام الأجير أيامه؟" (٧: ١). هذا هو معنى الوصول إلى البحر[1].

٢. ندم فرعون على إطلاقهم

أ. أوضح الرب سرّ إنزالهم إلى فم الحيروث قائلاً: "أُشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم" [٤]. لقد سمح لهم بالدخول في الضيقة حتى يتمجد الرب فيهم، وأيضًا كما يقول: "ويعرف المصريون إني أنا الرب" [٤].

كيف شدد الرب قلب فرعون؟ "أسلمه الله إلى شهوات قلبه" (رو ١: ٢٤)، تركه لقساوة قلبه، فثار على الشعب وتشدد قلبه. وكما يقول **القديس أغسطينوس:** [إن كان الله قد تركه لقساوة قلبه فإننا لا نستطيع أن نتجاهل حرية إرادة فرعون في صنع الشر].

ب. سعى فرعون ومعه ستة مائة مركبة. قلنا أن رقم ٦ يُشير إلى كمال العمل البشري، والمائة تُشير إلى كمال عدد الجماعة. كأنه خرج بكل طاقاته البشرية وبكل رجاله، لكنهم لم يحملوا الطبيعة السماوية (رقم ١٠٠٠) لذلك فشل وهلك.

[1] *Origen: In Exod, hom 5: 3.*

٣. تذمر الشعب

أ. اشتهى الشعب في أول ضيقة تصادفه بعد الرحيل، أن يعود إلى حياة العبودية عوضًا عن حياة الحرية ومعها الجهاد، مع أنه "من الأفضل لنا أن نموت ونحن في الطريق نبحث عن حياة الكمال عن أن نمتنع عن البحث عنها"[١].

ب. طلب موسى من الشعب أن يقفوا وينظروا خلاص الرب الذي يصنعه لهم... قائلاً لهم: "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" [١٤]. إنه لا يدفعهم للحرب مع فرعون كما فعل معهم في حربهم مع عماليق وغيرهم فيما بعد، لأنهم لم يختبروا بعد المن السماوي ولا الشراب الروحي، خروجوا من مصر بلا خبز للجهاد... هكذا لا يطالب الإنسان بالجهاد إلاَّ بالقدر الذي يناسب إمكانياته وقدراته!

٤. صرخة موسى الصامتة

يقول الرب لموسى: "مالك تصرخ إليَّ" [١٥]، مع أن موسى لم يصرخ له علانية أمام الشعب، بل كان يحدث الشعب المتذمر في مرارة قلب يبعث فيهم روح الرجاء في الخلاص قائلاً: "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".

بلا شك صرخ موسى في قلبه صرخة مرارة هزت السماء، سمعها الله وحده دون الشعب، وجاءت الاستجابة سريعة... وقد اهتز كثير من الآباء لهذه الصرخة الصامتة فسجلوا تعليقات قوية إيمانية، نذكر منها:

قال **العلامة أوريجينوس:** [إن الله يسمع صرخات القديسين الصامتة بالروح القدس[٢].] وفي موضع آخر يعلق على هذه العبارة هكذا: [قال الله لموسى: "لماذا تصرخ إليَّ؟ بينما لم يصرخ موسى بصوت مسموع قط، ولا سجل سفر الخروج أنه فعل هذا، لكن موسى صرخ صرخة قوية، قدمها كصلاة يسمعها الله وحده! لهذا يقول أيضًا داود: "بصوتي إلى الرب صرخت، فاستجاب لي" (مز ٧٧: ٧)[٣]].

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [تستطيع أن تضبط أفكارك وتسبح الله دون أن يسمعك آخر، حتى وإن كنت في السوق، فقد صلى موسى هكذا وسمع له، إذ قال الرب: "لماذا تصرخ إليَّ"، مع أنه

---

[1] *Origen: In Exod, hom 5: 4.*
[2] *Ibid 5: 5.*
[3] *Origen: Comm. Joan 6: 10.*

لم ينطق بشيء، وإنما صرخ في فكره بقلب منسحق حيث سمعه الله وحده، فليس ثمة ما يمنع من أن يصلي الإنسان وهو يسير في الطريق فيسكن الأعالي[1].

كما يقول: [حنة أيضًا لم يُسمع صوتها، نالت كل اشتياقها قدر ما صرخ قلبها (١ صم ١: ١٣). هابيل أيضًا لم يصلِ فقط بصمت، وإنما صلى عندما مات، إذ أصدر دمه صرخة أقوى من صوت البرق (تك ٤: ١٠)... أيضًا "من الأعماق صرخت إليك يا رب"، من الأعماق أي من القلب يصدر الصوت وتكون صلاتك سرًا[2]].

ويقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [الفكر الذي ارتفع من موسى نحو الله دُعي صرخة، ولو أنها تمت في فكر القلب الداخلي دون صوت**!**[3]].

٥. عبور البحر الأحمر

سلك الشعب بالإيمان إذ رأوا البحر أمامهم فانفتح لهم طريق ونجوا، أما الأعداء فرأوا الطريق بالعيان فساروا فيه، فغرقوا وهلكوا. ويلاحظ في هذا العبور الآتي:

أولاً: عبور البحر الأحمر هو رمز المعمودية، حيث ينعم المؤمن بالخلاص خلال الدفن مع المسيح المتألم والتمتع بقوة قيامته، ويهيج إبليس وجنوده وتباد أعماله الشريرة. وكما يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [إلى الآن حينما يدخل الشعب مياه التجديد، هاربين من مصر (رمزيًا محبة العالم)، أي من ثقل الخطية، يتحرر ويخلص، أما إبليس وخدامه، أقصد بلا شك الأرواح الشريرة – فإنهم يُصدمون بالحزن ويهلكون، حاسبين خلاص البشرية شرًا بالنسبة لهم[4]].

يقول **القديس أغسطينوس:** [تحرر شعب الله من مصر (رمزيًا محبة العالم) بعظمتها واتساعها وأُقتيد إلى البحر الأحمر، لكي تكون فيها نهاية أعدائهم (الشياطين) في المعمودية. لأنه بهذا السر– كما في البحر الأحمر – يتقدسون بدم المسيح بينما تهلك الخطايا المقتفية آثارهم...[5]].

ويقول **القديس جيروم:** [إذ ندم فرعون وجنوده أنهم أطلقوا شعب الله من مصر غرقوا في البحر الأحمر، فصار ذلك رمزًا لعمادنا. وقد وصف سفر المزامير هلاكهم قائلاً: "أنت شققت البحر بقوتك. كسرت رؤوس التنانين في المياه. أنت رضضت رؤوس لوياثان" (مز ٧٤: ١٣-١٤). لهذا تسكن

---

[1] *St. Chrysostom: In Colos, hom 9.*
[2] *St. Chrysostom: In Mat, hom 19: 4.*
[3] *Greg. Nssa: Answen to Eunomius, Second Book.*
[4] *Baptism of Christ.*
[5] *On Ps. 107.*

الحيات والعقارب الأماكن الجافة (تث ٨: ١٥)، أما إذا اقتربت إلى المياه فإنها تصير في حالة هياج أو جنون[١].

ويرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** أن غرق فرعون وقواده ومركباته وكل إمكانياته الحربية إنما يُشير إلى موت الشر بكل طاقاته من طمع وشهوة وأفكار شريرة وغضب وحقد وحسد... الخ في مياه المعمودية السرية[٢]. ويرى أنه كما التزم الشعب في سرّ الفصح بأكل الفطير غير المختمر حتى لا يخلطوا دقيق المحصول الجديد بخميرة من المحصول القديم. هكذا يليق بنا بعد عبورنا مياه المعمودية ألاَّ نترك لقوات فرعون أن تعيش في حياتنا، إنما تكون لنا الحياة الجديدة دون عودة لأعمال الإنسان القديم[٣].

ثانيًا: يرى **البابا أثناسيوس** الفارق بين السيِّد المسيح الذي ينتهر البحر ويأمر الرياح فتطيعه بسلطانه الإلهي (مز ٤: ٣٧-٤١)، وبين انشقاق البحر الأحمر الذي تم على يد موسى لكن بأمر إلهي إذ يقول: [وإن كان البحر الأحمر قد انشق بواسطة موسى، لكن ليس موسى هو الذي فعل هذا، لأن ما قد حدث تم بناءً على أمر إلهي وليس بسبب كلام موسى[٤].]

ثالثًا: ليتنا نتمثل بموسى النبي فنمسك بعصا الرب، أي صليبه المقدس، ونضرب بها أمواج الخطية الثائرة داخلنا، فينفتح لنا طريق يهلك أعداءنا الروحيين.

يرى **العلامة أوريجينوس** في هذه العصا أيضًا الناموس أو الوصية الإلهية إذ يقول: [اضرب الأمواج الهائجة بعصا موسى فينفتح لك طريق وسط أعدائك[٥].]

رابعًا: أعلن هذا العمل حب الله للإنسان وعمله الخلاصي، إذ يقول **العلامة أوريجينوس:** [المياه تصير جبالاً! المياه الراجعة تصير سورًا!... ويظهر عمق البحر، وإذا هو رمال فقط! ليتك تدرك محبة الخالق، فإنك إن أطعت إرادته وحفظت ناموسه يسخر الأشياء لتعمل ضد طبيعتها لأجل خدمتك[٦].]

---

[1] *Epist 69: 6.*
[2] *Vita Mos. 2: 125.*
[3] *Ibid 2: 126, 127.*
[٤] رسائل القيامة ٢٩.
[5] *In Exod, hom 5: 5.*
[6] *Ibid.*

تظهر محبة الله أيضًا في انتقال عمود السحاب من أمامهم إلى الوراء [١٩]، حتى يحجبهم عن أعين فرعون وجنوده ويكون حماية لهم.

خامسًا: يرمز هذا الخلاص لعمل السيِّد المسيح من جوانب كثيرة منها[١]:

أ. قسّى فرعون قلبه لكي يهلك الشعب فغرق هو وجنوده، وقسّى إبليس أيضًا قلبه فأراد أن يقتل السيِّد المسيح ويُبيد اسمه من كورة الأحياء، وإذا به هو يهلك مع جنوده.

ب. رأى فرعون البحر منشقًا فاندفع وراء الشعب ليهلكه بدلاً من أن يخاف ويرتعب، ورأى إبليس الطبيعة ثائرة في لحظات الصليب ولم يبالِ بل اندفع ليكمل الصليب.

ج. ضرب موسى البحر بالعصا فغرق فرعون، وضرب السيد المسيح إبليس بخشبة الصليب فأغرقه في الجحيم.

د. بعد العبور اجتاز الشعب البرية، ونحن أيضًا إذ تمتعنا بعمل الصليب في المعمودية نجتاز برية هذا العالم مع قائدنا يسوع المسيح حتى نبلغ أورشليم السماوية.

سادسًا: يعلق **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** على العبارة: "فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى" [٣١] قائلاً: [من يعبر البحر ويرى المصريين (الملذات الأرضية) موتى داخله كما سبق فشرحت، لا يعود ينظر موسى وحده كحامل عصا الفضيلة، إنما يؤمن بالله ويكون مطيعًا لموسى [٣١]. نحن أيضًا نرى ذات الأمر يحدث مع الذين يعبرون المياه مكرسين حياتهم لله، وفي طاعة وخضوع للذين يخدمونه في الكهنوت (عب ١٣: ١٧)[٢]].

[١] مدارس أحد العذراء – محرم بك إسكندرية: أقوال الآباء في شرح التسبحة والقداس.

[2] *Vita Mos. 2: 130.*

الأصحاح الخامس عشر

تسبحة النصرة

يحوي هذا الأصحاح

١. تسبحة النصرة ١–١٩.

٢. مريم المُرنِّمة ٢٠–٢١.

٣. من مارة إلى إيليم ٢٢–٢٧.

١. تسبحة النصرة

ترمز هذه التسبحة لتسبحة المفديين في السماء، إذ خلصهم الله وعبر بهم من العالم إلى السماء، تُستخدم هناك مع السيِّد المسيح (رؤ ١٥: ٣). لهذا وضعتها الكنيسة في التسبحة اليومية بكونها "الهوس[١] الأول"، لتؤكد لأولادها ضرورة التسبيح لله وتقديم الشكر المستمر من أجل عمله الخلاصي معنا، إذ يهبنا غلبة يومية على إبليس وجنوده، وليس بذراعنا البشري، وإنما خلال عمل نعمته فينا.

ويلاحظ أن موسى والشعب لم ينطقوا بالتسبيح إلاَّ بعدما اعتمدوا ورأوا خلاص الله العجيب. هكذا بالمعمودية إذ نُدفن مع مسيحنا المصلوب ونقوم معه في جدة الحياة ينفتح لساننا الداخلي لنسبِّح للرب ونشكره.

أصبحت هذه التسبحة تُمثل جانبًا حيًا في حياة موسى، حتى حينما تحدث **البابا أثناسيوس الرسولي** في إحدى رسائله عن عيد الفصح المسيحي قال إن القديسين يقضون كل حياتهم كمن يفرحون بالعيد، فواحد يجد راحته في الصلاة كداود النبي، وآخر يعطي المجد لله خلال تسابيح الحمد مثل موسى، وآخرون يتعبدون بمثابرة مثل العظيم صموئيل والطوباوي إيليا[٢]... كأن موسى صار بهذه التسبحة مثلاً لحياة التسبيح لله.

وقد حملت هذه التسبحة تعبيرات ومعانٍ جميلة تحتاج إلى كتاب مستقل، لكنني اكتفي هنا بعرض بعض الفقرات منها:

"**أُرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر" [١].**

---

[١] كلمة هوس تعني (تسبحة).

[٢] رسائل القيامة: ١٤.

بدأت التسبحة بتمجيد الرب الذي تمجد بالصليب حيث داس إبليس وكل قواته، ليعتق الذين سبق فأسرهم...

إنها تسبحة عذبة يترنم بها المسيحي كل يوم حين يرى الخطية تسقط بالصليب تحت قدميه، وكما يقول **القديس أثناسيوس الرسولي:** [لنغني مع موسى... ونسبح مرتلين، إذ نرى الخطية التي فينا قد طُرحت في البحر، أما نحن فنعبر إلى البرية[1].]

"قد هبطوا في الأعماق كحجر" [٥].

يرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص**[2] أن الإنسان الذي يسلك في الحياة الفاضلة يكون خفيف الوزن، أما الإنسان الشرير فيكون ثقيلاً يغطس في المياه. الفضيلة خفيفة تعوم على المياه، والذين يسيرون في طريقها يطيرون كالسحاب وكالحمام بأجنحتهم الصغيرة (إش ٩: ٨)، أما الخطية فكالرصاص ثقيلة (زك ٥: ٧).

اقتبس القديس الفكرة عن معلمه **أوريجينوس السكندري**، الذي قال: [لماذا هبطوا؟ لأنهم لم يكونوا من الحجارة التي يخرج منها أولاد لإبراهيم، إنما كانوا محبين للمنخفضات ويتنعمون بالسوائل (الأمور المائعة)، يبتغون اللذة... ويهربون من الواقع. لهذا قيل عنهم "غاصوا كالرصاص في مياه غامرة" [١٠]. هكذا للخطاة ثقل شرور أشار إليها زكريا النبي، قائلاً: "وإذا بوزنة رصاص رفعت، وكانت امرأة جالسة في وسط الإيفة" (٥: ٧). ولما سُئل عن شخصيتها قيل له: "هذه هي الشر" (٥: ٨). لهذا قيل عن الأشرار إنهم غاصوا كالرصاص في مياه غامرة... أما القديسون فلا يغوصون بل يمشون على المياه... إذ ليس فيهم ثقل خطية ليغوصوا. لقد مشى ربنا ومخلصنا على المياه (مت ١٤: ٢٥)، هذا الذي بالحقيقة لا يعرف الخطية، ومشى تلميذه بطرس مع أنه ارتعب قليلاً إذ لم يكن قلبه طاهرًا بالكلية، إنما حمل في داخله بعضًا من الرصاص... لهذا قال له الرب: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" فالذي يخلص إنما يخلص كما بنار (١ كو ٣: ١٥)، حتى إن وجد فيه رصاص يصهره[3].]

الأشرار إذن كالحجارة التي رفضت قبول عمل الروح القدس فيها لتصير أولادًا لإبراهيم، وكالرصاص الذي يغوص في المياه أي يغوصون في الملذات، أما القديسون فكالذهب المصفى بالنار.

---

[1] رسائل القيامة: ٣.

[2] *On Virginity, 18.*

[3] *In Exod, hom 6.*

"**يمينك يا رب معتزة بالقدرة. يمينك يا رب تحطم العدو**" **[٦]**.

يرى **القديس أمبروسيوس**[1] في هذه التسبحة عمل الثالوث القدوس واضحًا، ففي هذه العبارة يعترف بالابن الذي هو "يمين الرب"، ليعود بعد قليل فيتحدث عن عمل الروح القدس: "أرسلت روحك فغطاهم البحر" [١٠]، هذا الذي يعمل في سرّ "المعمودية"، مهلكًا الشر ومنقذًا أولاد الله[2].

"**قال العدو: أتبع أدرك أقسم غنيمة. تمتلئ منهم نفسي. أجرد سيفي. تفنيهم يدي**" **[٩]**.

هذا هو عمل إبليس: الإرهاب المستمر والاضطهاد، لهذا عندما دافع **البابا أثناسيوس** عن هروبه من وجه الأريوسيين مضطهديه أورد هذا القول معلقًا عليه: [أمرنا الرب بالهروب، والقديسون هربوا. أما الاضطهاد فهو شر من عمل الشيطان، يريد أن يمارسه ضد الكل[3].]

وفي حديث **للقديس أنبا أنطونيوس** في كتاب البابا أثناسيوس الرسولي عنه يقول: [تخدع الشياطين الصديقين بافتخاراتهم... لكنه حتى في هذا يلزمنا ألاَّ نخاف من المظهر، ولا نعطي اهتمامًا بكلماته، فإن الشيطان كذاب ولا ينطق بكلمة حق واحدة. يتكلم كثيرًا جدًا ويظهر جسارة عظيمة هكذا، لكنه بلا شك كلوياثان يصطاده المخلص بشص (أي ٤١: ١)[4].]

لقد حاول العدو أن يستخدم ذات الأسلوب مع السيِّد المسيح، ظانًا أنه يقدر أن ينزع اسمه من كورة الأحياء، لكن تهديدات العدو لم تهز قلب السيِّد المسيح بل حطمت العدو نفسه.

"**من مثلك يا رب**" **[١١]**.

ليس لله شبيه في قدرته وحبه وفي طبيعته بكونه غير المدرك ولا المنظور ولا متغير، بلا بداية ولا نهاية. هذا الذي ليس له شبيه أعطانا بالتبني أن نحسب أولادًا له لكي نتشبه به، كقول الرسول يوحنا: "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢).

"**تمد يمينك فتبتلعهم الأرض**" **[١٢]**.

يعلق **العلامة أوريجينوس** على هذه العبارة قائلاً: [اليوم تبتلع الأرض الأشرار. ألا ترى أن الأرض تبتلع مُن ليس له إلاَّ الأفكار والأعمال الأرضية؟!... فيشتهي الأرض، ويضع فيها كل رجائه، ولا يرفع نظره نحو السماء، ولا يفكر في الحياة العتيدة، ولا يخشى دينونة الله، ولا يبتغي

---

[1] *On the Holy Spirit 3: 10.*
[2] *St. Ambrose: On Myst, 3.*
[3] *Apologia de Fuga.*
[4] *Vita Antonii 24.*

مواعيده في الأبدية، إنما هو دائم التفكير في الأمور الحاضرة، راكضًا نحو الأرضيات. إن رأيت إنسانًا كهذا قل إن الأرض ابتلعته. إن رأيت إنسانًا منسكبًا على رغبات الجسد وشهواته، ورأيت روحه بلا قوة لأن الجسد مُسيطر على كل حياته فقل أن هذا الإنسان ابتلعته الأرض.

بقي لي أمر آخر، فقد قيل "تمد يدك فتبتلعهم الأرض". مدّ الرب يده فابتلعتهم الأرض. تأمل الرب وقد بسط يده على الصليب "طول النهار بسطتُ يدي إلى شعب معاند ومقاوم" (إش ٦٥: ٢). كان هذا الشعب الغادر يصرخ اصلبه، اصلبه... فعاقبه بالموت[1]....]

ابتلعت الأرض فرعون المتكبر الذي كان يظن أنه يُبيد شعب الله، أما الذين ابتلعهم الجحيم فنزل إليهم السيِّد المسيح، نزل إلى أقسام الأرض السفلى (أف ٤: ٩) لكي يخرجهم من أحشائها ويرتفع بهم، لا على سطح الأرض بل يدخل بهم إلى مسكن قدسه.

"حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر شعبك الذي اقتنيْته" [١٦].

كرر موسى النبي "حتى يعبر شعبك" ليُعلن أن غاية العمل هو الخلاص والعبور إلى الأبدية، ولتأكيد أن العابرين هم شعب واحد من أصلين: يهودي وأممي.

"تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك" [١٧].

يقول **العلامة أوريجينوس:** [الله لا يريد أن يغرسنا في مصر (محبة العالم)، ولا في أماكن فاسدة وشريرة، لكنه يريد أن يُقيمنا في جبل ميراثه. ألا تبدو الكلمات "وتجيء بهم وتغرسهم"، كأنما يتحدث عن أطفال يقودهم إلى المدرسة حتى يتثقَّفوا بكل أنواع العلوم... لنفهم كيف يفعل هذا؟ "كرمة من مصر نُقلت، طَرَدت أممًا وغرستها. هيأت قدامها فأصَّلت أصولها فملأت الأرض. غطى الجبال ظلها وأغصانها أرز الله" (مز ٨٠: ٩-١١)... إنه لا يغرسها في الوديان بل على الجبال، في أماكن مرتفعة وعالية. لا يريد أن يترك الخارجين من مصر في الحضيض إنما يقودهم من العالم إلى الإيمان. يريد أن يقيمهم في المرتفعات. يُريدنا أن نسكن في الأعالي، لا أن نزحف على الأرض. لا يريد كرمته تلمس ثمارها الأرض بل أن تنمو دون أن تشتبك فروعها مع أي شجيرة، إنما تلتصق بأرز الله العالي المرتفع (مز ٨٠: ١١). أرز الله في رأيي هم الأنبياء والرسل، فإننا إن التصقنا بهم نحن الكرمة التي نقلها الله من مصر تنمو أغصانها مع أغصانهم. إن كنا نتكئ عليهم نصير أغصانًا مغروسة برباطات الحب المتبادل ونأتي بلا شك بثمر كثير[2].]

---

[1] *In Exod, hom. 6.*
[2] *In Exod, hom. 6: 10.*

"**المقْدس الذي هيَّأته يداك يا رب**" **[١٧]**.

يقول **العلامة أوريجينوس:** [ما هو المقْدس الذي لم يقمه إنسان بل هيَّأه الرب؟ "الحكمة بَنت بيتها" (أم ٩: ٣). هذا الأمر إنما يخص تجسد الرب، فإن الجسد الذي أخذه ليس من زرع إنسان، إنما قام البناء في العذراء كما تنبأ دانيال "قُطع حجر بغير يدين... أما الحجر فصار جبلاً كبيرًا" (دا ٢: ٣٤-٣٥). هذا هو المقْدس الذي ظهر في الجسد، الذي قُطع بغير يدين، أي ليس من صنع إنسان[١].]

"**مشوا على اليابسة في وسط البحر**" **[١٩]**.

يقول **العلامة أوريجينوس:** [إن كنت أنت أيضًا من بني إسرائيل (الجديد) تستطيع أن تمشي على اليابسة وسط البحر. إن وجدت نفسك وسط جيل معوج وملتوي تُضيء بينهم كأنوار في العالم متمسكًا بكلمة الحياة لافتخاري (في ٢: ١٥-١٦). قد تسير وسط الخطاة دون أن تصيبك مياه الخطيئة، قد تسير وسط هذا العالم دون أن ترتد عليك مياه الشهوة...

من يتبع المسيح يسير مثله (على المياه)، فتكون له المياه سورًا عن يمينه ويساره [٢٢]. يسير على اليابسة حتى يبلغ الحرية مترنمًا للرب بتسبحة النصرة، قائلاً: "أُرنم للرب فإنه قد تعظم" [١][٢].]

٢. مريم المُرنِّمة

يرى **القديس جيروم** في مريم أخت هرون كقائدة روحية للنساء في ذلك الوقت، صورة حيّة لعمل المرأة في الكنيسة، هذه التي تُكرِّس حياتها لتسبيح الرب وتعليم الأخريات هذا العمل. ففي رسالة بعثها للأرملة فيوريا *Furia* التي فكرت في الزواج ثم عدلت عنه، كتب إليها: [علَّمت مريم صاحباتها أن يكُنَّ موسيقيَّات لكن للمسيح، يضربن العود لكن للمخلص. تقضي في هذا العمل النهار والليل فتصنع بهذا زينًا في المصابيح، وتستعد منتظرة مجيء العريس[٣].]

كما رأى فيها **القديس أمبروسيوس** صورة رمزية للكنيسة المترنمة للرب على الدوام ففي حديثه عن العذارى، قال: [ألم تكن رمزًا للكنيسة البتول بروح بلا عيب تجمع الجماهير المتدينة لتُنشد الأناشيد الإلهية؟! إذ نسمع أنه كان يوجد عذارى مهتمات بذلك في الهيكل بأورشليم[٤]؟!].

---

[1] *Ibid 6: 12.*
[2] *Ibid 6: 14.*
[3] *Epist. 54: 14.*
[4] *Comc. Virg. 1:3.*

وفي نفس المقال[1] تحدث أيضًا عن تصرف مريم مع النساء أنهن يمثلن مركب السماء، وقد تهلل السمائيون إذ رأوا الأرضيين خرجوا منطلقين نحو السماء.

٣. من مارة إلى إيليم

طريق البرية هو طريق الدخول في ضيقات كثيرة، بل بالحري هو طريق خبرة العمل الإلهي في حياتنا وسط الآلام، وانفتاح القلب نحو السماويات.

ما أن عبر الشعب وفرح وتهلل، حتى تحولت أفراحه إلى مرارة وضيق، إذ شعروا بالعطش فتذمروا على موسى [٢٤]، إذ وجدوا ماءً مرًا لا يقدر أن يرويهم. ألقى موسى النبي بالشجرة في المياه المرة فصارت حلوة.

ما هي هذه المياه المرة إلاَّ وصايا الناموس، التي أُعطت مرارة للإنسان بسبب عجزه عن التنفيذ، لكن دخل السيِّد المسيح – شجرة الحياة[2] – في الوصية، فصيَّر الناموس روحيًا وجعله مُرويًا للنفس. في هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [كأس الناموس مرّ... لكن إن كنا نلقي فيه شجرة حكمة المسيح الذي يكشف لنا كيف يجب أن نفهم الختان والسبوت، ونحفظ شريعة البرص، ونميز بين النجس والطاهر، حينئذ تصير مياه مارة عذبة، وتتحول حرفية الناموس إلى عذوبة المعنى الروحي، حينئذ يقدر شعب الله أن يشرب[3].] كما يقول: [إن كان أحد يُريد أن يشرب من حرفية الناموس بعيدًا عن شجرة الحياة، أي بعيدًا عن أسرار الصليب، بعيدًا عن الإيمان بالمسيح والإدراك الروحي، فإنه يهلك من هول المرارة. لقد أدرك بولس هذه الحقيقة فقال: "الحرف يقتل" أي أن المياه المارة تقتل إن شربت كما هي قبل أن تصير عذبة[4].] ويقول: [عندما دخلت خشبة الصليب إلى الوصية جعلتها عذبة، إذ صارت تُنفذ روحيًا، وبالتالي صارت نفس هذه الوصايا للحياة[5].]

يرى كثير من الآباء في الشجرة رمزًا للصليب الذي يعمل في مياه المعمودية، فتتحول حياتنا من المرارة إلى العذوبة، وعوض ما نحمله من أعمال الإنسان القديم نتمتع بالطبيعة الجديدة التي صارت لنا في المسيح يسوع[6].

---

[1] *Ibid 2: 2.*

[2] كثيرًا ما أشار العهد القديم إلى السيد المسيح كغصن شجر (إش ٥٣: ٢؛ ١١: ١؛ زك ٦: ١٢؛ إر ٢٣: ٥).

[3] *Origen: In Exod, hom. 7: 1.*

[4] *Ibid.*

[5] *Ibid 7: 2.*

[6] *Jusin: Dial 86, Cyril of Jer: Cat. Lect 13: 20, Aphraates: Demons 21: 10. Greg. Nyss. Adv. Eos qui diff bapt.*

يقول **القديس أمبروسيوس:** [كانت مارة عين ماء شديدة المرارة، فلما طَرح فيها موسى الشجرة أصبحت مياهًا عذبة. لأن الماء بدون الكرازة بصليب الرب لا فائدة منه للخلاص العتيد. ولكن بعد أن تكرس بسرّ صليب الخلاص يصبح مناسبًا لاستعماله في الجرن الروحي، وكأس الخلاص، إذ أنه كما ألقى موسى النبي الخشبة في تلك العين هكذا أيضًا ينطق الكاهن على جرن المعمودية بشهادة صليب الرب فيصبح الماء عذبًا بسبب عمل النعمة[1].]

ويرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** في الخشبة: "سرّ القيامة" خلال صليب السيِّد، حيث تتحول الحياة الفاضلة بما فيها من جهاد ومرارة إلى حياة سهلة وعذبة، إذ يقول: [الإنسان الذي يترك خلفه الملذات (المصرية) التي كان يخدمها قبل عبوره البحر، فإن الحياة التى كانت تبدو له أنها بدون هذه الملذات صعبة وغير مقبولة، متى ألقيت فيها الخشبة، أي يتقبل سرّ القيامة الذي يبدأ بالخشبة – حيث تفهم بالخشبة الصليب طبعًا – عندئذ تصير الحياة الفاضلة عذبة خلال الرجاء في الأمور العتيدة، بل أكثر حلاوة وعذوبة من تلك التي تختبرها الحواس خلال الملذات[2].]

إن كانت مارة حملت إشارة إلى الناموس الذي صار بالصليب روحيًا، والمعمودية بما فيها من عمل الصليب وقوة القيامة، كان لزامًا للشعب أن يعبر من مارة إلى إيليم [٢٧]، أي يعبروا من الناموس إلى العهد الجديد، إذ وجدوا فيه اثنتى عشر عين ماء وسبعين نخلة، إشارة إلى الاثني عشر تلميذًا والسبعين رسولاً.

في هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [لقد قصد الله ألاَّ يأتي بالشعب إلى إيليم منذ البداية حيث يوجد اثنا عشر عين ماء خالية من كل مرارة تمامًا. وحيث يوجد موضع للراحة في ظلال النخيل...

عندما تُصير مرارة الناموس عذبة بواسطة شجرة الحياة (أم ٣: ١٨)، حينئذ نفهم الناموس روحيًا، ويتم العبور من العهد القديم إلى العهد الجديد. وبهذا نصل إلى الاثني عشر عين ماء الرسولية، ونجد في نفس الوقت سبعين نخلة...

لا يكفي لشعب الله أن يشرب مياه مارة بعد أن صارت عذبة بواسطة شجرة الحياة، وخلال سمو الصليب فقدت مرارة الحرف، فإن العهد القديم وحده لا يكفي للشرب وإنما يلزم أن نأتي إلى العهد الجديد لنشرب منه بلا صعوبة[3]....]

---

[1] للمؤلف: الحب الإلهي ص ٨٥٩، عن الأسرار ٣.

[2] *Vita Mos. 2: 132.*

[3] *In Exod, hom. 7: 3.*

ويقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [سرّ الخشبة التي تصير خلاله مياه الفضيلة مبهجة للعطاش يقودنا إلى الاثني عشر ينبوع ماء والسبعين شجرة، أي إلى تعاليم الإنجيل[1].]

[1] *Vita Mos. 2: 133.*

الأصحاح السادس عشر

تجربة الطعام

١. في برية سين ١.
٢. تذمر الشعب ٢-٣.
٣. السلوى والمن ٤-٢١.
٤. شريعة السبت ٢٢-٣١.
٥. قسط المن ٣٢-٣٦.

١. في برية سين

في سفر الخروج يقول: "ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بني إسرائيل إلى برية سين" [١]، أما سفر العدد فيوضح بأكثر تفصيل قائلاً: "ثم ارتحلوا من إيليم ونزلوا على بحر سوف ونزلوا في برية سين" (عد ٣٣: ١٠-١١).

يرى **العلامة أوريجينوس** إن إيليم تعني "الأكباش"، ولو أن البعض يرى أنها تعني "الأشجار". في رأيه أن الأكباش تمثل قادة القطيع حيث الاثنا عشر تلميذًا (عين ماء) والسبعون رسولاً (نخلة)، هؤلاء قادوا بالمسيح يسوع الشعب إلى شاطئ بحر سوف (عد ٣٣: ١٠)، لكنه من الجانب المملوء أمانًا، إذ عبروه مرة واحدة، وفيه هلك إبليس وجنوده. الآن "يستطيعون أن ينظروا البحر ويرون أمواجه، لكنهم لا يخافون حركاته ولا عواصفه"[١].

ارتحلت الجماعة المقدسة من بحر سوف ونزلت إلى برية سين، وهي المدينة التي أنزل الله فيها المنّ للشعب للمرة الأولى، ولعلَّ موضعها الآن دبة الرملة، وهي كومة رمال عند سفح جبل التيه. ويرى **العلامة أوريجينوس** أن "سين" تعني "عليقة" أو "تجربة"[٢]. فكما أن أول ظهورات الله لموسى كان في العليقة، ليعلن له سرّ التجسد الإلهي، فإنه في سين قدم الله لشعبه لأول مرة المنّ – إشارة أيضًا إلى السيِّد المسيح النازل من السماء شبعًا للنفس البشرية. أما معناها "تجربة"، إنما ليذكرنا أنه

[1] *Origen: In Num. hom 27.*
[2] *Ibid.*

حيث توجد الإعلانات يجب أن يكون لنا روح التمييز (١ كو ٢: ٥)، لئلا يخدعنا عدو الخير بتجاربه التي يظهر فيها أحيانًا كملاك نور (٢ كو ١١: ٤)، لتضليل إن أمكن حتى المؤمنين.

٢. تذمر الشعب

إذ مضى شهر على خروجهم من أرض العبودية قدموا لله تذمرًا عِوَض تسبحة الشكر والحمد له، إذ قالوا لموسى وهرون: "ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزًا للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع" [٣].

يقول الكتاب: "رجعوا بقلوبهم إلى مصر"، حقًا لقد ذاقوا مرارة العبودية والذل واختبروا عربون أرض الموعد ومارسوا حياة الغلبة والنصرة ومع هذا كانوا في كثير من الأوقات يشتاقون إلى رائحة قدور اللحم، إلى "شهوة العين وشهوة الجسد وتعظم المعيشة". أمام لذة الخطية الدنيئة ينسى الإنسان بركات الله ونعمه، مشتهيًا الذل عن الحرية!

لقد حذرنا كثير من الآباء من "شيطان النهم"، حتى لا تصير آلهتنا هي بطوننا، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [تذكر اليهود قدور اللحم فظهر استبداد البطن العظيم[1]]. وعندما تحدث **الأب أوغريس** عن حروب الشيطان خلال الأفكار الشريرة الثمانية اعتبر "الشراهة في الأكل" هو أول هذه الأفكار[٢]. ويسمي **القديس يوحنا كليماكوس** المعدة بالسيِّد المستبد، كما يقول: [كن سيِّدًا على معدتك قبل أن تسود هي عليك. الذي يرعى شرهه ويأمل في التغلب على روح الفجور يشبه من يحاول أن يخمد النار بزيت[٣]]، ويقول **الأب يوحنا من كرونستادت:** [تأكد تمامًا أن العدو يهاجم القلب عن طريق امتلاء البطن].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان التذمر جزءً من طبيعة هذا الشعب. إذ يتسلط على قلبهم ويبررونه بسبب أو بآخر، لذا يشبههم **القديس يوحنا الذهبي الفم** بالأطفال الصغار الذين يوجدون كل علة للتذمر والهروب من المدرسة، إذ يقول: [كانت البرية بالنسبة لهم مدرسة، وكأطفال طال بهم الوقت في المدرسة يريدون الانقطاع عنها، هكذا كان هؤلاء يرغبون في الرجوع إلى مصر باكين قائلين: لقد ضعنا، لقد متنا![٣][4]].

---

[1] *In Mat., hom 8: 6.*

[٢] إلى أناتوليوس عن الأفكار الثمانية.

[٣] سلم السماء أو درجات الفضائل: درجة ١٤.

[4] *In Colos., hom 4.*

لم يكن الجوع هو السبب في التذمر بل كان ذلك طبعهم، فإنهم حتى بعد أن قدم لهم هذا الطعام اليومي الطازج الذي لا يتعبون فيه، لم يكفوا عن التذمر، بل عادوا يبكون قائلين: "من يطعمنا لحمًا؟ قد تذكرنا السمك الذي نأكله في مصر مجانًا والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا. ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن؟! (عد ١١: ٤-٦). وكما يقول **القديس جيروم:** [احتقروا طعام الملائكة وتنهدوا على لحم مصر. صام موسى أربعين يومًا وأربعين ليلة على جبل سيناء مظهرًا أن الإنسان لا يعيش على الخبز وحده بل على كلمة الله. يقول الرب إن الشعب شبع فصنع أوثانًا. كان موسى يتسلم الشريعة المكتوبة بإصبع الله بمعدته الخاوية، أما الشعب فأكل وشرب وقام ليلعب أمام العجل الذهبي، مفضلين العجل المصري عن جلالة الرب. حقًا لقد ضاع تعب أيام كثيرة كهذه خلال الشبع لساعة واحدة[1]].

٣. المنّ والسلوى

تذمر الشعب ولم يكن لدى موسى خزائن مادية لتُشبع جوعهم، لكنه إذ قبل عار المسيح حاسبًا إيّاه غنى أعظم من خزائن مصر (عب ١١: ٢٦)، لم يتركه الرب هو وشعبه معتازين إلى شيء. وكما يقول **القديس أمبروسيوس:** [حسب موسى خزائن مصر خسارة بالنسبة له، مظهرًا في حياته عار صلب الرب. لم يكن غنيًا حين كان معه مال وفير (في قصر فرعون) ولا افتقر حين صار في عوز إلى طعام، اللهم إلاَّ إذا ظن أنه كان أقل سعادة حين كان في احتياج إلى الطعام اليومي ليشبع شعبه. لكنه قدم له من السماء المنّ الذي هو طعام الملائكة، علامة الخير العظيم والطوباوية... كما كان سيل من اللحم يمطر عليه ليشبع الجموع[2]].

هذا المنّ يُشير إلى السيِّد المسيح الذي قدم جسده المقدس غذاءً للنفس، إذ قال: "الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم... آباؤكم أكلوا المنّ في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يو ٦).

---

[1] *St. Jerome: Against Jovanianus. 2: 15.*
[2] *St. Ambrose: Duties of the Clergy 2: 4.*

فيما يلي مقارنة مبسطة بين المنّ القديم والمنّ الجديد:

أ. بعد العبور كان يلزم للشعب أن يأكل طعامًا جديدًا غير طعام أرض العبودية، يشبع كل واحد منهم. ونحن أيضًا إذ دخلنا عهدًا جديدًا قدم لنا السيِّد طعامًا روحيًا حقيقيًا، يقدر أن يُشبع النفس ويهبها حياة أبدية.

والعجيب إن المنّ بدأ ينزل على الشعب يوم الأحد كما هو واضح من قول الرب لموسى: "وفي اليوم السادس أنهم يهيئون ما يجيئون به فيكون ضعف ما يلتقطونه يومًا فيومًا" [٥]، وكان يوم الاستعداد للسبت (الجمعة) هو سادس يوم ينزل فيه المن، فيكون قد بدأ النزول بالأحد. وبقيامة السيِّد المسيح من الأموات فجر الأحد قدم لنا جسده القائم من الأموات، سرّ قيامة لنفوسنا وأجسادنا. وصار الأحد العيد الكنسي الأسبوعي حيث نتمتع فيه بالمنّ السماوي.

ب. سقط المنّ من السماء [٤]، وأخذ كل واحد قدر احتياجه حسب أكله [١٨]، فشبع الكل. ونزل السيِّد المسيح كلمة الله من السماء وقدم نفسه سرّ شبع للجميع. قدم نفسه لبنًا للأطفال، وطعامًا دسمًا للناضجين، لكي لا يترك نفسًا في عوز أو جوع.

ج. الذين أخذوا المنّ بغير إيمان، مخالفين الوصية، ومحتفظين به لليوم التالي صار بالنسبة لهم دودًا ونتنًا. هكذا من يتناول جسد السيِّد بغير إيمان ولا استحقاق يحمل فيه رائحة الموت عوض الحياة والعذوبة التي يذوقها المؤمنون عند تمتعهم به.

كلمة الله كالمنّ، هي سرّ حياة للتائبين المؤمنين، وسرّ هلاك للمُصرّين على عدم الإيمان.

في هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [في المنّ الآن عذوبة العسل بالنسبة للمؤمنين، وفيه دود لغير المؤمنين. إن كلمة الله (السيِّد المسيح) يفند الأفكار الشريرة وينخس ضمير الخطاة بالمناخس الحادة ويضرم نارًا في قلوب الذين يفتحون له، حتى يقولوا: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا وهو يفسر لنا الكتب؟!" (لو ٢٤: ٣٢). وعلى العكس هو نار تحرق الأشواك التي على الأرض الرديئة[1]].

من يجمع منًا ليحتفظ به دون أن يأكله، أي يسلك مخالفًا للوصية وبغير إيمان، يكون كمن يدرس الكتاب المقدس ويتعرف على الإيمان المسيحي معرفة نظرية، فيكون إيمانه ميتًا كقول معلمنا يعقوب الرسول (يع ٢: ١٤-١٥، ٢٦). وفي هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [إن أخذ غير المؤمن كلمة الله ولم يأكلها (أي يعيش بها)، بل أخفاها، يتولد فيها الدود[2]].

---

[1] *In Exod, hom 7: 8.*
[2] *Ibid.*

د. قال موسى النبي: "الرب يعطيكم في المساء لحمًا لتأكلوا، وفي الصباح خبزًا لتشبعوا" [٨]. ما هو هذا المساء إلاَّ آخر الأزمنة أو ملء الزمان الذي فيه حمل كلمة الله جسدًا، مقدمًا ذاته لنأكل ونشبع! وبمجيئه في ملء الزمان، وسط الظلمة في المساء، أشرق بنوره علينا فتحول مساؤنا نهارًا، ودخلنا في صباح جديد، مقدمًا لنا خبزًا جديدًا تشبع به البشرية المؤمنة.

مرة أخرى يقول: "في المساء تعلمون أن الرب أخرجكم من مصر، وفي الصباح ترون مجد الرب" [٦-٧]. ما هو هذا المساء إلاَّ تلك اللحظات التي فيها أسلم السيِّد المسيح الروح في يدي الآب، حيث غطّت الظلمة وجه الأرض، فأخرجنا من عبودية إبليس وحرر الذين كانوا في الجحيم؟! وما هو هذا الصباح الذي فيه رأينا مجد الرب إلاَّ فجر الأحد الذي فيه قام من الأموات وأعطانا قوة قيامته وبهجتها؟!.

هـ. المنّ لم يعرفه الشعب [١٥]، والسيِّد المسيح تحيّر في حقيقته الشعب (١ كو ٢: ٨).

و. نزل المنّ على الخيام التي تُشير إلى أجسادنا، وجاءنا السيِّد المسيح إلى مساكننا وفي جسدنا، صار كواحد منا.

ز. نزل المنّ بعد تذمر الشعب، وجاء السيِّد المسيح بعدما قامت العداوة بيننا وبين الله، وكما يقول الرسول بولس: "ونحن أعداء صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو ٥: ١٠). وبنزول المنّ أعلن الله حبه ولطفه، برغم تذمر شعبه عليه. ومجيء السيِّد المسيح إلينا علامة رعاية الله ومحبته اللانهائية.

س. وصف المنّ أنه كدقيق أبيض كالثلج [١٤]، وصارت ثياب السيِّد المسيح القدُّوس "بيضاء كالثلج" (مز ٩: ٣).

ش. طعم المنّ كرقاق بعسل، والسيِّد المسيح "حلقه حلاوة وكله مشتهيات" (نش ٥: ٦).

ص. كان الشعب يلتقط المنّ صباحًا فصباحًا... وشركتنا مع ربنا يسوع المسيح متجددة كل يوم، ولقاؤنا معه مبكرًا جدًا "الذين يبكرون إليَّ يجدونني" (أم ٨: ١٧).

ط. يلتقط المنّ ويطحن ويدق ويطبخ ليصير صالحًا للأكل، والسيِّد المسيح جاء متأنسًا، صُلب وتألم ومات وصار غذاءً وسرّ حياة لمن يأكله (مر ١٤: ١٣، ٢٤).

ظ. إذ احتقر الشعب المنّ ضربهم الله ضربة عظيمة جدًا، ومن يأكل جسد الرب بدون استحقاق ينال دينونة لنفسه (١ كو ١١: ٢٧-٣٣).

أخيرًا فإننا إذ نتحدث عن المنّ نجد فيه صورة حيَّة للشبع والاكتفاء، لكن بغير ترف زائد أو نهم. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [لنا معدة واحدة فقط لكي نملأها. أما أنت يا من تريد أن تقوتها بترف زائد، فإنك تقدم لها ما تريد أن تتخلص هي منه. فكما أن الذين جمعوا (من المنّ) أكثر مما يجب، إذا بهم يجمعون دودًا ونتانة لا منًا، الذين يعيشون في ترف وطمع ونهم وسكر إنما يجمعون لأنفسهم فسادًا وليس طعامًا لذيذًا[1]].

٤. شريعة السبت

من جمع لنفسه منًا فائضًا لليوم التالي جمع دودًا ونتانة، وصار موضع سخط الله وغضب موسى النبي، لكنه إذ جاء يوم الاستعداد للسبت التزم الجميع بجمع ضعفين، وكان ذلك إشارة إلى الجمع والحفظ ليوم الراحة العظيم. وكما يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [هذا اليوم (السابق) إنما هو الحياة الحاضرة التي فيها نعد أنفسنا للأشياء العتيدة[2]].

ماذا نعد للحياة العتيدة؟ يقول الرسول: "من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل ٦: ٨). ويقول **العلامة أوريجينوس:** [يليق بنا في اليوم السادس أن نجمع ونخزن ما يكفي لليوم التالي. إن كنت تجمع هنا أعمالاً صالحة، إن كنت تخزن هنا كنوزًا للبرّ والرحمة والتقوى، فإنها تمثل غذاءك في الدهر الآتي. ألا تسمع في الإنجيل أن الذي ربح عشرة وزنات أخذ مقابلها عشر مدن، والذي ربح خمس وزنات أخذ مقابلها خمسة مدن. هذا ما يقوله لنا الرسول بصورة أخرى "ما يزرعه الإنسان إيّاه يحصد" (غل ٦: ٧)[3]. كما يقول: [من خزَّن للسبت لم يفسد ولا أتى فيه دود بل بقي سليمًا، أما إن كُنت تُخزن للحياة الحاضرة حبًا في هذا العالم فسيتولد فيك الدود[4]].

٥. قسط المنّ

أمر موسى هرون أن يأخذ قسطًا واحدًا ويجعل فيه ملء العمر منًا ويضعه أمام الرب، يوضع فيما بعد في تابوت العهد. بقي هذا تذكارًا لعمل الله معهم، ويحمل شهادة رمزية لمجيء السيِّد المسيح المنّ الحقيقي النازل من السماء. وقد رأت الكنيسة في القسط رمزًا للقديسة مريم الحاملة للسيِّد المسيح في أحشائها.

---

[1] *In 1 Cor, hom 20: 5.*
[2] *Vita Mos. 2: 144.*
[3] *In Exod, hom 7: 5.*
[4] *Ibid 7: 6.*

الأصحاح السابع عشر

تجربة الشراب

١. في رفيديم	١.
٢. تذمر الشعب	٢–٤.
٣. الصخرة المتفجِّرة ماءً	٥–٧.
٤. حرب مع عماليق	٨–١٦.

١. في رفيديم

يقول الكتاب: "ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب ونزلوا في رفيديم، ولم يكن ماءً للشرب" [١]. وبأكثر تفصيل يتحدث في سفر العدد (٣٣: ١٢–١٥)، أنهم ارتحلوا من برية سين إلى دفقة ومن دفقة إلى ألوش ومنها إلى رفيديم. في سفر الخروج أراد أن يتحدث عن رفيديم مباشرة بعد برية سين لكي يربط بين تجربة الشراب (الصخرة المتفجِّرة) وتجربة الطعام (المنّ والسلوى). أما سفر العدد فتحدث بأكثر تفصيل حيث يرى **العلامة أوريجينوس** أن لهذه البلاد معنى خاص يمس رحلة المؤمن في انطلاقه من العبودية إلى حرية مجد أولاد الله. فكلمة دفقة[١] في رأيه تعني "صحة"[٢]، وكأن النفس التي تدخل إلى إعلانات الله بحكمة وتمييز وتتنقى خلال التجربة (سين) تعبر إلى حالة السلام النفسي أو الصحة. أما كلمة ألوش ففي رأيه تعني "أعمال"، لهذا يقول: [لا تندهش من أن الأعمال تتبع الصحة، لأنه متى تمتعت النفس بالصحة كعطية من الرب تقوم بالأعمال بفرح وبغير ملل، فيقال لها: تأكلي تعب يديك، طوباكِ وخير لك (مز ١٢٨: ٢)[٣]]. وبعد الأعمال تنطلق إلى رفيديم[٤]، التي في رأيه تعني "التمييز السليم" أو "الحكم السليم"، حيث تحكم النفس روحيًا في كل شيء ولا يُحكم فيها من أحد (١ كو ٢: ١٥).

ويرى **العلامة أوريجينوس** أن الجماعة خرجت "بحسب مراحلهم" [١]، أي خرجت مقسمة إلى أربع مراحل بنظام وتدبير حسن، خرجت من سين حتى بلغت رفيديم، أي خرجت من التجربة بتدبير حسن

---

[١] يرى البعض أنها تعني "سوق المواشي"، موضعها الحالي ربما سرابية الخادم، أو موضع بالقرب من وادي المغارة.

[2] *Origen: In Num. hom 27.*

[3] *In Num, hom 27, in Exod, hom 11.*

[٤] يرى البعض أنها تعني متسعات، وهي مدينة ربما في وادي رفايه شمال غربي جبل موسى.

حتى بلغت "التمييز الحسن" والحكم السليم؛ أو على حد تعبيره: [من يخرج من التجربة بتدبير حسن يظهر في يوم الدين سليمًا (ذا حكم سديد)، أو بصحة بغير جراحات التجربة، كما هو مكتوب في الرؤيا: من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله (رؤ ٢: ٧). من يدبر أموره بالحق (مز ١٦٢: ٥) يبلغ الحكم السليم[1].]

٢. تذمر الشعب

وفي رفيديم أيضًا تذمر الشعب على موسى قائلين: "لماذا أصعدتنا من مصر لتُميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش" [٣]. في هذه المرة صرخ موسى بقلبه كما بلسانه قائلاً: "ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرجمونني؟!" [٤].

في البرية قد تثور فيك أفكار التذمر حينما تشتد بك الضيقة، لكن ليكن لك قلب موسى ولسانه، فتصرخ إلى الله الذي يُخرج من الصخرة ماءً!

صرخ موسى لله مؤمنًا أن النعمة الإلهية تفوق كل إمكانيات الطبيعة، إذ يستطيع الله بطريقة أو بأخرى أن يروي ظمأ هذا الشعب. وقد صارت حياة موسى بما احتوته من أعمال إلهية خارقة تمثل عمل النعمة في الكنيسة، وكما يقول **القديس أمبروسيوس:** [للنعمة قوة أعظم مما للطبيعة. موسى يرفع عصاه فينشق البحر، يلمس الصخرة فتتفجر المياه، يلقي الخشبة في المياه المرّة فتصير حلوة... هذا هو عمل الروح القدس في الكنيسة الفائق للطبيعة[2].]

٣. الصخرة المتفجرة ماءً

أولاً: تُشير الصخرة إلى السيِّد المسيح كقول الرسول بولس: "وجميعهم أكلوا طعامًا واحدًا روحيًا، وجميعهم شربوا شرابًا واحدًا روحيًا، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح" (١ كو ١٠: ٣)، أما الماء المتفجر فهو الروح القدس الذي قدمه لنا السيِّد سرّ تعزيتنا وتقديسنا وشركتنا مع الآب في ابنه.

وتتلخص رمزية الصخرة للسيِّد المسيح في الآتي:

أ. تمتع الشعب بمياه الصخرة بعد عبورهم البحر الأحمر وقتل فرعون وأعوانه، وشربهم من مياه مارة وينابيع إيليم وتمتعهم بنخيلها... هكذا لن يتعرف أحد على سرّ المسيح ويرتوي بينابيع الروح

---

[1] *In Exod, hom 11.*
[2] *St. Ambrose: De Myst. 9.*

القدس إلاَّ بعدما يعبر في مياه المعمودية، جاحدًا إبليس وكل أعماله الشريرة، متمتعًا بالناموس الذي صار حلوًا خلال الصليب، أي ليس خلال حرفه القاتل بل في روحه، ومؤمنًا بعمل التلاميذ (الاثنى عشر ينبوعًا) والرسل (السبعين نخلة)... وكما يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [من يترك المصريين (رمزيًا محبة العالم) خلفه كغرقى في المياه، ويذوق العذوبة خلال الخشبة، وينعم بعيون المياه الرسولية ويستظل بالنخيل يقدر أن يتقبل الله، لأن الصخرة هنا – كما يقول الرسول – هي المسيح، هذا الذي هو صلد لا يلين بالنسبة لغير المؤمنين، أما بالنسبة للذي يستخدم عصا الإيمان فيصير له ينبوعًا يروي عطشه، ويفيض فيمن يتقبلونه، إذ قال: "إليه نأتي أنا وأبي وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣)[1].]

ب. روت الصخرة كل العطاشى، وكان ذلك رمزًا لينابيع العهد الجديد التي فجرها السيِّد المسيح، مناديًا العطاشى إلى البر أن يتقدموا ويشربوا من الماء الحي (يو ٧: ٣٧-٤٠). والعجيب أن المرتل رأى في الصخرة رمزًا حيًا، لهذا نجده يقول: "من الصخرة كنت أُشبعك عسلاً" (مز ٨١: ١٦). يعلق على ذلك **القديس أغسطينوس** قائلاً: [جلب لهم في البرية من الصخرة ماءً لا عسلاً. والعسل هو الحكمة، التي تحتل المركز الأول في عذوبة أطعمة القلب!... كم من أناس يشبعون من هذا العسل فيصرخون قائلين: إنه حلو ليس شيء أفضل وأعذب منه يمكننا أن نفكر فيه أو نتحدث عنه![2].]

ج. ما كان للشعب أن يرتوي من هذا الينبوع ما لم يُضرب بالعصا، وهكذا ما كنا نعرف أن نرتوي من ينابيع محبة الله اللانهائية وننال الروح القدس فينا، ما لم يُضرب السيِّد المسيح محتملاً خلال العدل الإلهي ثمن خطايانا على الصليب. وكما ضُربت الصخرة علانية ومرة واحدة، هكذا عُلق السيِّد على الصليب أمام الشعب (لو ٢٣: ٤٨)، وقُدم مرة واحدة عن العالم كله (عب ٧: ٢٧)، حيث أفاض لنا دم وماء (يو ١٩: ٣٤) كفارة وتطهيرًا لكل من يؤمن به.

د. قال الرب لموسى: "مرّ قدام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل، وعصاك التي ضَربت بها النهر خذها في يدك واذهب. ها أنا أقف أمامك هناك. على الصخرة في حوريب..." [٥-٦].

دعوة الشيوخ لمرافقة موسى أثناء ضرب الصخرة وتفجير المياه إنما تحمل رمزًا أن الناموس (موسى) ليس وحده الذي شهد للصليب، ولكن أيضًا الآباء البطاركة وكل الأنبياء اشتركوا مع الناموس في الشهادة لعمل الفداء خلال الصليب.

---

[1] *Vita Mos. 2: 136.*
[2] *On Ps 81.*

ثانيًا: يقول المرتل: "شق صخورًا في البرية وسقاهم كما من لجج عظيمة" (مز ٧٨: ١٥). هنا لم يقل "الصخرة" بل صخورًا، لعله يُشير إلى رمز آخر، هو أن المؤمنين الذين كانت قلوبهم قبلاً تحجَّرت وجفَّت تفجَّرت فيها ينابيع حياة خلال الصليب لا لترتوي فقط، وإنما لكي تُفيض على الآخرين.

في اليوم الأخير العظيم من العيد (يو ٧: ٣٧) إذ وقف رئيس الكهنة يسكب ماء أمام الشعب ليعلن عن عمل الله في حياتهم، وقف يسوع ونادى قائلاً: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ".

٤. حرب مع عماليق

هذه هي المرة الأولى التي يدخل فيها الشعب في حرب علانية مع شعب آخر. قبلاً حين أراد فرعون وجيشه أن يحاربوا الشعب كانت الأوامر الصادرة "قفوا وانظروا خلاص الرب... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (٤: ١٤). أما الآن بعدما تمتع الشعب بعبور البحر الأحمر ونالوا من الله كل شبعهم: المنّ والسلوى والصخرة المتفجرة التزموا أن يحاربوا، لكن ليس بقوتهم البشرية، إنما خلال عمل الله فيهم. وكانت هذه الحرب رمزًا للحرب الروحية بين ملكوت الله وملكوت إبليس حيث تتم الغلبة لأولاد الله خلال الصليب، ففي هذه الحرب نلاحظ الآتي:

أ. كنا نتوقع من موسى في أول حرب علانية أن يصرخ راكعًا أو منبطحًا على الأرض... لكننا نراه يبسط يديه على شكل صليب رمزًا لغلبة الصليب.

في هذا يقول **العلامة ترتليان** في إجابته على اليهود: [إني مندهش أنه في الوقت الذي كان فيه يشوع يحارب مع عماليق، كان موسى يصلي جالسًا بيدين منبسطتين. مع أنه كان في ظروف حرجة وكان بالحري يلزمه أن يُصلي بركب منحنية، ويدين تقرعان على الصدر، ووجه منبطح على الأرض... لكنه كان ضروريًا أن يحمل رمز الصليب حتى يغلب يشوع المعركة بالصليب[1].]

ويقول **الأب فيكتوريانوس:** [إذ رأى موسى قسوة ذلك الشعب رفع يداه في السبت، رابطًا نفسه رمزيًا بالصليب[2].]

وأيضًا يقول **الشهيد كبريانوس:** [غلب يشوع عماليق بهذه العلامة التي للصليب خلال موسى[3].]

---

[1] *Tertullian: An Answer to the Jews, 10.*
[2] *Victorinus: On the Creation of the World.*
[3] *A. N. F., vol. 5, p 524.*

وفي تعليق **العلامة أوريجينوس** على هذا الحادث يقول: [عندما بسط المسيح يداه على الصليب احتوى العالم كله[1].]

ب. كان موسى على رأس التل يرمز للسيِّد المسيح الذي صلب على جبل الجلجثة، وكان يشوع مع رجال الحرب يجاهدون ضد عماليق رمزًا لجهاد الكنيسة المستمر ضد الخطية. وكأن الكنيسة تشترك مع المسيح في صليبه خلال اتحادها به وجهادها اليومي، لنقول مع الرسول بولس: "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ... قد صلب العالم ليّ وأنا للعالم" (غل ٢: ٢٠؛ ٦: ١٤).

ج. لم يكن حور في عظمة موسى النبي، لكنه ما كان يمكن لموسى أن يبقى رافعًا يديه بدون هرون وحور... بهذا يدرك كل مؤمن موقعه في العمل الإلهي، ولا يستهين أحد بمواهبه مهما ظهرت أنها بلا قيمة.

د. رفْع يدي موسى يُشير أيضًا إلى حياة المثابرة حتى النهاية. وكما يقول **العلامة أوريجينوس**: [عندما يرفع موسى يديه ينهزم عماليق، وعندما يخفضهما بعد أن يتعب ليعطيهما راحة كان عماليق ينتصر. إذن لنرفع أيدينا نحن أيضًا في قوة صليب المسيح، ولنرفع الصلاة "في كل مكان بلا غضب ولا جدال، أيادي طاهرة" (أف ٢: ٨)، حتى نستحق معونة الله. هذا ما يحثنا عليه يعقوب الرسول قائلاً: "قاوموا إبليس يهرب منكم" (٤: ٧)، إذن لنبدأ بملء الإيمان فلا يهرب إبليس بعيدًا عنا فحسب، وإنما ينسحق أيضًا تحت أرجلنا، كما غرق فرعون في البحر وابتلعته أعماق الهاوية[2].]

وفي عظة أخرى يتحدث بأكثر إسهاب عن رفع الأيدي للانتصار على عماليق قائلاً: [رفع الأيدي إنما هو رفع كل الأعمال نحو الله فلا تكون دنيئة ولا أرضية إنما تعمل لمجد الله والسماء. يرفع يداه من يكنز كنزًا في السماء (مت ٥: ٢٠-٢١)، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا، وهناك تكون عيناك ويداك!...

يرفع يداه ذاك الذي يقول: "ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية" (مز ١٤٠: ٢)، بهذا ينهزم عماليق. لكن الرسول يوصينا أن نرفع "أيادي طاهرة بلا غضب ولا جدال" (١ تي ٢: ٨)، كما يقول: "قوِّموا الأيادي المسترخية والركب المخلَّعة، وسيروا في الطريق المستقيم".

---

[1] *In Exod, hom 11: 4.*
[2] *Origen: In Exod, hom 3: 3.*

إن حفظ الشعب الناموس (الوصية) يرفع موسى يداه وينهزم العدو، أما إن لم يحفظه فإن عماليق هو الذي ينتصر، فإننا نحارب الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات (أف ٦: ١١).

إن أردت أن تغلب ارفع يديك، وارفع أعمالك، ولا تمض حياتك على الأرض...

ارفع يديك نحو الله واحفظ وصية الرسول "صلوا بلا انقطاع" (١ تي ٥: ١٧)، فيتم المكتوب: "يلحس الجمهور كل ما هو حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل" (عد ٢٢: ٤). هذا يعني أن شعب الله (الجمهور) يستخدم لسانه وصوته (يلحس) أكثر من يديه وأسلحته، بانسكاب صلواته نحو الله يهزم عدوه... هذا هو طريق الانتصار على العدو (الخطية) في المعركة[1].]

هـ. إذ غلب الشعب عماليق صعد موسى إلى الجبل ليتسلم الشريعة بعد عمل استعدادات ضخمة من جانب الشعب والكهنة، وكأن المؤمن بعد كل نصرة على الخطية – أي عماليق المحارب له – يدعوه الرب للارتفاع على جبل معرفة الله ليتسلم من يديه فهمًا أعمق ومعرفة لأسرار الوصية الإلهية. وكأن معرفتنا لا تقوم على مجرد القراءة والبحث في الكتب والعظات، وإنما بالأكثر على حياة الجهاد ضد الخطية بالصليب.

ز. إن كان موسى النبي لم يدخل في الحرب مع عماليق بطريقة مادية ملموسة، لكنه كان خلال تقديس حياته لله وحِمله رمز الصليب، سرّ غلبة الشعب ونصرته. يعلق على هذا **القديس أمبروسيوس** قائلاً: [حين كان موسى صامتًا كان يصرخ (خر ١٤: ١٦)، وكان يحارب وهو مستريح، إذ لم يحارب فقط وإنما غلب أعداءه وهو لم يقترب إليهم. بقدر ما كان مستريحًا وكان الآخرون يحملون يديه كان يعمل أكثر من غيره، لأن يديه المرفوعتين كانتا تغلبان العدو، وبدونه ما كان يقدر الذين كانوا في المعركة أن يغلبوا. هكذا تكلم موسى وهو صامت، وحارب وهو مستريح! هل كانت له أعمال أعظم مما فعله حين كان في الخلوة يتسلم الشريعة في أربعين يومًا على الجبل (خر ٢٤: ١٧)؟! في هذه الوحدة التقى بذاك الذي ليس ببعيد عنه وكان يتحدث معه![2]]

[1] *Ibid 11: 4.*
[2] *Ambrose: Duties of the Clergy, 3: 1.*

الأصحاح الثامن عشر

مقابلة يثرون لموسى

١. يثرون يلتقي بموسى النبي ١-٧.
٢. حديث في الله ٨-١٢.
٣. مشورة يثرون ١٣-٢٧.

١. يثرون يلتقي بموسى النبي

"سمع يثرون كاهن مديان حمو موسى كل ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه" [١]، ولعلَّه سمع من ابنته صفورة التي رافقت موسى كل الطريق وعبرت معه البحر الأحمر، وعندما اقتربت من سكن أبيها ذهبت إليه تكرز له بأعمال الله العجيبة، وتأتي بأبيها الكاهن الوثني ليسمع ويرى عمل الله فيقدم "محرقة وذبائح لله" [١٢].

إن كان يثرون قد جاء بقلبه يمجد الله على أعماله الخلاصية، فإن موسى أيضًا العظيم في الأنبياء، الذي وهبه كل هذه العجائب لاقى حماه بكل تواضع... "خرج موسى لاستقبال حميه وسجد وقبله" [٧]. النبوة لم تعلِّمه التشامخ على الآخرين بل الاتضاع أمام حميه الكاهن الوثني. ولعلَّه باتضاع كسبه أيضًا للتعرف على أعمال الله.

٢. حديث في الله

امتاز هذا اللقاء بأنه كان في الرب، لم يخرج عن تمجيد اسمه، كما امتاز بالفرح الروحي، إذ يقول الكتاب: "ففرح يثرون بجميع الخير الذي صنعه إلى إسرائيل" [٩]، "وبارك يثرون الرب" [١٠]، وشهد له أنه "أعظم من جميع الآلهة" [١١]، "وقدم محرقة وذبائح لله" [١٢].

ما أجمل اللقاءات التي تسير كلها في دائرة الرب وأعماله الخلاصية العجيبة، فإنها تملأ القلب فرحًا وتطلق اللسان للتسبيح، وتكسب حتى غير المؤمنين للإيمان.

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل يقول الكتاب: "وجاء هرون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا طعامًا مع حمى موسى أمام الله" [١٢]... كأن يثرون عرف الله كصديق له، حتى في أكله وشربه يشعر بوجوده أمام الله. يعلق **العلامة أوريجينوس** على هذا التصرف قائلاً: [كل ما يفعله القديسون إنما يفعلونه أمام الله، أما الخاطئ فيهرب من وجه الله. فقد كتب عن آدم أنه بعدما أخطأ هرب بعيدًا عن وجه الله

(تك ٣: ٨)... وقايين إذ حمل لعنة الله بقتله. هابيل هرب من وجه الله (تك ٤: ١٦)... وهكذا يهرب من وجه الله من كان غير مستحق لهذا الوجه[1]. ولا يقف الأمر عند الأمور الصالحة بل حتى عندما يخطئ القديسون أمام الله لذا سرعان ما يتوبون. وكما يقول **العلامة أوريجينوس:** [الذين ينالون معرفة الله بوفرة ويتشربون تعاليمه الإلهية هؤلاء حتى إن أخطأوا إنما يفعلون هذا في حضرة الله وقدامه، كقول النبي "الشر قدامك صنعت" (مز ٥٠: ٦)... فميزة الذي يخطئ أمام الله إنه سريع التوبة، إذ يقول "أخطأت"، وأما الذي يهرب من وجه الله فإنه لا يقدر أن يتوب ولا أن يتطهر من خطاياه. هنا يظهر الفارق بين من يخطئ قدام الله ومن يهرب من الله بخطاياه[2]].

٣. مشورة يثرون

أولاً: إذ رأى يثرون موسى يتحمل كل المسئولية بمفرده، يقضي في كل كبيرة وصغيرة، من الصباح حتى المساء، أشار عليه أن يقيم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات، أناس ذوي قدرة، خائفين الله، أمناء، مبغضين الرشوة، يقضون بين الشعب كل حين، أما الدعاوي الكبيرة فتقدم إليه، وأطاع موسى حماه.

يرى الآباء في موقف موسى البطولة الحقة من جهة اتضاعه، إذ يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [يقول الله عن موسى: "وأما الرجل موسى فكان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣). لم يكن من هو أكثر منه اتضاعًا، هذا الذي مع كونه قائدًا لشعب عظيم كهذا، وقد أغرق ملك المصريين (فرعون) وكل جنوده في البحر الأحمر كالذباب، وصنع عجائب عظيمة هكذا في مصر وفي البحر الأحمر وفي البرية، وتسلم شريعة عظيمة هكذا، ومع ذلك كان يشعر أنه إنسان عادي، وكزوج ابنة كان أكثر اتضاعًا من حميه؛ أخذ منه مشورة دون غضب. لم يقل له: ما هذا؟ هل تأتي إليَّ بمشورتك بعد أن قمتُ أنا بكل هذه الإنجازات الضخمة؟ هذه مشاعر أكثر الناس، فقد يقدم إنسان مشورة حسنة لكنها تُحتقر بسبب خسّة مركزه، أما موسى فلم يفعل ذلك، وإنما في اتضاع فكره تصرف حسنًا.

ازدرى موسى بالبلاط الملكي (عب ١١: ٢٤-٢٦) من أجل اتضاعه الحقيقي، لأن التفكير السليم والروح العالية إنما من ثمرة الاتضاع. أيّ سمو وأي عظمة أن يحتقر موسى القصر الملوكي والمائدة الملوكية؟! فقد كان الملوك عند المصريين يكرَّمون كآلهة، ويتمتعون بغنى وكنوز لا تُقدّر. لكنه ترك

[1] *Origen: In Exod, hom 11: 5.*
[2] *Ibid.*

هذه كلها، ملقيًا بصولجان مصر، ومسرعًا إلى الالتصاق بالمستعبَدين والمثقَّلين بالأتعاب، الذين يستهلكون كل طاقتهم في الطين وعمل اللّبن، هؤلاء الذين يشمئز منهم عبيده. لقد جرى إليهم، وفضَّلهم عن سادتهم! حقًا إن كل إنسان متضع إنما يحمل روحًا سامية وعظيمة... فإن الاتضاع يصدر عن فكر عظيم ونفس عالية![1].

وفي موضع آخر يقول **القديس الذهبي الفم:** [ترك موسى هذه القصة – أي قبوله مشورة حميه – للعالم، منحوتة كما على عمود، إذ عرف أنها نافعة لكثيرين... إن كان موسى قد تعلم عن حميه أمورًا لائقة لم يكن يدركها، فكم بالأكثر يحدث هذا داخل الكنيسة؟! (أي يستفيد كل واحد من الآخرين). كيف حدث هذا أن غير المؤمن أدرك أمورًا لم يدركها الشخص الروحي؟![2]...].

ويرى **العلامة أوريجينوس** في هذا الأمر صورة رمزية لاستخدام الكنيسة لعلوم العالم وفلسفاته، فلا تعاديها، وإنما تنتفع منها بحكمة، إذ يقول: [عندما أتأمل موسى الممتلئ من الله، الذي كان الله يكلِّمه وجهًا لوجه، يستجيب لمشورة يثرون حميه كاهن مديان يصيبني الذهول من فرط إعجابي. يقول الكتاب "سمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال" [٢٤]. إنه لم يعارض، ولا قال له إن الله يكلمني، وكلمات السماء تسطر ليّ أفعالي، فكيف أقبل نصيحة إنسان، وإنسان وثني، غريب عن شعب الله؟! لكنه سمع له وفعل كل ما قاله له. إن لم ينظر إلى من الذي يحدثه بل استمع إلى الكلمات نفسها. هكذا إن تقابلنا نحن أيضًا مع كلمات بحكمه ينطق بها وثنيون فلا نرفضها من أجل مصدرها، معتذرين أننا تسلمنا الناموس من الله، فننتفخ بالكبرياء ونزدري بكلمات الحكماء...

موسى الذي كان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس (عد ١٢: ٣) قَبِل المشورة من إنسان أقل منه، مقدمًا مثالاً للاتضاع أمام رؤساء الشعب وصورة للسرّ القادم[3]].

ثانيًا: إن رجعنا إلى سفر العدد نرى موسى يقول للرب: "لماذا أسأت إلى عبدك، ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب عليّ. ألعلِّي حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلِّي ولدته؟!" (عد ١١: ١١-١٢).

ما كان لموسى أن يستثقل عمل الرعاية، لأن الله هو الراعي الحقيقي، والأب غير المنظور الذي يرعى أولاده، لذلك إذ طلب الله من موسى أن يختار سبعين رجلاً قال له: "فأنزل أنا وأتكلم معك **هناك**

---

[1] *In 1 Cor, hom 1: 4.*
[2] *In 2 Cor, hom 18: 3.*
[3] *In Exod, hom 11: 6.*

وآخذ من الروح الذي عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب، فلا تحمله أنت وحدك" (عد ١١: ٧)، وكأن الرب الذي يعطي موسى سحب منه ليعطي مساعديه...

إننا لا ننكر أهمية تشغيل الطاقات الروحية في الكنيسة، لكن ليس بروح التذمر ولا بالشعور كأننا نحن الذين نحمل أثقال الشعب... إنما نحمل بركة مشاركتنا السيِّد المسيح، رئيس الكهنة وأسقف نفوسنا الخفي، الحامل ضعفات الكل!

الباب الثالث

في سيناء

(١٩: ٣ – ص ٤٥)

في هذا القسم الخاص بتسليم الوصية الإلهية (الشريعة)، والإعلان عن العبادة لله، يقدم لنا:

١. الاستعداد للشريعة ١٩–٢٠.

٢. القانون المدني والجنائي ٢١–٢٣.

٣. إقامة عهد بين الله والإنسان ٢٤.

٤. التابوت والعبادة ٢٥–٣٤.

٥. الخيمة ومحتوياتها وتقديسها ٣٥–٤٠.

الأصحاح التاسع عشر

الاستعداد للشريعة

١. الحاجة إلى الشريعة
٢. شريعة سيناء ١-٢.
٣. غاية الشريعة ٣-٦.
٤. الاستعداد للشريعة ٧-١٥.
٥. حديث مع الله ١٦-١٩.
٦. تحذير للشعب والكهنة ٢٠-٢٥.

١. الحاجة إلى الشريعة

لم يكن ممكنًا للخارج من أرض العبودية، السالك في طريق البرية القفر، أن يبلغ أرض الموعد ويستقر في أورشليم دون استلامه الشريعة الإلهية أو الوصية. لذا يصرخ المرتل في أرض غربته، قائلاً: "غريب أنا في الأرض، لا تُخف عني وصاياك" (مز ١١٩: ١٩).

تسلم الشعب الشريعة الموسوية، التي قُدمت لهم بطريقة تناسب طفولتهم الروحية، وفي نفس الوقت حملت في أعماقها أسرار "الكلمة الإلهي". لأنه ما هي الشريعة إلاَّ كلمة الله الذي هو وحده القائد والمخلص والمنير والمشبع للنفس. يقودها إلى حضن الآب، ويدخل بها إلى أمجاده الإلهية. لذا يقول **القديس مرقس الناسك:** [إن الوصية تحمل في داخلها السيِّد المسيح؛ من يدخل إلى أعماقها ويعيشها بالروح يلتقي بالكلمة الإلهي نفسه]. ويقول **العلامة أوريجينوس:** [إنه في أعماقها تكتشف النفس عريسها السماوي وتدخل معه إلى حجاله.]

ويتحدث المرتل في المزمور ١١٩ (١١٨) عن الشريعة الإلهية كسند له في غربته فيرى فيها:

أ. سرّ فرحه وسط آلام البرية: "بفرائضك أتلذذ. لا أنسى كلامك" (ع ١٦)، "أتلذذ بوصاياك التي أحببت" (ع ٤٧)، "ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي" (ع ١٠٣).

ب. سرّ تسبيحه وتهليل نفسه: "ترنيمات صارت ليّ فرائضك في بت غربتي" (ع ٥٤).

ج. سرّ غناه الداخلي: "شريعة فمك خيرٌ لي من ألوف ذهب وفضة" (ع ٧٢).

د. قائدة للنفس ومرشدة لها وسط مضايقات الأعداء: "خبأت كلامك في قلبي لكي لا أخطئ إليك" (ع ١١)، "حبال الأشرار التفت عليّ، أما شريعتك فلم أنسها" (ع ٦١)، "لو لم تكن شريعتك لذتي لهلكت حينئذ في مذلتي" (ع ٩٢).

هـ. سرّ حياته: "لصقَت بالتراب نفسي فأحيني حسب كلمتك" (ع ٢٥).

ز. سرّ الاستنارة: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (ع ١٠٥)، "أضئ بوجهك على عبدك وعلمني فرائضك" (ع ١٣٥).

أخيرًا إن الوصية تقدم لنا في روحها وأعماقها شخص المخلص عريس النفس ومشبعها لهذا يقول: "لكل كمال رأيت حدًا، أما وصيتك فواسعة جدًا" (ع ٩٦).

٢. شريعة سيناء

حدد سفر الخروج بدء استلام الشريعة بالشهر الثالث من الخروج، وموضع الاستلام "سيناء" حيث نزل الشعب مقابل جبل سيناء [١-٢].

أما رقم "٣" (الشهر الثالث) فكما سبق فقلنا يُشير إلى قيامة السيِّد المسيح الكلمة الإلهي في اليوم الثالث، وكأن الله يُريدنا أن نلتقي به خلال الوصية في مجد القيامة، فلا نراها أوامر ونواهٍ، ولا نواميس مكتوبة وفرائض وقوانين، بل سرّ قيامة لنا في الأمجاد الإلهية. خلال القيامة تصير الوصية بكل صليبها وأتعابها عذبة ولذيذة؛ يتحول طريقها الكرب إلى نير هين وحمل خفيف، وشركة آلام مع المسيح للتمتع بشركة أمجاده.

كذلك اختياره الموضع "جبل سيناء" لم يكن بلا معنى، ففي رأي **العلامة أوريجينوس** أن "سيناء" تعني أيضًا ما عنته "برية سين" والتي قلنا أنها تعني "علّيقة" أو "تجربة" حيث يلزم أن يكون للإنسان روح التمييز السليم حتى لا يسقط في تجربة خلال رؤى (العليقة) غاشة. وفي رأيه أن "سيناء" تعني أن النفس بدأت تقتني "الحكم العادل" خلال تسلمها للشريعة الإلهية أو الوصية، فتصير قادرة على التمتع بالأسرار الإلهية والرؤى السماوية[1].

٣. غاية الشريعة

قبل أن يتحدث الله عن غاية الشريعة أعلن حبه العملي للشعب قائلاً: "أنا حملتكم على أجنحة النسور **وجئت بكم إليَّ**" [٤]، وكأنما أراد أن يوضح أن الحب المتبادل هو أساس هذه الشريعة. لقد

[1] *In Num., hom 27.*

أحبنا وحملنا بالروح القدس (أجنحة النسور) وجاء بنا إليه، أي إلى أحضانه الإلهية لنختبر أحشاء محبته ونتعرف على أبوته.

هذه هي غاية الشريعة: "**تكونون لي** خاصة من بين جميع الشعوب؛ فإن لي كل الأرض؛ وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة" [٥-٦]. مع إنه ليس في احتياج لأن كل الأرض له، لكنه يُريد أن نكون خاصته، لنا دالة النبوة، مملكة كهنوتية وأمة مقدسة مكرسة له تحمل طبيعته كقدوس.

٤. الاستعداد للشريعة

أولاً: دعا موسى شيوخ الشعب ووضح أمامهم الكلمات التي أوصى بها الرب، كأنما يعرض عليهم العهد الذي يريد أن يقيمه الله مع شعبه، وبالفعل أعلن الشعب قبوله للعهد، إذ "قالوا كل ما تكلم به الرب نفعل" [٨]. الله لا يُلزمنا بالعهد ما لم نعلن قبولنا له أولاً!.

للأسف قبلوا العهد بالكلام لكنهم رفضوه بالعمل، فصار الناموس بالنسبة لهم لا ينفع شيئًا[1]... قالوا: "كل ما تكلم به الرب نفعل"، لكنهم كسروا الوصية وحنثوا العهد، حتى جاء المخلص الذي وحده يقدر أن يتمم مشيئة الرب ووصيته في كمالها، وفيه نصير نحن أيضًا كاملين وغير كاسرين للناموس.

ثانيًا: طلب الرب من موسى أن يتقدس الشعب ويغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء [١٠-١١]. كما كان ذلك في الشهر الثالث من خروجهم التزموا بالاستعداد لنزول الرب أمامهم في **اليوم الثالث**... وهكذا حمل هذا السفر تأكيدات مستمرة لقبول قوة القيامة فينا. فإنه ما كان يمكن للشعب أن ينتفع بالوصية إن لم يتعرف على إمكانية تنفيذها خلال المسيح القائم من الأموات، الواهب الطبيعة الجديدة القادرة على تنفيذ الوصية الإلهية.

أما التقديس وغسل الثياب، فهذه الأمور تكشف عن الحاجة إلى استعدادات خارجية وداخلية للصعود على جبل المعرفة (كما فعل موسى) والتعرف على الأسرار الإلهية.

يقول **العلامة أوريجينوس:** [إن أتيت بملابس قذرة تسمع هذه الكلمة: "يا صاحب لماذا دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟" (مت ٢٢: ١٢). إذن، لا يستطيع إنسان ما أن يسمع كلام الله إن لم يتقدس أولاً فيكون مقدسًا جسدًا وروحًا (١ كو ٧: ٣٤)، يغسل ثيابه ليدخل بعد لحظات إلى مائدة

[1] *St. Chrys.: In Mat., hom 67.*

العريس ويأكل جسد الحمل ويشرب كأس الخلاص. لا يدخل أحد إلى هذه المائدة بملابس قذرة، وقد أوصت الحكمة بذلك في موضع آخر: "لتكن ثيابك كل حين بيضاء" (٩: ٨). لقد غسلت ثيابك مرة واحدة عندما نلت نعمة المعمودية، وتطهر جسدك. وتخلصت من كل دنس الجسد والروح، "فالذي طهره الله لا تدنسه أنت" (أع ١٠: ١٥)[1]]

وفي حديث **القديس أمبروسيوس** عن واجبات الكهنة، يقول: [تعلم أيها الكاهن وأيها اللاوي، ماذا يعني غسل ملابسك؟ يليق بك أن يكون جسدك نقيًا حتى تتقدم للأسرار. فإن كان الشعب قد مُنع من الاقتراب للذبيحة ما لم يغسلوا ملابسهم فهل، تطلب ذلك من الآخرين بينما يوجد دنس في قلبك وجسدك، وتتجاسر وتقدم عنهم تقدمة[2]؟!].

ويرى **البابا أثناسيوس** في هذا الاستعداد رمزًا للدخول إلى الحياة الفاضلة التي بدونها لا يقدر أن يدخل موسى إلى حضرة الله ويتسلم الشريعة، إذ يقول: [خلال الفضيلة يدخل الإنسان إلى الله، كما فعل موسى في السحابة الكثيفة حيث كان الله. أما خلال الرذيلة فيخرج الإنسان من حضرة الرب، كما حدث مع قايين حين قتل أخاه (تك ٤: ١٦)، إذ خرج من لدن الرب عندما قلقت نفسه[3]].

كان الأمر صريحًا: "كونوا مستعدين لليوم الثالث، لا تقربوا امرأة" [١٥]، ليس لأن العلاقة الزوجية تحمل شيئًا من الدنس، وإنما لأجل تكريس كل الطاقات وانشغال الفكر بالكامل في انتظار الوصية... وقد رأى الآباء في هذه الوصية إشارة إلى التعفف في العلاقات الجسدية، وعدم ممارستها بطريقة شهوانية حتى تقدر النفس أن ترتفع مع موسى على جبل المعرفة وتتعرف على الله. ففي حديث **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** عن البتولية يقول: [إن كنت تشتاق إلى الله لكي يعلن نفسه لك، لماذا لا تسمع موسى وهو يأمر الشعب أن يمتنعوا عن العلاقات الزوجية، لكي يؤخذوا إلى رؤية الله؟!].

وكما استقبل الشعب قديمًا كلمة الله المنقوشة على اللوحين بالامتناع عن العلاقات الزوجية والاغتسال، وضعت الكنيسة على أولادها أن يمتنعوا عن فراش الزوجية ليلة تناولهم "الكلمة الإلهية"، وكما وضعت طقسًا جميلاً لغسل أيدي الكهنة قبل استلام الحمل، فيه يُراجع الكاهن نفسه في أمر نقاوة نفسه واستعداده الداخلي للخدمة[4].

---

[1] *In Exod, hom 11: 7.*

[2] *Duties of the Clergy 1: 50.*

[3] رسائل القيامة ١٠: ٤.

[4] راجع كتابنا: المسيح في سفر الإفخارستيا، ١٩٧٣.

ثالثًا: يُحذِّر الرب الشعب قائلاً: "احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه؛ كل من يمس الجبل يقتل قتلاً... بهيمة كانت أم إنسانًا لا يعيش؛ أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل" [١٢-١٣]. فلكي يصعد موسى الداخلي على جبل المعرفة وينعم بالأسرار الإلهية، يلزمنا ألاَّ نسمح للحواس التي تنشغل بالأمور المادية كالنظر والسمع أن ترتفع معنا ولا أيضًا الشهوات الحيوانية. بهذا لا يصعد معنا إنسان أو بهيمة، إنما يرتفع موسى وحده، أي إنساننا الداخلي وحده، حتى يتمتع بما لم تره عين وما لم تسمع به أذن وما لا يخطر على قلب إنسان (١ كو ٢: ٩). يرتفع إنساننا الداخلي ليتلمس من هو أعظم من الحواس والحسيات... أي الإلهيات عينها!

إذن، لا تسمح لإنسان أو حيوان في داخلك أن يعوقك عن رؤية الله، على الجبل المقدس فيك والحديث معه وجهًا لوجه!

أما قوله: "عند صوت البوق فهم يصعدون على الجبل" [١٣]، فيعني أن الإنسان الداخلي إذ يتمتع برؤية الله وسماع الصوت الإلهي والحديث المباشر معه، حينئذ ترتفع حواسنا واشتياقاتنا وعواطفنا لتتقدس هذه جميعها في الرب. الأمور التي كانت قبلاً عائقًا عن الحياة مع الله تصير مقدسة للرب وآلات برّ لحساب الله.

٥. حديث مع الله

أولاً: يُقارن الآباء بين لقاء الشعب مع الله في العهد القديم، ولقائهم معه في العهد الجديد. ففي العهد القديم أقام موسى للشعب حدودًا من كل ناحية حتى لا يصعدوا على الجبل أو يمسوا طرفه "كل من يمس الجبل يُقتل قتلاً، لا تمسه يد بل يُرجم رجمًا أو يرمى رميًا، بهيمة كان أم إنسانًا لا يعيش" [١٢-١٣]... هكذا **مُنعوا من** الاقتراب إلى الجبل أو لمسه، من يلمسه يُقتل، بطريقة مؤلمة بالرجم أو الرمي، ولا يمسه إنسان من الشعب حتى لا يتنجس به!!. أما في العهد الجديد فجاء كلمة الله ذاته وجلس على الجبل (مت ٥-٧) والتف حوله الخطاة كأولاد له. إنه يفتح بابه للجميع طالبًا بنوتهم له!.

في العهد القديم حدثت رعود وبروق وسحاب ثقيل وصوت بوق شديد جدًا حتى إرتعد كل الشعب في المحلة [١٦]... "قالوا لموسى: تكلم أنت معنا فنسمع، ولا يتكلم معنا الله لئلاَّ نموت" (٢٠: ١٩)... أما في العهد الجديد فكان الرب يتكلم بصوت هادئ وديع ليجتذب الكل إليه. وكما يقول **القديس أغسطينوس:** [هناك أُعطيَ الناموس خارجيًا حتى يرتعب الأشرار، وهنا يُقدم بطريقة داخلية

لتبريرهم[1]. في القديم عامَل البشرية كأطفال صغار يسمعون الصوت المرهب لكي يخافوا، أما في العهد الجديد فيحدثنا كأبناء ناضجين يُريدنا أصدقاء وأحباء له.

وإذ يُقارن **القديس يوحنا الذهبي الفم** بين الدعوتين في القديم حيث الحدود الضيقة والخوف والرعدة، وفي الجديد حيث الدعوة المفتوحة للجميع ويقول: [لقد دعانا للسماء، دعانا إلى مائدة الملك العظيم والعجيب، فهل نتلكأ ونتردد بدلاً من أن نسرع ونجري إليها؟! إذن أي رجاء لنا في خلاصنا؟ إننا لا نقدر أن نعتذر بضعفنا ولا نعتذر بطبيعتنا، لكن الكسل وحده هو الذي يجعلنا غير مستحقين![2]].

شكرًا لله الذي فتح أمامنا طريق الجبل المقدس وجعل كلمته تدعونا جميعًا بلا استثناء لا لنتسلم الشريعة منقوشة على لوحين من الحجر، إنما ليعطينا كلمته حيًا في داخلنا، ووصيته منقوشة في قلوبنا!.

ثانيًا: استخدم الله صوت بوق شديد جدًا حتى ارتعد كل الشعب الذي في المحلة... وكان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًا وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت [١٦، ١٩].

لماذا استُخدم صوت البوق؟ يجيب **البابا أثناسيوس الرسولي**، قائلاً: [الأبواق تبعث في الإنسان اليقظة والرهبة أكثر من أي صوت آخر، أو آلة أخرى. وكانت هذه الطريقة مستخدمة لتعليمهم، إذ كانوا لا يزالون أطفالاً[3].]

ويرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** أن صوت البوق إنما يرمز للكرازة بالتجسد الإلهي، الأمر الذي بوَّق به الأنبياء ليُعلنوا للبشرية قرب مجيئه، لكنه إذ جاء الرسل وارتفعوا إلى قمة الجبل المقدس "كان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًا" [١٩][4]، أي أعلنوه بأكثر قوة حتى بلغ صوتهم أقصى المسكونة ورسالتهم نهاية العالم (مز ١٩: ٥).

ثالثًا: نزل الرب على جبل سيناء كنار آكلة، كان يتحدث مع موسى والجبل يدخن "وصعد دخانه كدخان أتون وارتجف كل الجبل جدًا" [١٨].

---

[1] *On the Spirit a the letter, 29.*
[2] *In Eph, hom 3.*
[3] *Paschal letters 1: 2.*
[4] *Vita Mos. 2: 158.*

يقول المرتل عن الله: "قدامه تذهب نار" (مز ٧٩: ٣)، إذ هو نفسه نار آكلة، وخدامه حوله ويتقدمونه كنار ملتهبة (مز ١٠٤: ٤)، يحرقون من كان خشبًا أو عشبًا أو قشًا، كما يُنقون من كان ذهبًا أو فضة أو حجارة كريمة.

رابعًا: يقول الرب لموسى: "ها أنا آتي إليك في ظلام السحاب" [٩]، وبالفعل "في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل" [١٦].

ويقول الكتاب المقدس: "وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله" (٢٠: ٢٠). إذن ما هو هذا السحاب والضباب الذي اقترب إليه موسى ليسمع صوت الرب؟

ويجيب **القديس جيروم** على هذا السؤال خلال تعليقه على قول المرتل: "السحاب والضباب حوله" (مز ٩٧: ٢)، إذ يقول: [أمران يُحيطان بالرب: السحاب والضباب (الظلام). أظن أنها ذات السحابة التي وردت في الإنجيل. "وسحابة نيِّرة ظللتهم" (مت ١٧: ٥). هذا حدث عندما تجلَّى الرب وسقط التلاميذ على وجوههم أمامه، وجاءت سحابه نيِّرة ظللتهم.

أظن أنها تشبه السحاب الذي قيل عنه في موضع آخر: "حقك إلى السحاب" (مز ٣٦: ٥). أي حق الرب قيل عنه في الإنجيل: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦). حتى الله هو المسيح؛ يبلغ حتى إلى السحاب، أي إلى الرسل والأنبياء، هؤلاء الذين كانوا كالسحاب الذي أَمَرَه ألاَّ يُمطر على إسرائيل (إش ٥: ٦). هذا يتفق مع ما ورد في سفر القضاة حيث جزَّة الغنم كانت جافة بينما كان المطر ينزل على بقية العالم. هذا يعني أن إسرائيل صار جافًا بينما كان المطر ينزل على العالم كله.

"السحاب والضباب حوله"، "هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر" (إش ١٩: ١). لتعرف ماذا يعني هذا؟ الرب قادم، الرب المخلص قادم إلى مصر حيث نعيش، قادم إلى أرض الظلمة حيث فرعون، لكنه لا يأتي إلاَّ قادمًا على سحابة سريعة. ما هي هذه السحابة السريعة؟ أظنها القديسة مريم التي حملت الابن بغير زرع بشر. جاءت هذه السحابة السريعة إلى العالم وأحضرت معها خالق العالم. ماذا يقول إشعياء؟ "الرب قادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، الرب قادم فترتعب أوثان مصر جدًا ويرتطم بعضها ببعض وتتحطم. هذه هي السحابة التي حطمت معبد سيرابيس في الإسكندرية، إذ لم يحطمه قائد بل حطمته السحابة القادمة إلى الإسكندرية (الحاملة للمسيح)...

لقد عرفنا السحاب فلنبحث الآن عن الضباب.

الرب في الضباب، هو في النور وفي الضباب أيضًا. هو في النور بالنسبة للمبتدئين الذين يتحدث معهم بوضوح، لكنه بالنسبة للمتقدمين يحدثهم بطريقة سرائرية *Mystically*، فهو لا يتحدث مع الرسل كما مع الجماهير، إذ يتحدث مع الرسل بطريقة سرائرية. ماذا يقول؟ "من له أذنان للسمع فليسمع" (لو ٨: ٨). هذا هو معنى "وضباب حوله"، أي حوله أسرار. لهذا يقول في سفر الخروج إن كل الشعب كانوا واقفين أسفل، وأما موسى وحده فصعد على جبل سيناء في ضباب سحابة ثقيل، لأن كل شعب الله غير قادر على التعرف على الأسرار، أما موسى فكان وحده يقدر أن يفهم. لهذا يقول الكتاب: "جعل الظلمة سِتْرَه حوله" (مز ١٨: ١٢)[1].

٦. تحذير للشعب والكهنة

دعا الله موسى ليحذر الشعب والكهنة لئلاَّ يقتحموا الجبل فيسقط منهم كثيرون [٢١]. ولئلاَّ يبطش الله بالكهنة! لقد تحوّل الجبل إلى قدس أقداس بنزول الرب عليه، لذا خاف الرب على شعبه وكهنته لئلاَّ يهلكون بسبب حب استطلاعهم واقتحامهم المقدسات الإلهية المهوبة!

لم يصعد إلاَّ موسى وهرون، موسى كممثل للكلمة الإلهية وهرون كممثل لكهنوت السيِّد المسيح، فالمسيح وحده الكلمة الإلهي والكاهن يدخل إلى المقدسات الإلهية، وبدونه نهلك!

[1] *St. Jerome: On Psalms, hom 24.*

الأصحاح العشرون

الوصايا العشر

١. مقدمة للوصايا العشر.

٢. الناموس بين الحرف والروح.

٣. ما جئت لأنقض بل لأكمل.

٤. الوصية الأولى: أنا الرب إلهك ١–٣.

٥. الوصية الثانية: لا تصنع لك تمثالاً ٤–٦.

٦. الوصية الثالثة: لا تنطق باسم الرب باطلاً ٧.

٧. الوصية الرابعة: تقديس السبت ٨–١١.

٨. الوصية الخامسة: إكرام الوالدين ١٢.

٩. الوصية السادسة: عدم القتل ١٣.

١٠. الوصية السابعة: عدم الزنا ١٤.

١١. الوصية الثامنة: عدم السرقة ١٥.

١٢. الوصية التاسعة: عدم الشهادة للزور ١٦.

١٣. الوصية العاشرة: لا تشته ١٧.

١٤. خوف الشعب ورعدته ١٨–٢١.

١٥. تأكيد ضد عبادة الأوثان ٢٢–٢٥.

١. مقدمة الوصايا العشر

ما كان يمكن للشعب أن يتقبل الوصايا الإلهية أو يتذوق الشريعة وهو في أرض العبودية، لذا خرج به الرب إلى البرية ليسلمه الشريعة هناك، مبتدأ بالقول: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية" [٢]. وبالرغم من أن هذه العبارة جاءت كمقدمة للوصايا وليست في شكل وصية إلاَّ أن اليهود اعتبروها جزءً من الوصية الأولى.

تُسمى الوصايا العشر بالكلمات العشر *Decalogue* (خر ٣٤: ٢٨؛ تث ٤: ١٣؛ ١٠: ٤)، كُتبت على لوحيّ حجر (خر ٣٢: ١٥)، وتدعى "كلمات العهد" (تث ٢٩: ١) ولوحي الشهادة (خر ٣١: ١٨)، والشهادة (خر ٢٥: ١٦).

ورد نص هذه الوصايا مرة أخرى في سفر التثنية (٥: ٦–٢١)، والفارق بينهما أن النص في سفر الخروج قدم تبريرًا لوصية تقديس السبت أن الله استراح بعد الخلقة في اليوم السابع، أما في سفر التثنية فارتكز على أنه في ذلك تذكار للخلاص من أرض العبودية والدخول إلى الراحة.

لم تأخذ الوصايا العشر أرقامًا في الكتاب المقدس لهذا ظهر نوعان من التقسيم:

أولاً: التقسيم القديم الذي عرفه اليهود، وأورده يوسيفوس[1] وفيلون[2]، وأخذ به **العلامة أوريجينوس** ولا تزال الكنائس البروتستانتية غير اللوثرية تأخذ به. يقوم هذا التقسيم على التمييز بين الوصية الخاصة بمنع تعدد الآلهة [٣]، والوصية الخاصة بعدم إقامة عبادة الأوثان [٤]، باعتبارهما الوصيتين الأولى والثانية، هذا مع اعتبار "لا تشتهِ امرأة قريبك..." جزءً من الوصية التي تأمر ألاَّ يشتهي ممتلكات القريب [١٧].

بهذا التقسيم تصير الوصايا الأربع الأولى خاصة بعلاقة الإنسان بالرب، أما الوصايا الباقية "الستة" فخاصة بعلاقة الإنسان بأخيه. وقد نادى هذا الرأي بأن كل لوح حمل خمس وصايا، فتكون الوصية الخامسة الخاصة بإكرام الوالدين قد نُقشت مع الوصايا الخاصة بعلاقة الإنسان بالله على اللوح الأول، ويبرر أصحاب هذا الرأي ذلك، بأن اليهود كانوا يرون إكرام الوالدين أمرًا مطلقًا بلا شرط (مر ٧: ١٠–١٣)، وكأن الوصية الخاصة بذلك هي امتداد للوصايا الخاصة بعلاقة الإنسان بالله. ويلاحظ أن الرسولي بولس حين ضم الوصايا الخمسة الأخيرة معًا لم يضم هذه الوصية إليها، ولو أنه ترك المجال لدخولها مع هذه الوصايا (رو ١٨: ٥). أما السيِّد المسيح فقد ضمها إلى ذات المجموعة (مر ١٠: ١٩).

ثانيًا: التقسيم الذي تُنادي به الكنيسة الكاثوليكية والكنائس اللوثرية، وقد اعتمدت الكنيسة على أغسطينوس الذي اعتبر أن الوصية الخاصة بعدم تعدد الآلهة تضم معها الوصية الخاصة بعدم عبادة الأوثان، بينما جعل من الوصية الخاصة بعدم اشتهاء امرأة القريب وصية مستقلة عن عدم اشتهاء ممتلكات القريب. بهذا يرى أن الوصايا الخاصة بعلاقة الإنسان بالله هي ثلاثة، والوصايا

[1] *Artiq. 3: 5: 5.*
[2] *Philo: Decalogue.*

الخاصة بعلاقة الإنسان بقريبه سبعة، اللوح الأول شمل الثلاث وصايا الأولى، والثاني شمل الوصايا السبع الأخيرة.

ويلاحظ أن الوصايا العشر قد حملت جانبًا سلبيًا فيما عدا وصيتيّ تقديس السبت وإكرام الوالدين، كما أن الوصية الخاصة بإكرام الوالدين هي الوصية الوحيدة التي لها وعد.

وقد لخص السيِّد المسيح هذه الوصايا جميعها في وصية "المحبة لله والقريب" (مت ٢٢: ٣٧؛ رو ١٣: ٩؛ غل ٥: ١٤؛ يع ٢: ٨).

٢. الناموس بين الحرف والروح

ما دمنا نتحدث عن الوصايا العشر التي هي صُلب الناموس، يلزمنا أن ندرسه على ضوء كلمات معلمنا بولس الرسول: "ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منّا، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحيّ، **لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية**. ولكن لنا ثقة مثل هذه بالمسيح لدى الله، ليس أننا كُفاة من أنفسنا كان نفتكر شيئًا كان من أنفسنا، بل كفايتنا من الله. الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد، لا الحرف بل الروح، **لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي**. ثم إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة قد حصلت في مجد، حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الزائل، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد. لأنه إن كانت خدمة الدينونة مجدًا فبالأولى كثيرًا تزيد خدمة البرّ في مجد" (٢ كو ٣: ٣-٩).

اهتم كثير من الآباء بالكشف عن العبارة "**الحرف يقتل ولكن الروح يحيي**"، لكنني أكتفي هنا ببعض اقتباسات **للقديس أغسطينوس** عن مقاله "عن الروح والحرف" في كتاب بعث به إلى مرسيلينوس في ستة وستين فصلاً، أوضح فيه النقاط التالية:

١. **بالناموس انكشفت الخطية ولم تعالج:** "حرف الناموس الذي يُعلمنا عدم ارتكاب الخطية يقتل إن غاب عنه الروح الذي يهبه حياة، إذ يجعلنا نعرف الخطية دون أن نتجنبها، كما يجعلها تتزايد بدلاً من أن تُقل، إذ يضيف إلى الشهوة الشريرة (التي يمنعنا عنها الناموس) تعدّينا للناموس نفسه"[1]. مع كون الناموس صالحًا في ذاته إلاَّ أنه يزيد من الشهوة الشريرة حينما يحرمها، فيكون الأمر كإندفاع الماء الذي يجري على الدوام في اتجاه معين فإذا قابله حاجز ما فبتعديه للحاجز تزداد قوته ويسرع في انحداره إلى أسفل (يصير شلالاً قويًا). ومع شيء من الفارق يصير ما نشتهيه محبوبًا جدًا حينما

[1] *On The Spirit & The Letter, ch. 8.*

نُحرم منه، وتعتبر هذه هي الخطية التي تخدع وتقتل بواسطة الوصية، "إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعد" (رو ٤: ١٥)[١].

٢. **أعلن الناموس عن الحاجة إلى طبيب:** "دخل الناموس لكي تكثر الخطية" (رو ٥: ٢٠). فبوجوده ظهر (الإنسان) مذنبًا ومرتبكًا وفي حاجة لا إلى طبيب بل إلى الله نفسه كمعين له، يوجه خطواته حتى لا تُسيطر عليه الخطية. صار لزامًا لكي يشفي أن يُسلم نفسه لمعونة الرحمة الإلهية. وبهذا إذ تكثر الخطية يجب أن تزداد النعمة جدًا (رو ٥: ٢٠)، ليس خلال استحقاق الخاطئ لكن خلال تدخل الله الذي يُعينه"[٢]. "في الحقيقة إن الناموس بإصداره الوصايا مع التهديدات وعدم تبريره لأي إنسان، يكشف أن تبرير الإنسان هو عطية من الله بمعونة الروح القدس... متبررين مجانًا بنعمته (رو ٣: ٢٤)"[٣].

٣. **الناموس صالح والوصية عادلة:** ونحن كمسيحيين نلتزم بالوصايا العشر (مع مراعاة السبت كرمز للأحد)، إذ يقول: "الوصايا العشر نافعة ومفيدة لمن يعمل بها، بل ولا يستطيع أحد أن ينعم بالحياة ما لم يحفظها"[٤]. لكنها تعطي حزنًا للإنسان الحرفي إذ لا تحرره من الخطية، لذا قيل "الذي يزيد علمًا يزيد حزنًا" (جا ١: ١٨)، أما الذي يحفظ الناموس روحيًا حسب الإنسان الداخلي فيكون له الناموس فرحًا، يقول **القديس أغسطينوس:** [لو وجد الإيمان الذي يعمل بالمحبة (غل ٥: ٦)، يبدأ الإنسان يُسر بناموس الله حسب الإنسان الباطن (رو ٧: ٢٢). هذا هو عطية الروح القدس لا الحرف، حتى مع وجود ناموس آخر في أعضائنا يُحارب ناموس ذهننا، إذ نتغير عن حالنا القديم ونمضي في تجديد مستمر من يوم إلى يوم، أي أنه بنعمة الله يتحرر إنساننا الباطن من جسد هذا الموت بربنا يسوع المسيح[٥]].

٤. **الناموس والعهد الجديد:** يقول **القديس أغسطينوس:** [لاحظ هذا أيضًا في الشهادة التي أدلى بها النبي بطريقة أكثر وضوحًا في هذا الأمر، إذ يقول: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب، بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت

---

[1] *Ibid ch. 6.*
[2] *bid ch. 9.*
[3] *Ibid 15.*
[4] *bid 24.*
[5] *bid 26.*

إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب. أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها في قلوبهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون ليّ شعبًا. ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب. لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد" (إر ٣١: ٣١-٣٤)... ما الفرق الذي أظهره الله بين العهدين، القديم والجديد؟.. تم التغيير بسبب الروح المحيي الذي بدونه الحرف يقتل[1]...].

إنه يرى أن العهد القديم سُميَ "قديمًا"، لأن الخطية التي للإنسان القديم كانت تعمل في الإنسان ولم يقدر حرف الناموس أن يشفيها، أما العهد الجديد فسُميَ كذلك من أجل عطية روح الله الحيّ (٢ كو ٣: ٣) الذي نقش الوصية بطريقة جديدة لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية[2]. في العهد القديم جاءت الوصية منذرة من الخارج، أما في العهد الجديد فنلنا نعمة الروح القدس المحييّ في القلب في الداخل. في هذا يقول: "الاختلاف بين العهدين القديم والجديد، أن الأول كُتب على الألواح لكي يُنذر، الأول من الخارج، أما الثاني فيبهج في الداخل. بالأول صار الإنسان متعديًا خلال الحرف القاتل، أما بالثاني فصار حيًّا بواسطة الروح المحيي"[3].

هذا ويرى **القديس أغسطينوس** أن كل الناموس قد لخصه السيِّد المسيح في الحب لله والقريب، فإن كنا قبلاً نسمع وصايا نعجز عن تنفيذها، ففي العهد الجديد تُسكب المحبة في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رو ٥: ٥)، بهذا صار تنفيذ وصايا الناموس ممكنة وسهلة، لأن هذا هو عمل الروح القدس الذي يُسكب الحب فينا فيكمل كل الناموس.

٣. ما جئت لأنقض بل لأُكمل

أكد السيِّد المسيح أنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمله (مت ٥: ١٧)، فمن ناحية كشف أعماق الناموس ودخل بنا من حرفيته إلى روحه الخفي، فلم يعد الناموس مجرد وصايا وأوامر بل تلاقٍ مع "كلمة الله" الخفي، وكما يقول **القديس مرقس الناسك:** [يختفي الرب في وصاياه، فمن يطلبه يجده فيها، لا تقل إني قد أتممت الوصايا ولم أجد الرب، لأن من يبحث عنه بحق يجد سلامًا[4]].

---

[1] *Ibid 33, 34..*
[2] *Ibid 35.*
[3] *Ibid 42.*

[4] المؤلف: الفيلوكاليا، ١٩٦٦، صفحة ١٣٠.

ومن ناحية أخرى أوصانا الرب في العهد الجديد بقتل رأس الخطايا، فلم يطالبنا بعدم القتل فحسب وإنما عدم الغضب الذي هو بداية الطريق للقتل، ولم يسألنا الامتناع عن الزنا وإنما عدم النظر إلى امرأة بقصد شرير، الذي هو بداية السقوط في الزنا الخ...

كذلك أعطانا إمكانية التنفيذ ففي القديم أعلنت الوصية أو الناموس عجز الإنسان تمامًا عن تقديس ذاته وتبريره، فجاء السيِّد المسيح ليعطينا نعمة الروح القدس القادر على تقديس نفوسنا وأجسادنا، فتصير الوصية التي كانت مستحيلة هي قانون إنساننا الجديد.

رقم عشرة:

يُشير رقم ١٠ إلى الكمال على الأرض، فقد شبَّه العالم كله بعشر عذارى (مت ٢٥: ١)، وبعشرة عبيد لله أعطاهم عشرة أمناء ليتاجروا فيها (لو ١٩: ١٣). وشُبهت الكنيسة بامرأة لها عشرة دراهم (لو ١٥: ٨)، وقد جاءت وصية العشور مفترضة أن الإنسان يملك عشر وحدات هو كل ماله، يقدم جزء منه (١ ÷ ١٠) لله[١]...

أخيرًا إذ أتكلم عن الوصايا العشر فإني أعمل كل الجهد على الاختصار، راجيًا الرجوع إلى كتاب "الوصايا العشر في المفهوم المسيحي" لقداسة البابا شنودة الثالث.

٤. الوصية الأولى: لا تكن لك آلهة أخرى أمامي

تبدأ الوصايا العشرة هكذا: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي... لأني أنا الرب إلهك إله غيور" [٢-٥].

في قوله: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" لا يعني وجود آلهة أخرى، إنما يحذر شعبه من السقوط في التعبد لآلهة الوثنيين مع عبادتهم لله. ويرى **القديس أثناسيوس الرسولي** [أن الله أعطانا هذه الوصية لكي يسحب البشر بعيدًا عن التخيلات الخاطئة غير العاقلة الخاصة بعبادة الأوثان... ليس كما لو كانت هناك آلهة أخرى يمنعهم عنها، وإنما أوصى بذلك لئلاَّ ينحرفوا عن الله الحقيقي ويقيموا لأنفسهم آلهة مما لا شيء، كما فعل الشعراء والكتّاب[٢]].

إن كنا الآن لا نتعرض لعبادة الأوثان، لكن الله يُحذرنا من الآلهة الأخرى التي تملك في القلب كمن يحب العالم أو الكرامة أو مديح الناس أو الشهوات... وهناك "الذين آلهتهم بطونهم" (في ٣: ١٩).

---

[١] راجع كتاب البابا شنودة الثالث: الوصايا العشر في المفهوم المسيحي، صفحة ٧، ٨.

[2] *St. Athan. Contra Gentes.*

إنه يُريدنا أن نحبه ليملك على القلب تمامًا، ليس لأنه يُريد أن يستعبدنا أو يذلنا، وإنما لأنه "إله غيور"... لذلك أصر أن يصف نفسه هكذا "أنا الرب إلهك إله غيور". وقد علق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذه العبارة قائلاً: [قال الله هذا لكي نتعلم شدة حبه. فلنحبه كما يُحبنا هو، فقدم ذخيرة حب كهذه. فإننا إن تركناه يبقى يدعونا إليه، وإن لم نتغير يؤدبنا بغضبه، ليس من أجل التأديب في ذاته. أُنظر ماذا قال في حزقيال عن المدينة محبوبته التي احتقرته: "هأنذا أجمع جميع محبيك ضدك، وأسلمك ليدهم فيرجمونك بالحجارة ويذبحونك، فتنصرف غيرتي عنك، فأسكن ولا أغضب بعد" (راجع حز ١٦: ٣٧-٤٢). ماذا يمكن أن يقال أكثر من هذا بواسطة محب متقد احتقرته محبوبته، ومع هذا يعود ويحبها مرة أخرى بحرارة؟! لقد فعل الله كل شيء لكي نحبه، حتى أنه لم يشفق على ابنه من أجل أن نحبه، ومع هذا فنحن متراخون وشرسون[1].

ويعلق **العلامة أوريجينوس** على نفس العبارة قائلاً: [انظروا محبة الله، فإنه يحتمل ضعفات البشر لكي يعلمنا ويدخل بنا إلى الكمال... كل امرأة مرتبطة برجلها تخضع له وإلاَّ صارت زانية، تبحث عن الحرية لكي تخطئ. ومن يذهب إلى زانية يعرف أنه يدخل إلى امرأة زانية تُسلم نفسها لكل من يَقْدم إليها، لذا فهو لا يغضب إن رأى آخرين عندها. أما المتزوج شرعيًا فلا يحتمل أن يرى زوجته تُخطئ، وإنما يعمل دائبًا على ضبط طهارة زواجه، ليتأكد أنه الأب الشرعي (للطفل ثمرة زواجه). إن فهمت هذا المثل تستطيع أن تقول أن النفس تتنجس مع الشياطين والأحباء الآخرين الكثيرين، فعادة يدخل عندها روح الزنا، وعند خروجه يدخل روح البخل ثم روح الكبرياء ثم روح الغضب ومحبة الزينة والمجد الباطل، ويدخل آخرون كثيرون يزنون مع النفس الخائنة دون أن يَغيّر أحدهم من الآخر... ولا يطرد الواحد الآخر، بل بالعكس كل منهم يقدم الآخر... وكما رأينا الروح الشرير الذي يقول عنه الإنجيل: "إن خرج من إنسان يرجع ومعه سبعة أرواح أشر منه" (يو ١١: ٢٤-٢٦)، ويسكن هذه النفس. هكذا لا يغير الواحد الآخر في النفس التي تبيع ذاتها للزنا مع الشياطين.

أما إن اتحدت النفس مع زوج شرعي، العريس الذي يخطبه بولس للنفوس، قائلاً: "إني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١: ٢)، هذا الزواج تكلم عنه الإنجيل قائلاً: "إن ملكًا صنع عرسًا لابنه" (مت ٢٢: ٢)، تهب النفس ذاتها له وترتبط به شرعيًا، حتى وإن كانت في ماضيها خاطئة وسلكت كزانية، لكنها متى ارتبطت به تتعهد ألاَّ تخطئ مرة أخرى. **النفس التي اختارته عريسًا لها لا يحتمل أن تلهو مع الزناة.** وهو أيضًا يَغيّر عليها، ويدافع عن طهارة حياته الزوجية.

---

[1] *St. Chrys. In Rom, hom 23.*

يُدعى الله "إلهًا غيورًا"، لأنه لا يحتمل أن ترتبط النفس التي وهبت ذاتها له بالشياطين...

إن كنا قد عرفناه بعد ما استنرنا بكلماته الإلهية ونلنا المعمودية، بعد الاعتراف بالإيمان، والارتباط بمثل هذه الأسرار العظيمة فإنه لا يريدنا أن نخطئ أيضًا، ولا يحتمل أن يرى النفوس التي دُعيَ لها عريسًا وزوجًا أن تلهو مع الشياطين، وتزني مع الأرواح النجسة، وتتمرغ في حمأة الإثم. وإن حدثت هذه المصيبة، فعلى الأقل يريدها أن ترجع وتتوب.

هذا نوع جديد من محبته لنا: أن يقبل النفس التي ترجع إليه بعد الزنا وقد تابت بكل قلبها كقول النبي: "إذا طلّق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر، فهل يرجع إليها بعد؟! ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة. أما أنت فقد زنيت بأصحاب كثيرين، لكن ارجعي إليّ يقول الرب" (إر ٣: ١). ثم يقول: "انطلقت إلى كل جبل عالٍ إلى كل شجرة خضراء وزنيت هناك فقلت بعدما فعلتِ كل هذه ارجعي إليّ فلم ترجع" (إر ٣: ٧).

إذن الله الغيور، يبحث عنك ويشتهي أن ترتبط نفسك به ويحفظك من الخطية ويقوِّمك ويؤدبك ويغضب عليك... والخلاصة إن كان يستخدم إتجاهك نوعًا من الغيّرة فتيقن أنه بالنسبة لك هو رجاء خلاصك[1].

أخيرًا فإن هذا الحب الزوجي الذي يربط النفس بعريسها قد سحب قلوب الخطاة والزناة للتوبة، كما شد قلوب الكثيرين لحياة البتولية والرهبنة، إذ رأوا في العريس السماوي ما يشبع القلب بفيض. وقد احتل هذا "الحب" مركز الصدارة في الكتابات الآبائية الروحية.

٥. الوصية الثانية: لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا

جاءت الوصية هكذا: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور" [٤-٥]. وقد سبق أن تحدثنا عن هذه الوصية في كثير من التوسع[٢]، وقلنا أن الكنيسة ملتزمة بلا شك بتنفيذ هذه الوصية، لكنها تحفظ روح الوصية لا حرفها، لأن الحرف يقتل وأما الروح فيحييّ (٢ كو ٣: ٦).

روح الوصية هو وقف تسلل العبادة الوثنية إلى الشعب وليس منع استخدام الصور في ذاتها، فقد عرف الشعب اليهودي بتعرضه للسقوط في نوعين من الانحراف الوثني:

---

[1] *In Exod, hom 8: 5.*

[٢] المؤلف: الكنيسة بيت الله، ١٩٧٩، صفحة ١٧١-١٧٩.

أ. الامتثال بالوثنيين المحيطين بهم، كما سقط سليمان الملك في عبادة الآلهة الغريبة عندما تزوج بوثنيات.

ب. الخلط بين العبادة الوثنية وعبادة الله الحيّ، كما يظهر من عبادتهم للعجل بقصد التعبد لله الحيّ خلال هذا العمل الرمزي (خر ٣٢: ٥).

هذا من جانب ومن جانب آخر، كما يقول **الأب يوحنا الدمشقي:** [إن منع الصور في العهد القديم قام جوهريًا على عجز الشعب اليهودي عن التمييز بين العبادة *Lateria* الخاصة بالله وحده والتكريم *Probynesis* الذي يمكن تقديمه لغير الله[1]].

ويظهر ذلك بوضوح من أمر الله لشعبه قديمًا بإقامة صورًا معينة هو حددها، لا كحليّ يتزين بها بيت الرب، وإنما كجزء حيّ في الطقس التعبدي. فخيمة الاجتماع نفسها والهيكل فيما بعد جاء برسم إلهي، أيقونة مبدعة تصور السمويات (عب ٨: ٥؛ خر ٢٥: ٤٠)، كما احتويا صورًا مثل تمثاليّ الكاروبين على غطاء تابوت العهد... وكان موسى وجميع الشعب يسجدون أمام التابوت، والرب يتكلم معهم من بين الكاروبين (عد ١٠: ٣٥-٣٦؛ خر ٢٥: ٢٢). هذا وكان الشاروب مصورًا على حجاب خيمة الاجتماع بين قدس الأقداس والقدس. كما صارت صورة الكاروب وحدة فنية متكررة منقوشة على حوائط الهيكل، وعلى مصراعيّ الباب (١ مل ٦: ٢٧-٢٩، ٣٢؛ ٢ أي ٣: ٧) دلالة على حلول الله في بيته المقدس.

أمر الله موسى أن يعمل تمثالاً من النحاس لحيّة محرقة (نارية) يضعها على عمود في البرية لتكون سرّ شفاء لكل من ينظر إليها (عد ٢١: ٨-٩).

إذن الله لم يمنع الأيقونات والتماثيل إلاَّ من حيث الخوف عليهم من السقوط في الانحرافات الوثنية. لكن إذ زال هذا الخوف صارت الأيقونات تقوم بدور تعليمي بكونها لغة جامعة يفهمها كل إنسان أيًا كان جنسه، ودور روحي... في ذلك يقول **الأب يوحنا الدمشقي:** [إن سألك وثني أن تعرفه عن إيمانك فخذه إلى الكنيسة وأقمه أمام الأيقونات]. كما كتب **البابا غريغوريوس الكبير** رسالة إلى سيرينوس أسقف مرسيليا الذي أمر بتحطيم الأيقونات لكي يمنع ما رآه عملاً شريرًا، جاء فيها: [نمى إلى علمنا إنكم حطمتم صور قديسين في غيرة لا يمكن تصورها، وقد بررتم هذا على أساس أنه لا يجوز عبادة الصور.

منعكم عبادتها أمر يستحق المديح.

[1] *John Damascene: On Icons.*

أما تحطيمكم لها فهذا تُلامون عليه.

التعبد للصورة شيء واستخدامها لاستذكار موضوعها شيء آخر. فإن الرسم بالنسبة للأُمِّي كالكتابة للمتعلم. تستخدم الرسومات في الكنائس حتى يقدر على الأقل الأُمِّيون أن يقرءوا خلال تطلعهم إلى الحوائط ما لا يستطيعون قراءته في الكتب].

يقول **الأب يوحنا من كرونستادت:** [الأيقونات في البيوت والكنائس ليست قطعًا فنية للعرض أو الزينة، وإنما هي معين لنا في تحقيق حياة الصلاة خلال المنظورات].

ويقول **الأب ليونتيوس:** [كما أنك في تكريمك لكتاب الشريعة لا تنحني لمادة الجلد أو الحبر بل لأقوال الله الواردة فيه، هكذا إذ أكرِّم أيقونة المسيح لا أقدم الكرامة للخشب والرسم، حاشا![1]...

أفتقد ذنب الآباء في الأبناء

يرتعب البعض إذ يسمعون الرب يقول: "أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء" [٥]، قائلين: وما ذنب الأبناء ليحملوا أجرة ما فعله آباؤهم؟

نجيب على ذلك بالآتي:

أولاً: نحن لا ننكر أن الأبناء يحملون ثمار أخطاء آبائهم، فالجنين الذي يتغذى طوال فترة الحمل على دم أم غضوب وثائرة يحمل ثمرة هذا الغضب في صحته الجسدية والنفسية، فغالبًا ما يخرج حاملاً بعض الأمراض الجسدية والطبائع الفظة... لكن الله أكد لنا أنه لا يجازي الإنسان على أخطاء والديه، فكثيرون ممن لهم الطبائع الحارة بالتوبة صاروا قديسين فنالوا بركة أعظم مما لغيرهم.

أكد الله هذا الأمر على لسان إرميا النبي القائل: "في تلك الأيام لا يقولون بعد الآباء أكلوا حصرمًا، وأسنان الأبناء ضرست؛ بل كل واحد يموت بذنبه؛ كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه" (إر ٣١: ٢٩-٣٠).

وشرح حزقيال هذا الأمر بأكثر وضوح، قائلاً: "وكان إليَّ كلام الرب قائلاً: ما بالكم تضربون هذا المثل... قائلين: الآباء أكلوا الحصرم، وأسنان الأبناء ضرست. حيّ أنا يقول السيِّد الرب، لا يكون لكم من بعد أن تضربوا هذا المثل في إسرائيل. ها كل النفوس هي ليّ. نفس الأب كنفس الابن، كلاهما ليّ. النفس التي تخطئ هي تموت... الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. برّ البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون" (حز ١٨: ١-٢٥).

[1] لدراسة الأيقونات راجع كتابنا: الكنيسة بيت الله صفحة ١٦٧-٣٠٠.

ثانيًا: كلمات الرب لا تعني أن الله ينتقم لنفسه في الأبناء عما فعله آباؤهم... لكنه يريد أن يؤكد طول أناته، فإنه يترك الأشرار للتوبة سنة فأخرى، وجيلاً فآخر، وإذ يصمم الإنسان على عمل الشر يؤدب في الجيل الثالث أو الرابع ليس من أجل خطايا آبائهم لكن من أجل إصرار الأبناء على السلوك الشرير بمنهج آبائهم.

في هذا يقول **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم:** [ليس معنى هذا أن إنسانًا يتحمل عقوبة جرائم ارتكبها غيره، ولكن مادام هذا الإنسان يرتكب خطايا كثيرة ولم ينصلح حاله، إنما يرتكب ما فعله آباؤه، فبعدل يستحق العقاب أيضًا[1].]

ويقول **القدِّيس أغسطينوس:** [من تغير حاله في المسيح كفّ عن أن يكون ابنًا للأب الشرير، إذ لم يعد يمتثل بشره، بهذا لا تفتقد شرور آبائه فيه[2].]

بهذا إذ قال اليهود: "دمه علينا وعلى أولادنا" صدقوا، إذ يتحمل أبناؤهم هذا الدم الذي سفكه آباؤهم ماداموا مُصرِّين على جحد هذا الدم، أما إن قبلوا المخلص فإنهم لا يعودوا أولادًا لسافكي دم المسيح بل أولادًا لله.

٦. الوصية الثالثة: لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً[3]

الوصيتان الأولى والثانية خاصَّتان بعبادة الله الحيّ بعيدًا عن كل انحراف وثني، أما الوصية الثالثة فتخص "اسم الله".

إذ خشى الله على شعبه أن يُقسموا بأسماء آلهة أخرى أعطاهم الرب أن يحلفوا باسمه، إعلانًا لاسم إلههم وتمييزًا لهم (تث ٦: ١٣؛ ١٠: ٢٠؛ إش ٤٨: ١؛ مز ٦٣: ١)؛ كما أمرهم: "لا تدخلوا إلى هؤلاء الشعوب... ولا تذكروا اسم آلهتهم، ولا تحلفوا بها، ولا تعبدوها ولا تسجدوا لها" (يش ٢٣: ٧).

وقد اشترط عليهم ألاَّ يحلفوا باسم الرب كذبًا (لا ١٩: ١٢)، وأن يوفرا ما قد حلفوا به باسم الرب.

هذا بالنسبة للقسَم، أما بالنسبة لترديد اسم الله، فقد طلب منهم أن لا يرددونه باطلاً، أي بلا سبب جوهري، فإن اسمه قدوس (لو ١: ٤٩)، مهوب (مز ١١١: ٩)، عظيم بين الأمم (مل ١: ١١)، عجيب في الأرض كلها (مز ٨: ٩)... علينا أن نهابه ونوقِّره، لا ننطق به إلاَّ في خشوع وبكل

---

[1] *In Mat, hom 74: 2.*
[2] *On Ps. 109.*

[3] البابا شنودة الثالث: الوصايا العشر في المفهوم المسيحي، الوصية الثالثة.

إجلال، فقد أمرنا موسى النبي قائلاً: "لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب، الرب إلهك" (تث ٢٨: ٥٨)، موضوع حبنا وشبعنا وصلواتنا: "باسمك أرفع يدي، فتشبع نفسي كما من لحم ودسم" (مز ٦٣: ٤)، "محبوب هو اسمك يا رب، فهو طول النهار تلاوتي" (مز ١١٩: ٩٧)...

أما في العهد الجديد فقد بلغ المؤمن إلى النضوج الروحي فيليق ألاَّ يحلف البتة كقول السيِّد: "ليكن كلامكم نعم نعم لا لا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير" (مت ٥: ٣٧). وعرفنا اسم السيِّد المسيح المخلص، "فكل من يدعو باسم الرب يخلص" (رو ١٠: ١٣)، ومن أجل اسمه نحتمل بصبر ولا نكل (رؤ ٢: ٣)، ومن أجله نُهان فنفرح ونُسرّ (أع ٥: ١٤)، وباسمه تخرج الشياطين (مر ١٦: ١٧)، وتجرى آيات وعجائبها (أع ٤: ٢٩-٣٠).

٧. الوصية الرابعة: تقديس يوم السبت

سبق أن تحدثنا عن هذه الوصية بشيء من التوسع، لذا أرجو الرجوع إلى هذا البحث منعًا من التكرار[١].

قلنا إنها وصية أبدية تلتزم الكنيسة بتنفيذها، بالدخول إلى "السبت" الحقيقي، أي "الراحة"، التي صارت لنا خلال قيامة السيِّد المسيح، فإن كان الله قد استراح في اليوم السابع بعد نهاية عمل الخليقة، صارت راحتنا ببداية الخليقة الجديدة التي صارت لنا بقيامتنا مع السيِّد المسيح. وفيما يلي بعض أقوال الآباء في هذا الشأن:

❖ نحن نحفظ اليوم الثامن بفرح، اليوم الذي فيه قام الرب من الأموات، ليعلن عن نفسه أنه يصعد إلى السموات.

رسالة برنابا (القرن الثاني)[٢]

❖ أعطانا اليوم السابع راحة بسبب تعب الحياة، إذ لنا جسد يحتاج إلى راحة، أما الله فلا يتعب ولا يمسه ألم ولا عوز.

❖ إننا نتمسك بالسبت الروحي (الأحد)، حتى مجيء المخلص، إذ استرحنا من الخطية.

القدِّيس إكليمنضس السكندري[٣]

---

[١] المسيح في سفر الإفخارستيا ١٩٧٣م، صفحة ١١٥-١٣٦.

[2] *Epis. Of Barnabas. 15.*

[3] *Strom 6: 16; hib. Of Frs. Of the Church, vol. 43.*

❖ الذين يعيشون حسب التدبير القديم الخاص بالأمور المستقبلة لا يحفظون السبت بل يحفظون يوم الرب، اليوم الذي فيه قامت حياتنا بواسطة المسيح بموته.

القدِّيس أغناطيوس[1]

يقول **القدِّيس باسيليوس الكبير**: [إن أمورًا كثيرة تسلمناها من التقليد الذي وضعه الرسل بجانب التعاليم المكتوبة من بينها تقديس اليوم الأول (الأحد) من الأسبوع. فقد اعتاد السيِّد المسيح أن يلتقي بتلاميذه – بعد قيامته – في اليوم الأول من الأسبوع (يو ٢٠: ١٩؛ لو ٢٤؛ يو ٢٠: ٢٦). وكان هذا اليوم هو يوم العبادة الجماعية للكنيسة في عصر الرسل (١ كو ١٦: ٢؛ أع ٢٠: ٧).

٨. الوصية الخامسة: إكرام الوالدين

وضع الرب إكرام الوالدين في مقدمة الوصايا الخاصة بعلاقتنا بالآخرين، فيأمرنا بإكرامنا لهما قبل أن يوصينا "لا تقتل" أو "لا تزنِ" الخ... وهي الوصية الوحيدة والمقترنة بمكافأة أو وعد (أف ٦: ٢). وكانت الشريعة صارمة على من يكسر هذه الوصية: "من ضرب أباه أو أمه يُقتل قتلاً... ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلاً" (خر ٢١: ١٥–١٧). من يعاند ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه يرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت (تث ٢١: ١٨–٢١). ومن يستخف بأبيه أو أمه يصير تحت اللعنة (تث ٢٧: ١٦).

يبدو أن اليهود استغلوا هذه الوصايا فأساء البعض التصرف في معاملة أولاده، إذ أرادوا الطاعة المطلقة بلا اعتبار لنفسية الأولاد وشخصياتهم. فجاء السيِّد المسيح ليكشف المفاهيم العميقة لهذه الوصية، ففي الوقت الذي فيه كان السيِّد خاضعًا للقديسة مريم والقدِّيس يوسف (لو ٢: ٥١)، هذا الذي تخضع له كل القوات السماوية (في ٢: ١٠)، واهتم بأمه وهو على الصليب مشغولاً بخلاص العالم كله وساقطًا تحت الآلام، مسلمًا إيَّاها لتلميذه القدِّيس يوحنا (يو ١٩: ٢٧)... إذ به يضع مفهومًا جديدًا لهذه الطاعة وذلك عندما عاتبته أمه قائلة: "يا بنيّ لماذا فعلت بنا هكذا؟! هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين" (لو ٢: ٤٨–٤٩)، أجابها: "لماذا كنتما تطلبانني؟! ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي!" (لو ٢: ٤٩)... ويعلق الإنجيلي على هذه الإجابة قائلاً: "فلم يفهما الكلام الذي قاله لهما" (لو ٢: ٥٠).

[1] *Magnes 5: 1.*

إجابة السيِّد المسيح كانت أشبه بثورة في عالم الطفولة، إذ أعطى للأبناء حق التفاهم مع الوالدين، والطاعة في الرب (أف ٦: ١)، وليس الطاعة المطلقة كما فهمها اليهود، وكما كانت البشرية في ذلك الحين تفهمها.

هذا المفهوم الإنجيلي امتد للطاعة للأب الروحي، إذ يقول الرسول بولس: "إن بشرناكم نحن أو ملاك من السما بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما" (غل ١: ٨)، معطيًا لأولاده الروحيين حق عدم الطاعة إن كانت ليست في الرب.

يتحدث **القدِّيس جيروم** عن الطاعة في الرب، قائلاً: [تقول الوصية "إكرم أباك" لكن فقط إن كان لا يفصلك عن أبيك الحقيقي. تذكر رباط الدم، ما دام والدك يعرف خالقه، أما إذا لم يفعل ذلك فسيرنم لك داود قائلاً: "اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي سمعك. انسي شعبك وبيت أبيك، فإن الملك اشتهى حسنك فهو ربك" (مز ٤٤: ١٠-١١). ففي هذه الحالة تكون المكافأة عظيمة لنسيانك الوالد إذ "اشتهى الملك حسنك"[1].

أما مفهوم إكرام الوالدين فمتسع، يشمل الطاعة والخضوع وقد ضرب اسحق مثلاً حيًا لطاعة أبيه إبراهيم الذي أراد أن يقدمه ذبيحة للرب كأمر الله له؛ وأيضًا المحبة والاحترام ونرى في سليمان الحكيم مثلاً حيًا، إذ جاءته والدته "قام الملك للقائها وسجد لها وجلس على كرسيه ووضع كرسيًا لأم الملك فجلست عن يمينه" (١ مل ٢: ١٩)، والنجاح أيضًا نوع من إكرام الوالدين، إذ يقول الكتاب: "الابن الحكيم يسُر أباه، والابن الجاهل حزن أمه" (أم ١٠: ١). الإعالة هي تكريم عملي للوالدين، وكما يقول **القدِّيس جيروم**: [لا تفسر التكريم في كلمات مجردة... بل مدهم باحتياجاتهم الضرورية للحياة. لقد أمر الرب بإعالة الوالدين المحتاجين بواسطة أولادهم، وفاءً لأعمالهم الحسنة التي قدمت للأولاد في طفولتهم[2]]. وقد وبّخ السيِّد المسيح الفريسيين الذين وضعوا تقليدًا يخالف كلمة الله، فقد سمحوا للأبناء أن يقدموا ما يحتاج إليه الوالدان إلى الخزينة في الهيكل لحساب الفقراء، فإن سألهم الوالدان شيئًا يقولون: "قربان" (مت ١٥: ٤)! فأبطلوا وصية الرب بتقليدهم الشرير[3].

أخيرًا إن كانت هذه الوصية حملت إكرام الوالدين حسب الجسد، والآباء الروحيين فبالأولى جدًا تنفيذها على الأبوين الروحيين يكون الله أبونا والكنيسة هي أمنا. ويرى **القدِّيس إكليمنضس السكندري** أن الأبوين هنا هما الله بكونه أب ورب لنا، والأم هي المعرفة الحقة والحكمة التي تلد الأبرار[4].

---

[1] *Ep. 54: 3.*
[2] *Ep. 123: 6.*
[3] *Origen: Comm. Matt 9: 9.*
[4] *Strom 6: 16.*

٩. الوصية السادسة: عدم القتل

لا يطيق الله أن يرى الدم البريء مسفوكًا بلا ذنب، إذ يقول لقايين: "صوت دم أخيك صارخ من الأرض" (تك ٤: ١١)، ولا يحتمل حتى سفك دم الشرير، إذ يقول: "كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده" (تك ٤: ١٤-١٥). تظهر كراهيته لسفك الدم قوله لداود النبي المحبوب لديه: "قد سفكت دمًا كثيرًا وعملت حروبًا عظيمة، فلا تبني بيتًا لاسمي" (أي ٢٢: ٨).

الله الذي أوصى بعدم القتل صرح به بالنسبة للزناة (لا ٢٠: ١٠-١٦)، وللقاتل نفسه (خر ٢١: ١٤)، ولضارب أبيه أو أمه أو شاتمهما (خر ٢١: ١٥، ١٧)، ولكاسر يوم السبت (خر ٣١: ١٥)، والمجدف على اسم الرب (لا ٢٤: ١٦)... وأمر به في بعض الحروب مع الوثنيين. كان هذا كله يناسب العهد القديم، إذ لم يكن يستطيع الإنسان أن يميز بين الخاطئ والخطية، وعابد الأوثان وعبادة الأوثان، فبالقتل أراد أن يؤكد رفضه التام للخطية وعبادة الأوثان التي للأمم. أما في العهد الجديد، إذ دخل المؤمنون إلى النضوج الروحي لم يعد القتل عقوبة للخاطئ، إنما يلزم خلاصه من الخطية علة موته.

والقتل لا يعني مجرد سفك الدم، فهناك من يقتل بلسانه كقول الكتاب: "لسانهم سيف قتّال" (إر ٩: ٨)، "ألين من الزيت كلماته وهي سيف مسلول" (مز ٥٥: ٢١). وهناك قتل بالنيَّة: "كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس" (١ يو ٣: ١٥). وهناك قتل بالمسئولية كمن يترك إنسان ثوره النطَّاح ينطح آخر فيقتله (خر ٢١: ٢٨-٢٩). وهناك قتل للروح كقول الكتاب "الحرف يقتل" (٢ كو ٣: ٦). وقد اعتبر **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري** المبتدعين أشر من القتلة، إذ يقول: [القتل هو هلاك أكيد، فمن يرغب في استبعاد التعليم الحقيقي الخاص بالله والخلود... أكثر ضررًا من القاتل[1].]

١٠. الوصية السابعة: عدم الزنا[2]

يقول الرسول: "اهربوا من الزنا؟ كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، لكن الذي يزني يخطئ إلى جسده" (١ كو ٦: ١٨).

بالزنا نسيء إلى أجسادنا التي هي أعضاء المسيح (١ كو ٦: ١٥)، والتي هي هيكل الروح القدس (١ كو ٦: ١٩).

---

[1] *Strom 6: 16.*

[2] البابا شنودة الثالث: الوصايا العشر في المفهوم المسيحي، الوصية السابعة.

ليست خطية بشعة يكرهها الله مثل الزنا، حتى دعيت في الكتاب "نجاسة" (٢ بط ٢: ١٠)، بها تتنجس النساء (خر ١٨: ١١)، وينجس الرجل جسده (٢ بط ٢: ١٠). وتتنجس ثيابه (رؤ ٣: ٤)، وينجسون الأرض (إر ٣: ٦-٩).

من فرط بشاعتها دعيت عبادة الأوثان زنًا (إر ٣: ٦-٩)، وبسببها عاقب الرب الأرض بالطوفان (تك ٦: ١-٢)، وحرق سدوم وعمورة (تك ١٩: ٢٤-٢٥)، وكاد يفنى سبط بنيامين كله (قض ٢٠)، وقدم الرسول بولس تأديبًا قاسيًا حتى كاد الزاني أن يُبتلع من الحزن المفرط (١ كو ٥: ٣، ٥)، واعتبرها الرب السبب الوحيد لحل رباط الزوجية المقدس (مت ٥).

وأراد السيِّد المسيح أن يحفظنا منها تمامًا فأوصانا ألاَّ نتطلع إلى امرأة لنشتهيها، وكأنه أراد أن يغلق الباب من بداية الطريق.

وجاءت القوانين الكنسية صارمة في هذا الأمر فعاقب الكاهن الذي يسقط فيها بالحرمان من عمله الكهنوتي كل أيام حياته.

ويرى **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري** أن للزنا مفهوم أوسع من المعنى الدارج إذ يقول: [من يترك المعرفة الكنسية الحقيقية والإيمان بالله ويَجري وراء باطله فهو يزني...][1].

وقد كتب الآباء كثيرًا عن حياة العفة والطهارة سواء بالنسبة للمتزوجين أو البتوليين[2].

١١. الوصية الثامنة: عدم السرقة

ليست السرقة هي أخذ مال الغير بل سلبه، فالتلاميذ لما جاعوا قطفوا السنابل من الحقل، والشريعة تقول: "إذا دخلت كرم صاحبك فكلْ عنبًا حسب شهوة نفسك، شبعتك، ولكن في وعائك لا تجعل. إذا دخلت زرع صاحبك، فاقطف سنابل بيدك، ولكن منجلاً لا ترفع على زرع صاحبك" (تث ٢٣: ٢٤-٢٥).

اعتُبر اتهام يعقوب بسرقة آلهة لابان أمرًا بشعًا (تك ٣١: ٣٠، ٣٢)، وأيضًا اتهام إخوة يوسف بسرقة الكأس (تك ٤٤: ٧-٩).

---

[1] *Strom 6: 16.*

[2] سبق لي ترجمة كتاب "العفة" للقدِّيس أغسطينوس، كما تحدثت عن العفة والطهارة في حياة الشاب في كتاب "إليك يا أخي الشاب"، وأيضًا في كتاب "الحب، مفهومه ودرجاته".

تزداد بشاعة هذه الخطية إن كان المسروق منه محتاجًا مثل الأرملة (مر ١٢: ٤٠)، أو الإقراض بربا لمحتاج أو رهن ثياب أحد أو غطائه (خر ٢٢: ٢٥-٢٧)، أو كان الشيء المسروق من المقدسات.

اعتبر الله من يمتنع عن دفع العشور سرقة (غل ٣: ٧-١٠)!

واعتبر **القدِّيس إكليمنضس الإسكندري** أن كل من ينسب شيئًا لغير صاحبه فهو يسرق[1]، كمن يسرق أفكار الآخرين وينسبها لنفسه.

١٢. الوصية التاسعة: عدم الشهادة بالزور

الشهادة بالزور تعني الكذب، ويعتبر الشيطان "كذابًا أبو الكذاب" (يو ٨: ٤٤)، فمن يكذب يعمل أعمال أبيه الشيطان.

لما كانت الشهادة الزور لها خطورتها على الجماعة وضعت الشريعة، "على فم شاهدين أو ثلاثة تقدم كل كلمة" (تث ١٩: ١٥).

وقد اهتم الكتاب المقدس بالصمت المقدس، لأن كثرة الكلام لا تخلو من معصية، والتسرع في الحديث قد يدفع الإنسان للكذب بغير عمد.

١٣. الوصية العاشرة: لا تشتهِ

"لا تشتهِ امرأة قريبك.

ولا تشتهِ بيت قريبك، ولا حقله، ولا عبده، ولا أمَته، ولا حماره، ولا شيئًا مما لقريبك" (خر ٢٠: ١٧، تث ٥: ٢١).

هذه الوصية كشفت عن عمق الناموس، إنه أراد أن يقتل الخطية من جذرها[2]، لكن اليهود لم يفهموا.

يتساءل البعض أوصى الناموس الموسوي "لا تشته"، وأوصى العهد الجديد بذات الوصية، فما الفارق؟ أوصى الناموس لكنه لم يعط العلاج، كشف عن عجز الإنسان عن تنفيذ الوصية لكي يطلب العلاج، أما العهد الجديد فأعطانا إمكانيات التنفيذ بالروح القدس العامل فينا. في هذا يقول **القدِّيس أغسطينوس:** [يقول الناموس: لا تشتهِ، حتى أننا إذ نجد أنفسنا ساقطين في هذه الحالة المرضية

---

[1] *Strom 6: 16.*

[2] يقول القدِّيس إكليمنضس الإسكندري: [الله دائمًا يقطع جذور الخطايا بطريقة عجيبة، فإذ يقول "لا تزنِ" [١٤]، يقول أيضًا "لا تشتهِ" [١٧]، لأن الزنا هو ثمرة الشهوة التي هي جذرها الشرير.

نطلب العلاج. بهذه الوصية نعرف في أي اتجاه نهدف بجهادنا![1]. كما يقول: [بناموس الأعمال يقول لنا الله اصنعوا ما آمركم به (لا تشتهِ)، ولكن بناموس الإيمان نقول لله إعطنا ما أوصيت به[2]].

لا تقف الشهوة عند الأمور الخاصة بشهوات الجسد، وإنما شهوة الامتلاك أيضًا ومحبة المال، فيقول **القدِّيس أمبروسيوس:** [محبة المال رذيلة قديمة وعتيقة، أظهرت ذاتها حتى في إعلان الناموس، إذ جاء الناموس لكي يقمعها[3]].

١٤. خوف الشعب ورعدته

تكلمنا في الأصحاح السابق عن البروق والرعود والجبل الذي كان يدخن، كما تحدثنا عن الضباب الذي اقترب إليه موسى حيث كان الله. هنا أكتفي بتقديم مقارنة بين رعدة الشعب وخوفه أثناء استلام موسى للشريعة، ومنظر العلية في العهد الجديد حيث حل الروح القدس على الكنيسة، على لسان **القدِّيس أغسطينوس:** [في العهد القديم منع الشعب خلال الرعب الفظيع من الاقتراب من المكان الذي فيه الناموس، أما في الحالة الثانية فحلّ الروح القدس على الذين اجتمعوا معًا في انتظار عطية الله التي وعد بها. هناك عمل إصبع الله على ألواح حجرية، أما هنا فعمل في قلوب البشر. هناك أعطى الناموس ظاهريًا حتى يرتعب الأشرار، أما هنا فأعطى سرًا لكي يتبرَّروا (أع ٢: ١-٤٧). لأن هذا: "لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته، وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك، المحبة لا تصنع شرًا للقريب، فالمحبة هي تُكمل الناموس" (رو ١٣: ١٠٩). والآن هذا ليس مكتوبًا على ألواح حجرية، بل "انسكب في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو ٥: ٥). لذلك فإن المحبة هي ناموس الله... وإذ تنسكب المحبة نفسها في قلوب المؤمنين حينئذ يكون لدينا ناموس الإيمان والروح الذي يهب حياة لكي نحب[4]].

١٥. تأكيد ضد عبادة الأوثان

كما افتتح الله حديثه في الوصايا بتأكيده إنه الله الواحد الذي لا يعبدون معه آخر غيره، هكذا بعد أن ختم الوصايا حذر الرب موسى لئلاَّ ينحرف بنو إسرائيل في عبادة الأوثان...

---

[1] *On Marriage & Concupscence.*
[2] *On the Spirit & the Letter 22.*
[3] *Duties of the Clergy 2: 26.*
[4] *On the Spirit & the Letter 29.*

الأصحاحات ٢١-٢٣

الشريعة

خرج الشعب من مصر كأمة بلا خبرة، لهذا التزم الله بكل احتياجاتهم ليس فقط الخاصة بتحريرهم من بيت العبودية فحسب، وإنما برعايتهم ماديًا أيضًا إذ كان يهتم بقوتِهم اليومي، ويظلل عليهم نهارًا، وينير لهم ليلاً، كما اهتم بالتشريع لهم في أمور العبادة والحياة المدنية والأمور الجنائية بل حتى في الأمور الطبية والهندسية والزراعية. إذ أنه كشعب بدائي صار الله بالنسبة لهم الأب والقاضي والطبيب والمهندس المدني والمهندس الزراعي يتكفل بكل التزاماتهم. هذا ما سبق أن أوضحناه في الكتيب الذي سبق أن صدر عن سفر اللاويين، والذي أرجو أن أعود إليه فيما بعد بشيء من التفصيل.

١. جاءت التشريعات في الأصحاحات الثلاثة (خر ٢١-٢٣) أشبه بتطبيق عملي للوصايا العشر لتناسب الظروف التي كان يعيشها اليهود في ذلك الوقت، وهي تقدم لنا فهمًا إيمانيًا حيًا عن علاقتنا بالله، وعلاقتنا بإخوتنا بل وبالحيوان والأرض!! لهذا فنحن لا ندرس هذه الأصحاحات بطريقة تفصيلية كقوانين وشرائع، إنما نُريد أن نتعرف على النظرة الإلهية للحياة البشرية. كمثال نجد بعض القواعد التي تحكم العلاقة المتبادلة بين العبيد وسادتهم، أما الآن إذ لا يوجد عبيد لا نتجاهل هذه القواعد، لأنها تحمل روح العلاقات المتبادلة بين البشر وبعضهم البعض.

٢. في هذه القوانين ظهرت العداله واضحة، فلا محاباة لغني أو شريف، بالرغم مما كان عليه الإنسان بوجه عام في ذلك الحين، حيث انحط البعض ليضطجع مع بهيمة (٢٢: ١٩) أو يذبح لوثن (٢٢: ٢٠).

٣. لم يهتم الله فقط بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان خاصة إن كان عبدًا أو يتيمًا أو أرملة أو فقيرًا، لكنه كان يهتم حتى بعلاقته بحيوانات الحقل إذ أمره أن يعطيها يومًا كل أسبوع للراحة (٢٣: ١٢)، كما ألزمه أن يهتم بحمارعدوّه المتعثِّر (٢٣: ٥)، ويعطى الأرض راحة لمدة سنة كل سبعة سنين لتستريح ويأكل منها الفقير ووحوش البرية (٢٣: ١١).

إلى هذه الدرجة الله يهتم ليس فقط بالعبد والفقير واليتيم والأرملة والغريب، وإنما حتى بالحيوانات والأرض؟! فكم بالأحرى يكون اهتمام الله بأولاده؟!

يرى القدِّيس بولس الرسول أن هذه القوانين حملت معانٍ خفية تخص شعب الله وحياتنا الداخلية، إذ يقول: "مكتوب في ناموس موسى لا تُكمّ ثورًا دارسًا" (تث ٢٥: ٤)، ألعل الله تهمه الثيران؟! أم

يقول مطلقًا من أجلنا. إنه من أجلنا مكتوب. لأنه ينبغي للحرّاث أن يحرث على رجاء، وللدارس على الرجاء أن يكون شريكًا في رجائه..." (١ كو ٩: ٩-١٠). لهذا اهتم العلامة أوريجينوس وغيره من الآباء الرمزيين أن يبحثوا عن المعاني الخفية وراء هذه القوانين... وإذ لا يتسع المجال هنا سأُعطي بعض الأمثلة.

٤. في الوصايا العشر بدأ بالوصايا التي تخص علاقة الإنسان بالله، ثم تلاها بالوصايا الخاصة بعلاقة الإنسان بأخيه، حتى لخص السيِّد المسيح الوصايا في عبارة واحدة "تحب الله والقريب"، أما هنا فبدأ بالوصايا أو القوانين الخاصة بالقريب مثل العبيد والمقتولين والمظلومين والمديونين والغرباء والأرامل واليتامى... الخ. تلاها بعد ذلك بالوصايا الخاصة بالأعياد ثم علاقتنا بالله. فإن كانت هذه القوانين تفسيرًا للوصايا العشر، كأن الله أراد أن يوضح عدم الفصل بين وصايا خاصة بعلاقتنا بالله وأخرى خاصة بعلاقتنا بإخوتنا في البشرية، فهي تمثل وحدة واحدة، أو حياة واحدة، فلا نظن أننا نسترضي الله بالعبادة والعطاء على حساب علاقتنا بالآخرين، كما لا نظن أن معاملتنا الحسنة مع إخوتنا تكفر عن إهمالنا في العلاقة مع الله!

محتويات الشريعة

تحدثت هذه الأصحاحات عن:

١. العبد العبراني	**٢١: ١–١١.**
٢. القتل والضرب	**١٢–٣٦.**
٣. السرقة	**٢٢: ١–١٥.**
٤. الزنا	**١٦–٢٠.**
٥. الظلم	**٢١–٢٧.**
٦. السب	**٢٨.**
٧. سلب حق الله	**٢٩–٣١.**
٨. النفاق	**٢٣: ١–٣.**
٩. مساعدة الآخرين	**٤–٦.**
١٠. العدالة وعدم الرشوة	**٧–٩.**
١١. السبت وحقوق الغير	**١٠–١٣.**
١٢. الأعياد	**١٤–١٩.**
١٣. الحضرة الإلهية	**٢٠–٢٣.**
١٤. عدم مخالطة الأمم	**٢٤–٣٣.**

الأصحاح الحادي والعشرون

الشريعة (يتبع)

١. العبد العبراني ١–١١.

٢. القتل والضرب ١٢–٣٦.

١. العبد العبراني

يتحدث هذا الأصحاح عن حقوق العبد العبراني، إذ تُميز الشريعة بين العبد العبراني والعبد الغريب (الأممي). ولكي نتفهم ما ورد في الشريعة يلزمنا أن نتفهم نظرة الوثنية لنظام الرق، وما هو موقف الشريعة اليهودية؟ وما هو دور المسيحية في ذلك الشأن؟

الوثنية ونظام الرق

عرفت الشعوب الوثنية نظام الرق، يستوي في ذلك الشعوب المتخلفة مع المتحضرة كالإغريق والرومان... وقد أيَّد بعض فلاسفة العالم الوثني هذا النظام، كنظام طبيعي وضروري، وأعلن أرسطو أن جميع البرابرة (غير المتحضرين) عبيد بالمولد، ولا يصلحون إلاَّ لهذا العمل. ولم يعطِ القانون الروماني للعبيد أي حق مدني أو إنساني... إذ لا يُعاقب السيِّد أو يُحاسب إن عذب عبدًا (أو أمَة) أو قتله، أو صنع معه الفحشاء أو اغتصب منه زوجته لتكون محظيته أو لتصير عاهرة![١]

اليهودية ونظام الرق

لم يكن ممكنًا للشريعة اليهودية أن تمنع هذا النظام دفعة واحدة، لهذا التزمت بتقديم قواعد ونظم تحفظ للعبد حقه الإنساني، وتنزع عنه – إلى حد كبير– جانب الإذلالي، ليعيش كإنسان وأخ تحت ظروفه القاسية. وقد عرف اليهود نوعين من العبودية: عبودية العبرانيين، وعبودية الأمميين.

أولاً: عبودية العبرانيين

كانت تتم في أحد الظروف التالية:

أ. بسبب الفقر قد يبيع الإنسان نفسه (لا ٢٥: ٢٩)، أو أولاده (٢ مل ٤: ١).

---

[١] القمص شنودة السرياني (نيافة الأنبا يؤنس): الكيسة المسيحية في عصر الرسل، ١٩٧١، صفحة ٤١).

Schaff: History of the Christian Church, vol. 1, p. 445-6.

ب. بسبب السرقة، إن لم يكن له ما يوفي فيباع بسرقته (خر ٢٢: ٣).

ج. قد يبيع الإنسان ابنه عبدًا أو ابنته أمَة (خر ٢١: ٧، ١٧؛ نح ١٥: ٥).

د. قد يصير الإنسان عبدًا بالميلاد إذا كان والده عبدًا.

أما الحقوق التي قدمتها الشريعة للعبد العبراني والأمَة العبرانية فهي:

أ. يُعامل العبد العبراني كأخٍ، ليس في مذلة "لا تُستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك... لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد. لا تتسلط عليه بعنف، بل اخشَ إلهك" (لا ٢٥: ٣٩-٤٣). بذلك قدمت الشريعة نظرة جديدة للعبد، أنه أخْ، شريك في العبودية لله الواحد.

ب. يتمتع العبد بالعتق من العبودية في السنة السابعة من عبوديته (أي بعد ست سنوات)، أي إن صح التعبير، في السنة السبتية، سنة الراحة. هذه إشارة إلى الحرية التي صارت لنا جميعًا بمجيء الرب في السنة السبتية، أي في ملء الزمان وقدم لنا ذاته "سرّ الراحة الحقيقية"، واضعًا حدًا لعبودية الخطية. في هذا يقول "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو ٨: ٣٦).

للعبد حق الخيار أن يترك بيت سيِّده أو يطلب أن يبقى معه كل أيام حياته، فإن كان العبد يُحب سيِّده وزوجته وأولاده عليه أن يستعبد نفسه لسيِّده بمحض إرادته إلى النهاية، فيقدمه سيِّده إلى الباب ويثقب أذنه، علامة الطاعة الكاملة، كقول داود المرتل "أذني فتحت (ثقبت)" (مز ٤٠: ٦). هذا ما صنعه السيِّد المسيح الذي وهو الابن صار من أجلنا عبدًا، أحب أباه وعروسه وأولاده (أف ٥: ٢٥-٢٧)، فحمل في جسده جراحات الصليب لأجل خلاصنا. صار عبدًا لكي يرفعنا من العبودية إلى البنوة لله.

ج. في سنة اليوبيل (لا ٢٥: ٣٩-٤٠) يتحرر جميع هؤلاء العبيد حتى الذين لم يكملوا السنوات الست في خدمتهم لسادتهم، لأن اليوبيل يتم في السنة الخمسين، رمزًا لعمل الروح القدس الذي يهب الكنيسة كمال الحرية في استحقاقات دم المسيح. وبالروح القدس ننال غفران الخطايا، ونتمتع بالشركة مع الله في ابنه، ونحمل روح التبني الذي به نُنادي الله كأب لنا.

د. لا يخرج العبد فارغًا بعد تحرره، بل يأخذ معه من الغلات والقطيع ومن البَيْدر والمعصرة (لا ٢٥: ٤٣)، هكذا لم يحررنا السيِّد المسيح فحسب لكنه وهبنا غنى روحه القدوس، فننطلق حاملين بره وقداسته فينا.

هـ. يمكن للعبد أن يتزوج ابنة سيِّده (١ أي ٢: ٣٥)، كما يمكن للسيِّد أن يتزوج الأمَة أو يعطيها زوجة لابنه، ولا يحق له أن يبيع العبد العبراني أو الأمَة لسيِّد أجنبي (خر ٢١: ٧-١١)... بهذا تصير الأَمَة من أهل البيت لها كل الحقوق كأحد أفراد الأسرة. هذه صورة حيّة لعمل الله معنا الذي قدمنا نحن عبيده كعروس لابنه، فصار لنا شركة أمجاده السماوية.

و. إن أهمل السيِّد أو ابنه في حق الأمة التي تزوجها، من جهة الطعام أو الملابس أو حقوقها الزوجية تصير الأمَة حرة!

أخيرًا، فقد أُلغيت عادة العبيد العبرانيين وحُرمت بعد العودة من السبي.

ثانيًا: عبودية الأممي

غالبًا ما يكونون من أسرى الحرب (عد ٣١: ٩؛ ٢ مل ٥: ٢)، أو مشترين (تك ١٧: ٢٧؛ ٣٧: ٢٨، ٣٦؛ خر ٢٧: ١٣؛ يؤ ٣: ٦، ٨)، أو بالميلاد (تك ١٧: ١٢). لكننا لا نشتم من الكتاب المقدس ولا من التاريخ أنه وُجد سوق للرق عند اليهود[1].

قبل الشريعة الموسوية قدم لنا إبراهيم أب الآباء مثلاً حيًا في التعامل مع العبيد، فقد وضع في قلبه إن لم ينجب يترك ميراثه لأحد عبيده "أليعازر الدمشقي" (تك ١٥: ٢)، الذي جعله وكيلاً على كل أمواله. وفي زواج إسحق برفقة (تك ٢٤) ظهرت ثقة إبراهيم في عبده، وكان العبد في تصرفاته يكشف عن استحقاقه أن يكون موضع هذه الثقة.

وإذ جاءت الشريعة الموسوية قدمت للعبيد حقوقًا تحفظ لهم آدميتهم، منها:

أ. من يسرق إنسانًا ويبيعه أو يوجد في يده يقتل (خر ٢١: ١٦).

ب. جريمة قتل العبد تتساوى مع قتل الحرّ (لا ٢٤: ١٧، ٢٢).

ج. إذا فقد عبد عينه أو يده يُعتق (خر ٢١: ٢٦-٢٧).

د. أُعطت الشريعة للعبيد أن يعبدوا آلهتهم الخاصة، أي حرية العقيدة حتى وإن كانوا مخطئين، لكن من حق السيِّد العبراني أن يختن عبيده.

هـ. أعطتهم حق الاشتراك مع سادتهم في الأعياد (خر ٢٠: ١٠؛ ٢٣: ١٢).

المسيحية ونظام الرق

[1] *The New Westminster Dictionary of the Bible, p. 889.*

عالجت المسيحية مشكلة "نظام الرق" بطريقة موضوعية، إذ لم تشأ إثارة العبيد ضد سادتهم، الذين كانوا يمثلون في المملكة الرومانية نصف تعدادها، ويذكر بليني أن أحد الأثرياء الرومان يدعى كلوديوس إسيدورس في أيام أغسطس ترك بين ممتلكاته ٤١١٦ عبدًا[1]. إنما طالبت العبيد بالطاعة (أف ٦: ٥–٨؛ كو ٣: ٢٢–٢٥؛ ١ تي ٦: ١–٢؛ ١ بط ٢: ١٨–٢١)، كما أنها آمنت حتى بإمكانية تأثير العبد على سيِّده خلال الحياة المقدسة في الرب. فلا نعجب إن رأينا **القديس يوحنا الذهبي الفم** يقول لحاضري اجتماعاته: [إن كل واحد منهم يُعلِّم الذين في الخارج أنه كان في صحبة السيرافيم، فالأب يُعلم ابنه والأم ابنتها، وأيضًا العبد سيِّده].

عملت الكنيسة على إعادة العبد الهارب إلى سيده فليمون، لكي يحرره بإرادته ويعفو عنه دون ضغط أو إلزام.

لقد بدأ نظام الرق ينهار من جذوره، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية لهياج الدولة الرومانية على الكنيسة المسيحية[2]، أما سرّ انهياره فيكمن في الأسباب التالية:

أ. ألزمت الكنيسة أولادها أن يعاملوا العبيد إخوة لهم (١ كو ٧: ٢١–٢٢؛ غل ٣: ٢٨؛ كو ٣: ١١). ولا ننسى أن السيِّد المسيح قد أُسلم مقابل ثلاثين من الفضة كأنه بيع كعبد، فدخل إلى زمرة العبيد، ولم يأنف منهم بل قدّس حياة المؤمنين منهم.

ب. إن كان الرسول بولس قد ردّ العبد الهارب أنسيموس إلى سيِّده فليمون، فقد بعث معه برسالة تُعتبر أروع ما يمكن أن يُكتب من رسول بخصوص عبد هارب، إذ يلقِّبه "ابني أنسيموس، الذي ولدْته في قيودي، هو أحشائي، اقبله نظيري". كما جاء في الرسالة "لأنه ربما لأجل هذا افترق عنك إلى ساعة لكي يكون لك إلى الأبد، لا كعبد فيما بعد بل أفضل من عبد أخًا محبوبًا ولا سيما إليَّ".

ج. إذ عاش بعض السادة بروح الإنجيل التزموا بتحرير عبيدهم بواعز داخلي، دون وجود أمر صريح بذلك.

د. كثيرون ممن كانوا عبيدًا نالوا رتبًا عالية أو كرامة كنسية سامية، من هؤلاء من هم شهداء مثل بلاندينا وبابليس وفليكتاس، الذين كانت تذكرهم الكنيسة كأبطال إيمان[3]. ومن العبيد أيضًا صار

---

[1] *J. Hastings: Dictionary of the Apostolic Church, 1954, vol. 2, p. 509.*
[2] *Fr. Tadros Y. Malaty: The Coptic Church "Church of Alexandria," Melbourne, 1975, p. 77.*
[3] *Frend: Martyrdom and Persecution in the Early Church, 1965, p. 297.*

أسقف مثل أنسيموس تلميذ القديس بولس، إذ صار أسقفًا على *Borea* بمكدونية[١]؛ وكالستوس أسقف روما في القرن الثالث.

هـ. شجعت الكتابات الكنسية الأولى على انهيار هذا النظام، نذكر على سبيل المثال ما جاء في الديداكية: [لا تنتهر (بمرارة) عبدك أو أمتك اللذين يترجيان الله إلهك، لئلا يفقدا مخافة الله، الذي هو فوق الكل، وليس عنده محاباة الوجوه[٢]].

يقول **القديس إكليمنضس الإسكندري:** [العبيد هم أناس مثلنا[٣]].

ويقول **الأب لاكتانتيوس:** [العبيد ليسوا عبيدًا لنا، لكننا نحسبهم إخوة في الروح، وهم عبيد شركاء معنا في الدين[٤]].

كما جاء في كتابات **القديس أغناطيوس الأنطاكي:** [لا تحتقر العبيد، ولا تدعهم ينتفخون في كبرياء، بل بالحري يتضعون لأجل مجد الله[٥]].

واعتبر **القديس أغسطينوس** أن ظهور العبودية إنما هو ثمرة الخطية، فإن المقاصد الإلهية لا تقبل أن يملك إنسان على زميله الإنسان ويسيطر عليه[٦]. ونادى **القديس يوحنا الذهبي الفم** بذات الفكرة[٧]، حيث قال: [إن العبودية ظهرت فقط حينما سقط كنعان تحت اللعنة (تك ٩: ٢٥)].

٢. القتل والضرب

أعلنت الوصايا العشر كراهية الله للقتل، فجاءت الوصية صريحة "لا تقتل". أما الشريعة فكشفت عن تفاصيل أكثر لهذه الوصية، وربطت بين القتل والضرب المؤدي إلى إصابات مستديمة في الجسم، تتلخص في الآتي:

أ. القتل عمدًا: عقوبته قتل القاتل، ولا يمكن أن يحميه شيء، حتى إن احتمى بمذبح الرب [١٤]، ويستوى قتل الحرّ كقتل العبد [١٦]. كما جعلت الشريعة ضرب أحد الوالدين [١٥] أو سبّه [١٧] نوعًا من القتل عقوبته أيضًا القتل.

---

[١] قوانين الرسل القديسين ٧، ٤، ٤٦.

[٢] فصل ٤، (راجع للمؤلف: قانون الإيمان للرسل والديداكية ص ٣٦).

[3] *Paed. 3: 12.*
[4] *Lactantus: Instit. 5: 16.*
[5] *Epl. ad Polycar. 4.*
[6] *De Civ. Dei. 19: 15.*
[7] *In Cor., hom. 40.*

وقد حرمت الشريعة افتداء القاتل المستحق القتل بالمال، لأن دم القتيل يُدنس الأرض (عد ٣٥: ٣١-٣٤)، بهذا ساوى بين الغني والفقير، وصاحب السلطان والمحتقر.

ولا يحكم بالموت على قاتل على شهادة شاهد واحد (عد ٣٥: ٣٠)، إنما بعد ثبوت الجريمة على فم شاهدين أو ثلاثة.

ب. القتل بالمسئولية: إن أهمل إنسان في ضبط ثوره النطاح مثلاً، ثم قتل الثور إنسانًا يُقتل الثور مع صاحبه، إذا قتل ذلك الثور حيوانًا يدفع صاحبه تعويضًا لذلك [٣٦]. أما إذا لم يثبت إهمال صاحبه كأن يكون الثور غير نطاح فيقتل الثور، ويكون صاحبه بريئًا، وإذا قتل ثور إنسانًا آخرًا يُباع الثور الحيّ ويقتسم الاثنان ثمنه.

يخضع الإنسان لذات المسئولية إن حفر بئرًا وأهمل في تغطيتها [٣٣]. كذلك إن أهمل في بناء سورٍ لسطح بيته وسقط إنسان عن السطح، فيعتبر صاحب البيت كقاتل (تث ٢٢: ٨)... هكذا جعل الرب الإهمال خطية يتحمل صاحبها المسئولية.

ج. القتل مع غير العمد [١٣]: كان للقاتل في هذه الحالة الحق في الهروب من أمام وجه وليّ الدم إلى إحدى مدن الملجأ، فلا يجوز قتله مادام داخل المدينة إلى أن يموت الكاهن العظيم، حينئذ يستطيع أن يخرج من المدينة ولا يجوز قتله (عد ٣٥: ١١؛ تث ١٩: ٣؛ يش ٢: ٣). وكانت هذه المدن رمزًا للسيِّد المسيح، الملجأ الذي تلجأ إليه النفس التائبة فتحتمي فيه فلا تسقط تحت حكم الموت، أما إن خرجت عن الإيمان به وتركته فتهلك بخطيتها. وقد حدد الله مدن الملجأ وأمر بوضع علامات تُشير إليها حتى يمكن للهارب أن يهتدي بها... الأمور التي أرجو العودة إليها في دراستنا لسفر العدد.

هنا يظهر تقديس النظرة للحياة الإنسانية ضد القتل والضرب، فأمرت الشريعة بقتل القاتل عمدًا، ولا هروب لأجل ردع القتلة، وفي نفس الوقت حمت القاتل عن غير عمد لأنه بلا ذنب، إنما الله هو الذي سمح بموته، إذ يقول: "أوقع الله في يده" [١٣].

د. الضرب: تظهر نظرة الله المقدسة للحياة الإنسانية ليس فقط في عدم القتل، وإنما أيضًا في عدم احتماله أذية إنسان، أيًا كان. فإن أُصيب عبد أو أمَة إصابة مستديمة يتحرر فورًا [٢٦]، وإن حدثت أذية لإنسان حرّ فعين بعين وسن بسن ويد بيد ورجل برجل... حتى يتأدب الضارب ويتعظ الشعب كله. على أن الشريعة بهذا منعت المضروب أن ينتقم لنفسه بأكثر مما أصابه. فنحن نعلم أن الإنسان

في طبعه البدائي لا يسكت غضبه إلاَّ بانتقام أشد، لأن الضارب هو الذي ابتدأ، لكن الشريعة أرادت أن تضع له حدًا، حتى متى نضج الإنسان روحيًا يعرف كيف يقابل الشر بالخير. وقد تحدث **القديس أغسطينوس** عن خمس درجات للحب والغضب هي[1]:

الدرجة الأولى: هي رغبة الإنسان في الاعتداء على أخيه بلا سبب، كما يحدث في القبائل البدائية التي تثور على بعضها البعض في أنانية.

الدرجة الثانية: هي ألاَّ يبتدئ الإنسان بالاعتداء، وإنما إن اعتُدي عليه يرد الاعتداء مضاعفًا.

الدرجة الثالثة: هي إذا اعتُدي على الإنسان يرد الاعتداء بذات الاعتداء، ولا يتجاوزه، أي عين بعين وسن بسن ويد بيد ورجل برجل... وقد رفعت الشريعة الموسوية الإنسان عن المرحلتين السابقتين ودخلت به إلى هذه المرحلة، وهي ليست بقليلة في ذلك الوقت. إنها لا تُلزِم المضروب أن يرد العين بالعين لكن تمنعه من أن يرد العين بعينين! ليست تصريحًا برد الضرر بضرر مساوٍ له لكنها منعت من رده بضرر أكبر.

الدرجة الرابعة: رد الضرر بضرر أقل لأجل التأديب فقط.

الدرجة الخامسة: رد الضرر بالحب، ومقاومة الشر بالخير، ومعالجة المعتدي كمريض... وهذا ما رفعنا إليه السيِّد المسيح في عظته على الجبل (مت ٥: ٤٣-٤٨)، فنمتثل بالله أبينا الذي يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين.

نعود للشريعة الموسوية لنجدها تعطي المضروب حق نوال تعويض عما أصابه، فيدفع له الضارب ثمن العلاج، وأيضًا تعويضًا عن بطالته [١٨-١٩].

إجهاض امرأة بسبب رجال متخاصمين

"إذا تخاصم رجال وصدموا امرأة حبلى فسقط ولدها ولم تحصل أذية يُغرَّم كما يضع عليه زوج المرأة، ويدفع على يد قضاة. وإن حصلت أذية نفسًا بنفس، وعينًا بعين، وسنًا بسن، ويدًا بيد، ورجلاً برجل..." [٢٢-٢٥].

يُعلق **العلامة أوريجينوس** على هذا التشريع قائلاً: [المتخاصمون هم الذين يتناقشون في بعض النقط الخاصة بالناموس، مستخدمين ما تحدث عنه الرسول "مماحكات الكلام" (١ تي ٦: ٤). نحن نعلم أن هذه الخصومات كثيرة الحدوث بين الإخوة، لهذا يوصي الرسول قائلاً: "مناشدًا قدام الرب أن

[1] القديس أغسطينوس: الموعظة على الجبل.

لا يتماحكوا بالكلام، الأمر غير النافع لشيء، لهدم السامعين" (٢ تي ٢: ١٤)، "المباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها، عالمًا أنها تولِّد خصومات، وعبد الرب لا يجب أن يخاصم" (٢ تي ٢: ٢٣). فإن الذين يتخاصمون في هذه الأمور يعملون ذلك لهدم السامعين، أي يضربون المرأة الحبلى فيسقط الجنين. هذه المرأة الحبلى هي النفس التي تحبل بكلمة الله. نقرأ عن هذا الحبل في موضع "حبلنا تلدينا" (إش ٢٦: ١٨). الذين يحبلون ويلدون لا يُشبَّهون بالنساء بل بالرجال الكاملين. اسمعوا النبي يقول: "هل تمخض بلاد في يوم واحد؟ أو تولد أمَّة دفعة واحدة؟!" (إش ٦٦: ٨). هذا هو جيل الكاملين الذين يولدون في ذات اليوم الذي يحبلون فيه.

لا تظنوا إني أتحدث بشيء غريب حين أعلن أن الرجال يلدون فقد سبق أن قلت لكم بأي معنى ينبغي أن تؤخذ هذه الكلمات، متجنبين التفسير الجسدي، طالبين تفسير الإنسان الداخل...

اسمعوا أيضًا ما يقوله الرسول: "يا أولادي الذين أتمخض بهم إلى أن يتصوَّر المسيح فيهم" (غل ٤: ٩). إذن الذين يلدون بعد الحبل مباشرة. إنهم رجال أقوياء وكاملون، هؤلاء الذين يثمرون بالعمل بكلمة الإيمان التي أخذوها. أما النفس التي تحبل وتحتفظ بالثمر في داخلها ولا تلده فتُدعى امرأة، كقول النبي: "الأجنَّة دنت إلى المولد ولا قوة على الولادة" (إش ٣٧: ٣). هذه هي النفس التي تُدعى امرأة بسبب ضعفها، تتعذب وتتعثَّر عندما يتخاصم الرجال ويتضاربون. هذه هي النتيجة الحتمية للخصام، تدفع عنها كلمة الإيمان التي حبلت بها وترفضها. هذا هو الخصام الذي يؤدي إلى هدم السامعين.

إن كانت النفس التي تعثرت قد ألقت عنها الكلمة التي لم تكتمل بعد فيها، فعلى من أعثرها أن يتحمل العقاب.

أتُريد أن تعرف إن كانت هناك بعض النفوس قد تكونت فيها الكلمة أم لا؟!... يعلمنا الرسول: "حتى يتصور المسيح فيهم" (غل ٤: ١٩). المسيح هو كلمة الله. بهذا يُشير **الرسول بولس** أنه في وقت كتابته لم تكن كلمة الله قد تكونت فيهم، فإن رفضت الكلمة قبل أن تكتمل داخلها تستوجب الدينونة.

يُحدثنا **الرسول بولس** أيضًا عن عقاب المعلمين، إذ يقول: "إن احترق عمل أحد فسيخسر، أما هو فسيخلص لكن كما بنار" (١ كو ٣: ١٥). والرب نفسه يقول في الإنجيل: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟!" (مت ١٦: ١٦)[1].

[1] *In Exod, hom 10: 3.*

ويعلق **العلامة أوريجينوس** على العبارة "يُغرّمَ كما يضع عليه زوج المرأة" قائلاً: [إن زوج النفس التي تتعلم هو سيِّدها... المسيح الذي يرأس الكنيسة[1]]. هذا السيِّد يقطع المعلمين المعثرين عن جسد الكنيسة.

ماذا يعني أنه أصاب عينها أو أسنانها أو يدها أو رجلها أو أصابها بالكيّ؟... يرى **العلامة أوريجينوس** أن العين التي تُصاب لدى صغار النفوس هو إدراكها لله وبصيرتها الداخلية. أما الأسنان فتُشير إلى قدرتها على هضم كلمة الله وإدراك أسرارها والشبع بها. تُشير اليد إلى قدرة النفس على التمسك بالروحيات والتثبت فيها. أما الرجل فتُشير إلى القدرة على السير متجهًا نحو الله. أما الكيّ فتعني ما تُعانيه النفس التي تحترق بسبب حرمانها من الله. هذه هي العثرات التي يسقط فيها الصغار روحيًا بسبب المماحكات الغبية.

[1] *Ibid 10: 4.*

الأصحاح الثاني والعشرون

الشريعة (يتبع)

١. السرقة ١-١٥.

٢. الزنا ١٦-٢٠.

٣. الظلم ٢١-٢٧.

٤. السب ٢٨.

٥. سلب الله حقوقه ٢٩-٣١.

١. السرقة

اعتبر الله نفسه مسئولاً ليس فقط عن حياة الإنسان وجسده وإنما أيضًا على ممتلكاته، فكل أنانية في حياة إنسان خلالها يُريد أن يقتني لنفسه شيئًا على حساب أخيه يعتبر خطية يرتكبها الإنسان في حق الله نفسه، وقد جاءت الشريعة فيما يخص السرقة والسارق والمعتدي عليه بالسرقة غاية في المرونة بالنسبة لذلك العصر، فعلى سبيل المثال:

أ. بالنسبة للص أو السارق نفسه الذي يعرض حياته وحريته وممتلكاته للضياع إن قتل أثناء سرقته ليلاً لا يعوض عنه بدم، وإذا سرق يلزم بتعويض المعتدي عليه بالضعف إن كانت السرقة في يده، أما إن كان قد تصرف فيها بالبيع أو الذبح فيرد الثور بخمسة ثيران والشاة بأربعة من البقر، ولو باع كل ممتلكاته، أو باع نفسه عبدًا!!

مع كل هذه الصرامة كانت "حياة اللص" موضع إهتمام الله، فإن ضبط اللص يسرق وضرب في النهار حتى مات يطلب دمه من القاتل. فإن الله لا يُريد روح الإنتقام بل التأديب! أما بالليل فيفترض أن صاحب الممتلكات كان يضربه في الظلام فإن مات اللص يكون اللص هو المسئول عن نفسه!

ب. لا تقف السرقة عند السطو، ولكنها تتم أيضًا خلال الإهمال، كأن يترك إنسان ماشيته في حقله بلا أسوار فترعى في حقل غيره، أو يوقد نارًا في شوك أرضه فتلتهم محاصيل جاره، أو يأتمنه إنسان على ذهب أو فضة أو حيوان فيهمل في الحفاظ على الأمانة، وهنا يقوم القضاء بالحكم.

ج. في حالة ضياع الأمانة أو موت ماشية مودعة كأمانة أو مستعارة يكون الحكم مرنًا، حسبما يقضي القضاة، وأيضًا حسب إمكانية صاحب الوديعة، فإن كان في عوز يلتزم المودع لديه بالتعويض.

د. اعتبر الله الإنسان ملتزمًا بالمحافظة على ممتلكات جاره خاصة في غيابه، فإذ لم توجد مخازن في بنوك وتأمينات، تعاون الجماعة يسند الكل، فلا يترك إنسان حيوانًا يرعى في حقل جاره ولا يهمل في إشعال نار تلحق الضرر بمحاصيل جاره.

٢. الزنا

سبق الحديث عن جريمة الزنا في الأصحاح العشرين "الوصية السادسة". هنا يتسع مفهوم الزنا ليشمل السحر والذبح لآلهة غريبة. فمن يستخدم السحر كمعين له يكون كالزوجة التي تترك زوجها لتبحث عن آخر يعولها. والذبح للأوثان يكون كالعروس التي عوض أن تقدم حياتها ذبيحة حب لعريسها الأوحد، تسلم قلبها ذبيحة شهوة ونجاسة لآخرين.

يظن البعض خطأ أن الزنا قد حرمه الله لأجل الإساءة إلى أحد الطرفين جسديًا أو إجتماعيًا أو معنويًا أو لطرف ثالث كزوج المعتدى عليها. لكن الشريعة تكشف خطورة الزنا بكونه دنس ونجاسة لا يحتملها الله، فيأمر بقتل من يصنع شرًا مع الحيوان، لأنه يدنس نفسه وجسده بل ويدنس الأرض.

٣. الظلم

لا يحتمل الله ظلم الإنسان لأخيه، خاصة إن كان المعتدي عليه غريبًا أو أرملة أو يتيمًا أو فقيرًا. وقد منع الربا [٢٥]، لأنه لم تكن تستخدم القروض في أعمال تجارية لزيادة الدخل وإنما بسبب العوز حتى اضطر البعض أن يرهن ثوبه الذي يتغطى به... الله يريد رحمة، فلا يسمح لإنسان أن يترك ثوب أخيه رهينة لديه بعد غروب الشمس.

لقد حذرهم من الظلم وذكرهم بجانبين: أنهم ذاقوا الغربة وذلها، فكيف لا يشعرون بألم الغرباء؟! ثانيًا أنه لا يحتمل أن يسمع صرخات المتألمين والمحتاجين فيحمى غضبه على الظالمين.

٤. عدم السب

يقول: "لا تسب الله، ولا تلعن رئيسًا في شعبك" [٢٨].

تقوم الكنيسة على الإحترام المتبادل وطاعة الصغير للكبير، فالمؤمن يشعر برعاية الله وعنايته فلا يخطئ إلى الله، وأيضًا يطيع الرؤساء في الرب.

٥. سلب حقوق الله

إذ يتحدث في هذا الأصحاح عن عدم إغتصاب ممتلكات الآخرين (السرقة) وعدم ظلم الغرباء والضعفاء والمحتاجين يتحدث عن عدم سلب حقه في البكور، ليس لأن الله في عوز، لكن لأجل الفقراء والمحتاجين.

تكلمنا قبلاً عن تقديم بكور البنين (راجع أصحاح ١٣) كعلامة تقديس كل الشعب الله.

والعجيب أنه ليس فقط بالبكور حتى يجد المحتاجين كفايتهم في بيت الرب، وإنما يهتم حتى بالكلاب، فيقول: "لحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا، للكلاب تطرحونه" [٣١].

هذا من جانب ومن جانب آخر طالبنا بالتقديس له، إيجابيًا بتقديم بكورة البنين وبكورة الحيوانات والمحاصيل، وسلبيًا بالامتناع عن المحرمات والأمور الدنسة: "لحم فريسة في الصحراء لا تأكلوا". وكأن المؤمن في شركته مع الله يُجاهد في عمل الفضيلة وأيضًا في الكف عن الرذيلة، يصنع الخير ويمتنع عن الشر.

الأصحاح الثالث والعشرون

الشريعة (يتبع)

١. النفاق والعدالة ١–٣.

٢. مساعدة الآخرين والعدالة ٤–٦.

٣. الرشوة والعدالة ٧–٩.

٤. السبت وحقوق الغير ١٠–١٣.

٥. الأعياد ١٤–١٩.

٦. الحضرة الإلهية ٢٠–٢٣.

٧. عدم مخالطة الأمم ٢٤–٣٣.

١. النفاق وعدالة القضاء

اهتمت الشريعة بتقديس الجماعة كما بتقديس كل عضو فيها، فإن كان من أجل الجماعة يلزم ألاَّ يتقبل العضو خبرًا كاذبًا ولا يشترك مع المنافق في ظلمة، فإنه أيضًا من أجل تقديس نفسه لا يجري وراء الجماعة إن انحرفت [٢] ولا يتحدث بالكذب حتى لا يقتل بارًا [٧].

كما يهتم الله بالفقير لئلا يظلمه الناس لحساب الغني: "لا تحرف حق فقيرك في دعواه" [٦]، أيضًا يطالبنا في شفقتنا على الفقير لا نظلم الغني: "لا تحاب مع المسكين في دعواه" [٣].

٢. مساعدة الآخرين والعدالة

مساعدة الآخرين ليست أمرًا إختياريًا لكنها وصية إلهية إلزامية، لا تقف عند حد الإنسان، وإنما مساندة حتى حمار العدو إن وقع تحت حمله.

إن كان الإنسان – تحت شريعة الناموس – يلتزم ألاَّ يستهين بحمار عدوه إن سقط فماذا تكون بالحري مسئوليته إن أهمل في مساندة نفس عدوه أو أخيه وهو في عهد النعمة؟ وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [إن كان الأمر هكذا بالنسبة لمن يستهين بحمار عدوه، فماذا يكون بالنسبة لمن

يحتقر الحيوان المستخدم للأحمال ولا يحتقر نفس عدوه وهي تهلك إنما يستخف بنفس صديقه؟! كيف ينال غفرانًا؟![1]].

٣. الرشوة والعدالة

تحذر الشريعة من الرشوة، فإنها تُعمى بصيرة الحكماء (المبصرين) وتعوج كلام الأبرار [٨].

٤. السبت وحقوق الغير

سمعنا عن السبت في جمع المن (أصحاح ١٦)، وفي الوصايا العشر (أصحاح ٢٠)، لكنه هنا في الشريعة إذ يتحدث عن حقوق الآخرين يتكلم عن السبت من وجهة نظر جديدة، فليس السبت هنا تقديسًا لحياة الإنسان الذي فيه يذكر الله الذي استراح في اليوم السابع، ولا تذكارًا لخروجه من أرض مصر وأعمال الله معه لأجل دخوله إلى الراحة، وإنما يذكر السبت لأجل حق الآخرين عليك. فيُعطي للأرض سبتًا للراحة (السنة السابعة) فتستريح الأرض ويجد الفقراء طعامًا، وأيضًا وحوش البرية، كذلك يُعطي راحة في اليوم السابع ليس لنفسه وعائلته فحسب وإنما لإبن أمته والغريب ولثوره وحماره.

٥. الأعياد

يتحدث سفر اللاويين على الأعياد اليودية وطقوسها بأكثر تفصيل[٢]، ولكنه هنا يركز على جانب معين، هو أهميتها في الحياة الإجتماعية، فقد تحدث عن ثلاثة أعياد وتحدث عن ثلاثة أمور:

أ. يأكلون الفطير ليس فقط في عيد الفطير وإنما أيضًا في العيدين الآخرين، وكما سبق أن تحدثنا (أصحاح ١٢) أن الفطير يُشير إلى "الحياة الجديدة"، وكأن العيد هو فرصة لمراجعة الإنسان حساباته الداخلية وعلاقاته بالآخرين لئلا يكون قد ظلم أحدًا، أو تجاهل حق الفقير أو الغريب.

ب. لا يبيت شحم عيد الرب إلى الغد. هنا يقول "عيدي" [١٨]، فهو ليس عيد الإنسان، ولكنه عيد الرب فيه يفرح الله بالإنسان. ولعله قصد بهذه الوصية أن يوزع كل ما يملكه بخصوص العيد في ذلك اليوم ولا يترك شيئًا لنفسه أو لعائلته بل يعطيه للمحتاجين.

ج. تقديم البكور وقد تحدثنا عنها قبلاً.

---

[1] *Chrys: In 1 Cor, hom 44: 5.*

[٢] نتحدث عنها بأكثر تفصيل إن شاء الرب في تفسير سفر اللاويين.

الأعياد الكبرى عند اليهود هي عيد الفطير الذي لا ينفصل عن الفصح (خر ١٢: ١٣؛ لا ٢٣: ٥)، وعيد الحصاد في بدء موسم الحصاد حيث يقدمون أبكار غلاتهم (لا ٢٣: ١٥-٢٢؛ عد ٢٨: ٢٦-٣١؛ تث ١٦: ٩-١٢). وعيد الجمع في نهاية الموسم (عد ٢٩: ١٢ الخ؛ لا ٢٣: ٣٤-٤٣؛ تث ١٦: ١٣، ٤٣).

يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على وصية الشريعة: "لا يظهروا أمامي فارغين" [١٥] قائلاً: [إنها تعني ألاَّ تدخل الهيكل بلا ذبائح. فإنه لا يليق بك أن تدخل بيت الله بدون ذبائح؛ فلا تذهب الاجتماع غير مصطحب إخوتك، فإن هذه الذبيحة والتقدمة أفضل من تلك، متى قدمت لله نفسًا معك في الكنيسة[1]].

٦. الحضرة الإلهية

وتعتبر هذه هي الوصية الوداعية، إنه يرسل ملاكه أمامهم ليحفظهم في الطريق ويدخل بهم إلى الموضع الذي أعده لهم [٢٠]. هنا يتحدث عن حضور الله الذي يتنازل ليكون في وسطهم فيصير كملاك مرسل لحمايتهم وقيادتهم والدخول بهم إلى الوعود الإلهية. كلمة ملاك تعني "رسول"، أي يحمل رسالة، حينما ينزل الله إلينا إنما يحمل إلينا رسالة هي من قبله؛ وقد دعى "وجه يهوه" في (خر ٣٣: ١٥-١٦).

في هذا إشارة إلى تجسد كلمة الله ونزوله إلينا ليقودنا إلى أورشليم العليا. وكما ختمت الشريعة ووصاياها بهذا الوعد، هكذا ختم السيد حياته على الأرض بذات الوعد أنه يكون معنا إلى انقضاء الدهر. وقد دلل **القديس غريغوريوس أسقف نيصص**[2] على أنه يقصد بملاكه، الرب نفسه، إذ يقول موسى بعد قليل "فليسر السيد في وسطنا" (٣: ٩) (راجع ٣٣: ١٦) وكانت إجابة الرب "هذا الأمر الذي تكلمت عنه أفعله" (٣٣: ١٧).

٧. عدم مخالطة الأمم

هي ليست وصية مستقلة لكنها امتداد للوصية السابقة، فإن كان من الجانب الإجابي يقبلون حضرة الله في وسطهم وتسلمه قيادة حياتهم، فمن الجاني السلبي يرفضون مخالطة الأمم علامة رفضهم لآلهتم، إذ لم يكن يستطيع اليهود أن يميزوا بين الخاطئ والخطية، وبين الشعوب الأممية والحياة الوثنية.

---

[1] *Chrys: To those who had not attended the assembly, 4.*
[2] *Against Eunomius, 11: 3.*

الأصحاح الرابع والعشرون

العهد الإلهي والتحرك الكنسي

في الأصحاحات السابقة نرى تحرك الله المستمر نحو شعبه، هو الذي هيأ لهم موسى منقذًا، وهو الذي حرك قلب فرعون، وهو الذي عبر بهم البحر الأحمر وأهلك عدوهم (إبليس وجنوده) وعالهم بالمن السماوي وحوَّل مرارة المياه إلى عذوبة الخ... وأخيرًا قدم لهم وصاياه وشرائعه سندًا لهم، والآن تلتزم الكنيسة بالتحرك نحو الله وبمساندته، فقد جاء هذا الأصحاح يكشف عن العمل الكنسي في الله، والذي يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

١. الروح الجماعية

إن كان موسى "يقترب وحده إلى الرب" [٢]، والشعب لا يصعد معه، لكن الله أمر موسى أن يصعد ومعه هرون وناداب وأبيهو وسبعون من الشيوخ [١]. فالكنيسة لا تعرف الانفرادية، إنما يلزم أن تلقى القيادات الروحية بمواهبها المتعددة وأعمالها المتباينة بروح واحدة يلتقي موسى مستلم الشريعة مع هرون رئيس الكهنة وابنيه ناداب وأبيهو ممثلين للكهنة واللاويين ومع السبعين شيخًا يمثلون أراخنة الشعب. في هذا يقول الرسول: "فإنه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد، هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضًا لبعض كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النقمة المعطاة لنا. أنبوة فبالنسبة للإيمان، أم خدمة ففي الخدمة، أم المعلم ففي التعليم، أم الواعظ ففي الوعظ. المعطي فبسخاء، المدبر فباجتهاد، الراحم فبسرور" (رو ١٢: ٤-٨).

هكذا يعمل الكل معًا بروح واحد مع اختلاف المواهب، ليس لأحد يفتخر بموهبته على الآخرين، ولا يزدري أيضًا بما وهبه الرب من وزنات! ليعمل لا بروح الكبرياء ولا بصغر نفس! وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [ليتنا نأخذ هذه الأمور في اعتبارنا فلا نحسد ولا نحقد على الذين لهم مواهب أعظم، وفي نفس الوقت لا نحتقر الذين لديهم مواهب أقل[١]].

[١] المؤلف: الحب الرعوي، ١٩٦٥، صفحة ٧٧١.

٢. رباط روحي لا جسدي

لم يأخذ واحدًا من ابنيه، بل ولا سمعنا عن ابنيه أنهما تسلما مسئواية معينة، إنما أخذ معه هرون وابنيه ناداب وأبيهو [١]. هنا تظهر القيادة الروحية الحية التي تعمل من أجل الله وحده، فلا يسلم ابنيه حسب الجسد أي مسئولية هم غير قادرين عليها، لكنه إذ أمره الله أن يعمل أخوه هرون معه لم يمتنع.

ناداب هو ابن هرون البكر، واسمه يعني "كريم"، وكان أحد الذين كرسوا كهنة للرب، وأبيهو تعني "أب هو". وللأسف مات الإثنان عندما قدما نارًا غريبة أمام الرب (لا ١٠: ١؛ عد ٢٦: ٦١)، ربما لأنهما في حالة سكر، على أي الأحوال صار هذان الرجلان مثلين مرعبين لكهنة الرب، فإنهما وإن صحبا موسى وهرون مع السبعين شيخًا ورأوا الرب [٩] وتحت رجليه أمجاد سماوية، واشتركا في العمل الكهنوتي منذ بدء قيامه لكنهما حرما نفسيهما من التمتع بالله خلال تقديمهما نارًا غريبة. لهذا لا نعجب إن كان الرسول يحذرنا: "من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (١ كو ١٠: ١٢)، كما يقول: "أقمع جسدي وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضًا" (١ كو ٩: ٢٧).

٣. دور الشعب

إن كان قد صعد موسى قائد الشعب وهرون كاهنه وإبناه، والسبعون شيخًا أراخنة الشعب، لكن لا يمكن أن تقوم الحياة الكنسية على سلبية الشعب، فقبل أن يقدم موسى المحرقات وذبائح السلامة للرب وقبل أن يرش الدم على المذبح والشعب تحدث معهم عن "كل الأقوال التي تكلم بها الرب" وقبلوها بكل رضى [٣]. من أجل الشعب جاء موسى، ومن أجلهم أقيم الكهنوت والأراخنة... لذلك فلهم الكلمة الأولى والمباشرة في علاقتهم مع الله.

في الكنيسة يقوم الشعب بدور إيجابي، فلا تعرف الكنيسة القداسات السرية، وإنما يلزم إشتراك الشعب علانية مع الكهنة في الخدمة. وكما يصلي الكاهن من أجل الشعب، يطلب الشماس من الشعب أن يصلوا عن الأب البطريرك وكل طغمات الكهنوت. ويلتزم الشعب بالشهادة أو الكرازة بالإنجيل بكونهم رسالة المسيح المقروءة من جميع الناس[١].

٤. دور الفتيان

"وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران" [٥].

---

[١] بمشيئة الله سيصدر كتيب عن: دور المعلمين في الكنيسة.

ليس فقط يقوم الشعب بدور إيجابي في الحياة الكنسية، وإنما أعطى موسى إهتمامًا بالفتيان الذين أرسلوا لإصعاد محرقات وذبائح سلامة للرب. فدور الفتيان لا يقف عند الاستماع والطاعة لكنهم يحملون عملاً أساسيًا في حياة الكنيسة.

الله يطلب محرقات الحب وذبائح السلامة منك في أيام شبابك، لذا يقول الكتاب: "اذكر خالقك في أيام شبابك" (جا ١٢: ١).

٥. روح التلمذة

"قام موسى ويشوع خادمه، وصعد موسى إلى جبل الله" [١٣].

رأى **القديس أمبروسيوس** في التصاق يشوع بموسى صورة حية للتلمذة، فإن القائد الناجح هو الذي يُقدم للكنيسة تلاميذ للرب، ويعرف نجاحه بعد رحيله إن كان قد ترك من يكمل الرسالة الإلهية أم انتهى عمله برحيله.

يقول **القديس أمبروسيوس** عن يشوع: [كان ملاصقًا لموسى الطوباوي في كل موضع، وسط كل الأعمال العجيبة والأسرار الرهيبة... ما أجمل الوحدة بين الشيخ والشاب. أعطى الأول شهادة (لوحي الشريعة) وقدم الآخر راحة (أرض الموعد). قدم الواحد قيادة والآخر سعادة... أحدهما تحكم في البحر والآخر في السماء (يشوع ١٠: ١٢)[1]].

٦. العمل بروح الصلاة مع الحكمة

التصق هرون بحور[2]، فكانا يعملان معًا حين كانا يسندان يديّ موسى أثناء حرب يشوع ضد عماليق (١٧: ١٢)، وها هما يعملان الآن في القضاء لدعاوي الشعب أثناء غياب موسى.

هرون يمثل الكهنوت، أما حور فهو من سبط يهوذا جد بصلئيل الذي قال عنه موسى: "دعا الرب بصلئيل بن أوري بن حور... وملأه من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة" (خر ٣٥: ٣٠-٣١). فكأن حور يمثل الحكمة الإلهية. فإن كان موسى يبسط يديه كان يمثل الصليب، فإن هذا الصليب قام على عمل المسيح الكهنوتي وحكمة الله لخلاصنا. هنا أيضًا في غياب موسى يترك هرون وحور للقضاء في دعاوي الشعب، وكأن الكنيسة يلزمها في رعايتها للشعب أن يجتمع العمل الكهنوتي المملوء حنوًا وترفقًا مع الحكمة في التدبير.

---

[1] *St. Ambrose: Duties of the Clergy 2: 20.*

[2] يعتقد يوسيفوس أن حور هو زوج أخت موسى النبي وهرون.

٧. التقديس بالدم

لا يمكن أن يقدم العمل الكنسي إلاَّ خلال المذبح والذبيحة، لهذا بكر موسى في الصباح وبنى مذبحًا في أسفل الجبل واثني عشر عمودًا لأسباط إسرائيل الاثني عشر، فلا وجود لهذه الأسباط إلاَّ خلال المذبح... ولا تقديس لهم إلاَّ برش نصف الدم على المذبح والنصف الآخر على الشعب. خلال دم الذبيحة الحقيقية، دم السيد المسيح يدخل الشعب إلى الأقداس، وكما يقول معلمنا بولس الرسول: "فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقًا كرسه لنا حديثًا حيًا بالحجاب أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله. لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي..." (عب ١٠: ١٩-٢٢).

٨. ربط الحياة السماوية بالواقع الزمني

ظهر لهم الرب وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة [١٠]، كأن الله أراد من العاملين في الكنيسة جميعًا أن يحملوا الطبيعة السماوية والفكر السماوي، لكن دون تجاهل لواقعهم الزمني واحتياجات أجسادهم، إذ يكمل الكتاب قائلاً: "فرأوا الله وأكلوا وشربوا" [١١].

هكذا يليق بنا كخدام الله أن نراه ونتشبه له ونحمل أفكاره فينا، دون أن نتجاهل احتياجات جسدنا الضرورية من مأكل ومشرب في حضرة الرب!

٩. موسى على الجبل أربعين يومًا

تحدثنا قبلاً عن السحاب وظهور مجد الله كنار آكلة، لكننا لننظر الآن إلى موسى وهو على الجبل "أربعين نهارًا وأربعين ليلة" [١٨].

يرى **القديس أغسطينوس** أن رقم ٤٠ يُشير إلى كمال حياتنا الأرضية أو الزمنية، وكأنه يليق بالمؤمن أن يقضي كل أيام حياته على جبل الله، أي في شريعة الله ووصاياه، يتأمل مجد الرب وينعم باللقاء معه وجهًا لوجه. وكما صام موسى الأربعين يومًا هكذا يعيش المؤمن الحقيقي في حياة الزهد كل أيام غربته، ليس من أجل الزهد في ذاته إنما لأجل ارتفاع قلبه لحياة الشركة مع الله والتطلع المستمر له. أو بمعنى أدق نقول مع **العلامة ترتليان:** [صام موسى وإيليا أربعين يومًا وعاشا على الله وحده[1]]، أي صار طعامهما المشبع!

[1] *Tertullian: On the Resur. Of the Flesh, 11.*

الأصحاح الخامس والعشرون

التابوت والمائدة والمنارة

١. بين الخيمة والكنيسة والسماء.
٢. تقدمات المسكن ١-٩.
٣. التابوت ١٠-٢٢.
٤. مائدة خبز الوجوه ٢٣-٣٠.
٥. المنارة وسرجها ٣١-٣٩.

١. بين الخيمة والكنيسة والسماء

سبق أن أصدرنا مجلدًا خاصًا بدراسة مبنى الكنيسة[١]، وتطوره من الفردوس حيث وُجد أبوانا الأولان حتى عبورنا إلى المدينة السماوية والدخول إلى قدس الأقداس الأبدي. تحدثنا فيه عن علاقة المبنى الكنسي بالجماعة الكنسية والعبادة الليتورجية وحياة المؤمن الداخلية، كما تحدثنا عن تفاصيل محتويات المبنى وعلاقتها بما احتوته خيمة الاجتماع والهيكل القديم على ضوء الفكر الإنجيلي وكتابات الآباء الأولين. لهذا أجد نفسي ملتزمًا بالإشارة إلى ضرورة الرجوع لهذا البحث لتكملة ما سأشير إليه أثناء تعرضنا للخيمة ومحتوياتها، منعًا من التكرار.

الآن، إذ نعود إلى الأصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج نرى موسى النبي وقد انفصل عن معوقات الرؤيا الإلهية ارتفع على جبل المعرفة المقدسة، فقدمت له الوصايا الإلهية والشريعة، والآن يقدم له الرب رؤيا جديدة هي "المقدس السماوي" الذي ليس من صنع إنسان، فيه يسكن الله مع خليقته المحبوبة لديه، وقد طلب منه أن يصنع ظلاً لصورة هذا المقدس. مثالاً له للذين هم عند سفح الجبل، لكي يسكن الله فى وسطهم ويهيئهم للدخول إلى المقدس السماوي. بمعنى آخر جاءت خيمة الاجتماع ظلاً لصورة السماء عينها حتى يجتاز الشعب إلى العهد الجديد فيدخلون صورة السماء أو عربونها، وأخيرًا ينطلقون في الحياة الأبدية إلى كمال المسكن السماوي.

[١] للمؤلف: الكنيسة بيت الله، طبعة ١٩٧٩.

هذا ما عبر عنه **الأب ميثوديوس** إذ قال: [تنبأ اليهود عن حالنا، أما نحن فنتنبأ عن السماويات؛ حيث أن الخيمة هي رمز للكنيسة، وأما الكنيسة فهي رمز السماويات[1]].

كما يقول: [أمر العبرانيون أن يزينوا الخيمة كمثال للكنيسة، حتى يستطيعوا خلال المحسوسات أن يعلنوا مقدمًا صورة الأمور الإلهية. فإن المثال الذي ظهر لموسى في الجبل، والذي التزم به عندما أقامها كان نوعًا من التمثيل الحقيقي للمسكن السماوي الذي نراه الآن بأكثر وضوح مما كان قبلاً خلال الرموز، لكنه يحسب قاتمًا عندما نرى الحقيقة كما هي. لأنه حتى الآن لا تسلم الحقيقة للبشرية كما هي في الحياة الحاضرة، لأنها لا تقدر على رؤية الأمور الخالدة النقية، كمن لا يستطيع التطلع إلى أشعة الشمس.

أُعلن لليهود ظلال صورة السمويات، فنالوا ثلث الحقيقة؛

أما نحن فعاينا صورة النظام السماوي،

ولكن بعد القيامة فتتمثل الحقيقة واضحة عندما نرى المسكن السماوي، المدينة التي صانعها وباركها الله (عب ١١: ١٠)، نراها وجهًا لوجه وليس في الظلمة ولا خلال جزيئيات (١ كو ١٣: ١٢)[2]].

هذا ما كشفه لنا الرسول بولس في سفر العبرانيين عندما إقترب بالروح إلى الخيمة في خشوع وإجلال ليراها "شبه السماويات وظلها" (عب ٨: ٥)، تعلن أسرار عمل الله وسط شعبه، أمور لا يصوغ له أن يتكلم عنها بالتفصيل (عب ٩: ٥).

٢. تقدمات المسكن

طلب الله من موسى أن يسأل الشعب لكي يقدم كل إنسان حسبما يسمح قلبه (خر ٣٥: ٥)، أي قدرما تسمح محبته يساهم في التقدمة التي تستخدم في صنع "المقدس" الذي يسكن فيه الرب وسط شعبه: "من كل من يحثه قلبه تأخذون تقدمتي. وهذه هي التقدمة التي تأخذونها منهم: ذهب وفضة ونحاس واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة" [٣-٧].

ما هي هذه المواد التي نُساهم بها في المبنى الذي يصير في ملكية الله وفيه يجتمع الله معنا؟

---

[1] *Methoudius: Banquet of the Ten Vergins. 5: 8.*
[2] *Ibid 5: 7.*

لنأخذ أمثلة من هذه المواد ونتفهم معانيها الروحية:

أ. **الذهب:** يرى **العلامة أوريجينوس** أن الذهب هو الإيمان الذي يجعل من القلب سماءً، لذا يُشير الذهب إلى السماويات، كما يُشير إلى القديسين بكونهم سماء يسكن الله في قلبهم.

يقول: [إن آمنت تقدم قلبك وعقلك ذهبًا!... لأجل ذلك فإن موسى وهو يمثل الناموس الروحي يعلن "خذوا من عندكم" (٣٥: ٥). إن كنتم تستطيعون أن تأخذوا هذه الأشياء من عنكم، فهي إذن في داخلكم. تستطيع أن تقدم للرب شيئًا من مشاعرك، ومن كلماتك الخ[1].]

ويرى **الأب ميثوديوس** أن الذهب يُشير إلى حياة البتولية، إذ يقول: [لقد أمر بالذهب (أن تصنع منه أدوات داخل قدس الأقداس) لسببين: أولاً أنه لا يصدأ، وثانيًا أن لونه إلى حدما يُقارب من لون الشمس. بهذا فهو يناسب البتولية التي لا تحمل شيئًا دنسًا أو غضنًا إنما تشع دائمًا بنور الكلمة. خلالها نقف قريبين من الله، داخل قدس الأقداس وأمام الحجاب بأيد غير دنسة كالبخور، نقدم الصلوات للرب رائحة ذكية مقبولة، في مجامر الأربعة وعشرين قسيسًا (الذهبية) التي هي صلوات القديسين[2].]

ب. **الفضة:** إن كان الذهب هو الإيمان القلبي، فإن الفضة هي كلمة الكرازة، لأن كلمة الله كالفضة مصفاة سبع مرات.

وإن كان الذهب يُشير إلى البتولية فالآباء يرون في الفضة إشارة إلى عفة الزواج.

ج. **النحاس:** يُشير إلى الصبر أو القوة. فالسيد المسيح، ظهرت يداه حلقتان من ذهب (نش ٥: ١٤)، لأن أعماله سماوية، أما رجلاه فشبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون (رؤ ١: ١٥)، بهما ندُكّ كل أشواك هذه الحياة وضيقات بلا خوف!

د. **الخشب الذي لا يسوس:** يشير إلى العلم أو العفة التي لا تشيخ[3] ولا تفسد.

هـ. **البوص (الكتان) المبروم:** إذ يُشير البوص إلى الجسد، فكونه مبرومًا أي تحت الضبط والقمع[4]، كقول الرسول "أُقمع جسدي وأستعبده" (١ كو ٩: ٢٧). فكل جهاد لضبط الجسد والتحكم فيه في المسيح يسوع هو تقدمة لبيت الرب.

---

[1] *Origin: In Exod, hom 13: 2.*
[2] *Banquet of the Ten Virgins 5: 8.*
[3] *Origin: In Exod, hom 9: 3.*
[4] *Ibid 13: 5.*

و. القرمز: إن كان الحبل القرمزي الذي أنقذ حياة راحاب وكل بيتها (يش ٢: ١٨) يُشير إلى دم السيد المسيح المخلص، فإن القرمز الذي نقدمه هو شهادتنا له حتى الدم، إذ يقول الرسول "من أجلك نمات كل النهار"؛ كان القرمز يُشير إلى الاستشهاد سواء بسفك دم المؤمنين في عصور الاستشهاد أو حياة الإماتة اليومية من أجل الرب.

ز. الأرجوان: إن كان الأرجوان هو لباس الملوك، لذا عندما أرادوا الإستهزاء بالسيد المسيح كملك ألبسوه أرجوانًا، فإننا نلبس نحن الأرجوان، ثوب الملك، الذي هو "المحبة".

يرى **العلامة أوريجينوس** أنه يُشير إلى ضياء المحبة[1]، كما يُشير أيضًا إلى النار[2]. فالمسيحي الحقيقي يحمل في قلبه نارًا، هي نار الروح القدس الذي يُنير الطريق، والذي يحرق الأشواك الخانقة للنفس.

أكد السيد المسيح وجود هذه النار في قلوبنا إذ قال: "جئت لألقي نارًا على الأرض، فماذا أُريد لو اضرمت؟!" (لو ١٢: ٣٩). وفي سفر إرميا يقول الرب: "هأنذا جاعل كلامي في فمك نارًا" (٥: ١٤)، لأنه منقوش في القلب بالروح القدس الناري. لقد تقبل تلميذا عمواس نارًا إلهية عند سماعهما كلمات المخلص، إذ قالا: "ألم يكن ملتهبًا فينا إذ كان يشرح لنا الكتب؟!" (لو ٢٤: ٣٢). وقبلت الكنيسة الألسنة النارية في يوم الخمسين (أع ٢).

س. شعر المعزى: يُشير إلى الموت عن الخطية (خر ٣٥: ٦؛ لا ٤: ٢٣). يقول **العلامة أوريجينوس:** [تقديمه يُشير إلى تحطيم الخطية، وموتها فيه، فلا تملك بعد في أعضائه[3]].

ش. جلود الكباش: إن كانت المعزى تُشير إلى الخطية، فالكباش تُشير إلى الغضب، فمن يقدم جلودها إنما يعلن أنه قد مات الغضب فيه.

اشتراك الكل في التقدمة:

يقول **العلامة أوريجينوس:** [اشتراك كل أحد في التقدمة أمر لا يهمله الرب. يا للكرامة التي تأخذها!... وعلى العكس يا للعار إن اكتشف الرب أنك لم تقدم شيئًا في بناء المسكن! فإنك إن عشت في عدم تقوى وبغير أمانة لا تترك لك ذكرى في مسكن الرب.

---

[1] *Ibid 9: 3.*
[2] *Ibid 13: 4.*
[3] *Ibid 13: 5.*

عندما يأتي رئيس العالم يبحث في قلوبنا لعله يجد شيئًا ملكًا له فيطالب به، أما الرب فإن وجد في قلبك تقدمة له فإنه يدافع عنك ويقيمك ملكًا.

ربي يسوع، هبني الاستحقاق أن أترك لنفسي ذكرى في مسكنك. فإنني أشتاق أن يكون لي نصيب في هذا الذهب الذي يصنع منه المذبح أو يُغطى به التابوت أو الذي تصنع منه المنارة أو السرج، وإن لم يكن لي شيء في هذا فهب لي الاستطاعة على الأقل أن يكون لي نصيب في الفضة التي تقدم للأعمدة أو قواعدها، أو حتى أستحق أن يكون لي نصيب في تقديم نحاس المسكن الذي يصنع منه الدوائر والأشياء الأخرى المذكورة في الكتاب المقدس.

ليتني أكون أميرًا فأقدم الحجارة الكريمة للأفود وصدرة رئيس الكهنة. إن كان ذلك فوق طاقتي لأقدم شيئًا آخر لمسكن الله كشعر المعزى، حتى لا أوجد عقيمًا بلا ثمر[1]!].

في الأصحاح الخامس والثلاثين يشهد أن الرجال والنساء جاءوا إلى موسى بتقدماتهم... الأمر الذي نتحدث عنه في حينه إن شاء الرب وعشنا.

من أين جاءوا بالتقدمات؟

يرى **العلامة أوريجينوس** أن الشعب استخدم الذهب والفضة والحجارة الكريمة والثياب التي أخذوها من بيت العبودية في صنع خيمة الاجتماع بمحتوياتها، إذ يقول: [لم يستخدم المصريون هذه الأمور إستخدامًا حسنًا، اما العبرانيون فاستخدموها في أغراض دينية لأن حكمة الله كانت معهم[2]].

يصنعون لي مقدسًا:

طلب الرب من موسى أن يصنعوا له مقدسًا يسكن فيه الله معهم، يكون ظلاً للسمويات، إذ يقول: "بحسب جميع ما أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون" [٩].

كما يحمل المبنى الكنسي الأصيل صورة للسمويات، هكذا يقام في القلب أيضًا مسكنًا للرب يحمل صورة السمويات. في هذا يقول **العلامة أوريجينوس:** [يستطيع كل واحد منا أن يبني مسكنًا للرب داخل نفسه[3]]. كما يقول: [يشتهي الله أن يصنع له مسكنًا، واعدًا إيانا برؤيته كمقابل لذلك]، إذ يقول الرسول للعبرانيين: "اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عب ١٢: ١٤). هذا هو المسكن الذي يأمر ببنائه، والذي يود الرسول أن يراه في الأبكار، ليكونوا مقدسين

---

[1] *Ibid 13: 3.*
[2] *Letter to Greg. Thaum.*
[3] *In Exod, hom 9: 4.*

جسدًا وروحًا، إذ كان يدرك تمامًا أن بناء مسكن الرب إنما يكون خلال طهارة القلب والجسد فيرى الله. إذن فلنبنِ للرب مسكنًا؛ لنبنه جميعًا معًا، وليبنه كل واحد منا في داخله. أما المسكن الذي نبنيه فهو الكنيسة المقدسة "التي لا دنس فيها ولا غضن" (أف ٥: ٢٧)[1].

٣. التابوت

كنا نتوقع في سفر الخروج أن يحدثنا بعد الدعوة للإشتراك في تقدمات بناء الخيمة أن يحدد أبعاد الخيمة ومواد بنائها وأقسامها وأخيرًا الأثاث الذي فيها، لكننا هنا نجده يبدأ بالحديث عن بعض أثاثها قبل حديثه عن الخيمة نفسها. فيحدثنا في هذا الأصحاح عن تابوت العهد ومائدة خبز الوجوه والمنارة، ولعله بهذا أراد أن يبدأ بالحديث عن أقدس الأمور في أقدس موضع في ذلك الحين؛ هذه الأشياء الثلاثة إنما تمثل سرّ حلول الله وسط شعبه (التابوت) وسرّ شبعهم بالله (مائدة خبز الوجوه) وسرّ استنارتهم به (المنارة الذهبية).

جاء الحديث عن هذه الأمور الثلاثة قبل الحديث عن المنارة نفسها وبعد استلام الوصايا العشر والشريعة، وكأن الله أراد بهذا أن يقدم لشعبه الإمكانيات التي تسندهم في تنفيذ هذه الوصايا الإلهية، لأن الإنسان بإرادته الحرة وحدها لا يقدر أن ينفذ الوصايا الإلهية، لكنه في حاجة إلى التابوت الذي هو حلول الله نفسه داخل القلب، ومائدة خبز الوجوه التي هي الشبع بخبز الملائكة، وبالمنارة التى هي الإستنارة بالروح القدس. بهذا ليس فقط تصير الوصايا ممكنة التنفيذ، لكنها تصبح طبيعية في حياة أولاد الله ومفرحة لنفوسهم.

والآن نتحدث عن تابوت العهد:

شكل التابوت ومادته:

يسمى بالعبرية "عارون"، وتعني الكلمة "صندوق". فقد كان أشبه بصندوق طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف، مصنوع من خشب السنط ومغشى بصفائح ذهبية خالصة، من الداخل ومن الخارج [١١]. يحيط برأسه إكليل من ذهب. فوقه غطاء من الذهب الخالص يسمى "كابورت"؛ هذا الاسم مشتق من "كافار" التي تعني "يغطي"، وكما تعني "يكفِّر". ويسمى أيضًا كرسي الرحمة حيث كان يمثل عرش الله المملوء حنوًا نحو أولاده. وفوقه كروبان، واحد من كل طرف، وهما من الذهب الخالص، يظللان الغطاء، باسطين أجنحتهما إلى فوق، ووجهاهما

[1] *Ibid 9: 3.*

كل واحد نحو الآخر. وعلى كل من الجانبين حلقتان ذهبيتان لكي يدخل في كل حلقتين عصا من خشب السنط المغشاه بالذهب، تُستخدم لحمل التابوت. وكان المنوط بحراسته وحمله بنو قهات من اللاويين (عد ٣: ٢٩-٣١).

تاريخ التابوت وعمله:

كان تابوت العهد يمثل الحضرة الإلهية، إذ يقول الرب: "وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بني إسرائيل" [٢٢].

بهذا كان التابوت يسير أمام الشعب يتقدمه عمود السحاب نهارًا وعمود النار ليلاً، وكان متى حمل يُقال: "قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضوك من أمامك"، وإذا حلّ في موضع يُقال: "إرجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل" (عد ١٠: ٣٣-٣٦).

عندما عبر الشعب الأردن حمل التابوت أمامهم فانشق النهر (يش ٣: ١٤-١٧)، ثم بقى مدة في الخيمة في الجلجال، نقل بعده إلى شيلوه حيث بقى ما بين ثلاثة قرون وأربعة (إر ٧: ١٢-١٥). وبسبب شر إبني عالي الكاهن وقع التابوت في يديّ الفلسطنيين في أفيق (١ صم ٤) وجاؤا به إلى أشدود ووضعوه بجوار صنم داجون (١ صم ٥: ٢) فحلت بهم البلايا واضطروا إلى إرجاعه، فوضع في قرية يعاريم (١ صم ٦: ٧)، ثم نقله داود النبي إلى أورشليم، حتى بنى الهيكل (٢ صم ٦: ١-١٥؛ أي ١٥: ٢٥-٢٩).

التابوت والمذبح المسيحي[١]:

لا يُشير تابوت العهد إلى الحضرة الإلهية فحسب، وإنما يُشير إلى عمل الله الخلاصي خلال ذبيحة العهد، لذا جاء المذبح يكمل ما هدف إليه التابوت في كل تفاصيله ومحتوياته، نذكر على سبيل المثال:

أ. كان التابوت مصنوعًا من خشب السنط، إشارة إلى الصليب الخشبي، سرّ اتحادنا مع الله وعلة دخولنا إلى مقدساته الإلهية.

ب. مغشى بالذهب الخالص من الداخل والخارج، مع أن الداخل غير ظاهر للعيان، لكي يعمل عمل الذبيحة في أعماقنا الداخلية كما في تصرفاتنا الخارجية، فنحيا بروح سماوي (ذهبي).

ج. يحيط برأسه إكليل من الذهب، علامة دخولنا إلى الأمجاد السماوية خلال المذبح الإلهي.

---

[١] للمؤلف: الكنيسة بيت الله، طبعة ١٩٧٩، صفحة ١١٠، ١١١.

د. يظلل الغطاء كروبان، علامة إنفتاحنا على الخليقة السماوية وشركتنا مع السيرافيم والكاروبيم في تسابيحهم وليتروجياتهم.

و. ظهور السحاب بين الكروبين وتراءى الله هناك وسماع صوته، وظهور لون أزرق (سماوي) عند الكروبين... هذا جميعه عن إسخاتولوجية (أخروية) ليتورجيتنا في المذبح الجديد، واتسامها بالطابع السماوي.

ز. يوجد في داخل التابوت لوحا العهد اللذان يشيران إلى كلمة الله الخلاصية التي نتقبلها خلال العمل الذبيحي، ووعاء المن الذي يُشير إلى جسد الرب المقدس، وعصا هرون التي تُشير إلى العمل الرعوي الكنسي وارتباطه بالذبيحة.

التابوت والكنيسة:

حينما أتكلم عن الكنيسة لا أستطيع أن أفصل الكنيسة الجامعة عن كنيسة القلب إذ أن الأخير عضو في الجماعة المقدسة الكلية... وقد جاء التابوت يحمل رمزًا لهذه الكنيسة الواحدة، كنيسة الجماعة المقدسة، وكنيسة القلب.

يقول **القديس جيروم:** [يليق بعروس المسيح أن تكون كتابوت العهد مغشى بالذهب من الداخل والخارج، وأن تكون حارسة لشريعة الله (للوحي الشريعة)، وكما أن التابوت لا يحوي سوى لوحي الشريعة[١] (١ مل ٨: ٩) هكذا يليق بك ألاَّ يكون في ذهنك شيء خارج الشريعة إذ يُسر الله أن يجلس في ذهنك كما جلس على كرسي الرحمة والكاروبين[٢٢]"[٢].

وإن كان التابوت يمثل الكنيسة، فهو يمثل أيضًا القديسة مريم العذراء بكونها حاملة للسيد المسيح، والعضو الأمثل في الكنيسة المقدسة.

لقد سبق فتحدثنا بأكثر تفصيل عن مدى التشابه بين تابوت العهد والقديسة مريم، إنها مغشاه بالبتولية (الذهب) الروحية والجسدية، من الداخل والخارج. وكما كان التابوت يبعث في الشعب فرحًا حتى رقص داود أمامه (٢ صم ٦)، هكذا زيارة القديسة مريم الحاملة للسيد في أحشائها أبهجت الجنين يوحنا المعمدان في أحشاء أمه فرقص (سكيرتان) بابتهاج[٣]!.

---

[١] أي لا يحوي ألواح أخرى إلاَّ لوحي الشريعة... أما وعاء المن وعصا هرون وكتاب التوراة فهذه جميعها تدخل في نطاق الشريعة وكلمة الله.

[2] *Epis. 22: 24.*

[٣] للاستزادة راجع للمؤلف: القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، ١٩٧٨، صفحة ٦١، ٦٢.

٤. مائدة خبز الوجوه

كانت مائدة خبز الوجوه مصنوعة من خشب السنط، طولها ذراعين وعرضها ذراعًا واحدًا وارتفاعها ذراعًا ونصف؛ وكانت مغشاه بالذهب، وعلى حافتها العليا إكليل ذهبي. وبها أربعة حلقات ذهبية عند أطرافها ليوضع فيها عصوان لحملها.

وكانت الصحاف تستخدم في إحضار الخبز إلى المائدة ورفعها عنها، أما الصحون فتحوي البخور (لا ٢٤: ٧)، ويوضع في الكاسات الخمر للتقدمة، وتستخدم الجامات في صب الخمر وسكبه.

توضع مائدة خبز الوجوه في القدس بجوار الحائط الشمالي، أي عن يمين الداخل في الخيمة (خر ٤٠: ٢٢). وقد وُجد في هيكل سليمان عشر موائد خبز وجوه، كما وُجد به عشر منائر ذهبية، لكنه يبدو أنه لم يكن يُستخدم إلاَّ مائدة واحدة في وقت واحد، كما لا تُستخدم إلاَّ منارة واحدة في وقت واحد (٢ أي ٤: ٨، ١٩؛ ٣: ١١).

أما الهيكل الثاني فمائدته أخذها أنطيخوس إبيفانيوس، وقام يهوذا المكابي بعمل مائدة أخرى عِوَضًا عنها (١ مك ٢٢؛ ٤: ٤٩-٥١).

مصطلحات خبز الوجوه:

هناك مصطلحات كثيرة لهذا الخبز[1]، حملت معانٍ روحية تخص علاقتنا بالله، فهو يسمى خبز الوجوه *Showbread, Shewbread* أو خبز الحضرة *Bread of Presence* (خر ٢٥: ٣٠؛ ٣٥: ١٣)، والترجمة الحرفية للتعبير العبري هو خبز الوجه *Bread of (the) face* يُشير إلى وجود هذا الخبز أمام الله وفي حضرته. وكأن الله ملتزم شخصيًا بإشباع احتياجات شعبه، لذلك كان عدد الخبز اثني عشر علامة تعهده بإشباع كل شعبه (جميع الأسباط). كما أن رقم ١٢ يُشير أيضًا إلى أشهر السنة، كأن الله يتعهد بإشباع شعبه طوال العام، لهذا يسمى "الخبز الدائم" (عد ٤: ٧)، كما يدعى "خبز الوجوه الدائم التقدمة" (٢ أي ٢: ٤)... وكأن الديمومة هنا أيضًا تُشير إلى تقديمه بغير انقطاع، علامة وجود عهد دائم بين الله وكل الجماعة لا يتوقف. كما يسمى "الخبز المقدس" (١ صم ٢: ١٤)، فلا يأكله إلاَّ الكهنة المقدسين للعمل، يأكلونه في الخيمة يوم السبت (الراحة) بعد أن يوضع خبز جديد ساخن، وكأنه لا يُشير إلى شبع مادي جسداني، لكنه يُشير إلى الشبع الروحي اللائق بحياة القداسة، يؤكل يوم السبت، أي يوم الراحة، كأنه يخص الراحة الأبدية!

[1] *J. Hastings: Dict of the Bible, 1963, p. 911-913.*

طقس الخبز:

لهذا الخبز طقس دقيق جاء في اللاويين (٢٤: ٥-٩)، فكان يصنع كل سبت حيث لا يجوز العمل، لأنه يُشير إلى الخبز السماوي الذي ليس من هذا العالم (أي المسيح نفسه السماوي)، يقدم على المائدة الذهبية ساخنًا، تأكيدًا لسمته السماوية وقلبه الملتهب حبًا لإشباعنا. يوضع الخبز على صفين أو جهتين، ويوضع بخور فوق كل صف. وكما يقول **يوسيفوس المؤرخ:** [إنه كان يُقدم بخور على كاسات ذهبية[1]، يحرق يوم السبت[2]].

يرى يوسيفوس أن هذا الخبز كان فطيرًا بلا خمير[3]. كل خبزة عبارة عن عشري إيفة من الدقيق الفاخر، الذي كان يستخدم لتقديمه للضيوف أصحاب الكرامة، وعلى مائدة الملك (تك ١٨: ٦؛ ١ مل ٤: ٢٢)، كما كان يستخدم في بعض التقدمات.

٥. المنارة وسرجها

وضع الرب تصميمها وحدد مادتها ومقاييسها. بلغ ارتفاعها ستة أقدام، وتتكون من قاعدة وساق وست شُعب، تزينت كاسات وعجر وأزهار وملاقط ومنافض، كلها من الذهب تحمل سبعة سُرُج، تضاء بزيت نقي جدًا، طول المساء (خر ٢٥: ٣١؛ ٣٧: ١٧؛ لا ٢٤: ٤؛ عد ٨: ٢). كانت الملاقط الذهبية تستخدم في إصلاح الأسرجة، أما المنافض فتوضع فيها الأشرطة المحترقة.

لم تكن المنارة لمجرد الإضاءة فحسب، وإنما كانت جزءً لا يتجزأ من الطقس التعبدي، لها مفاهيمها اللاهوتية الروحية. فالنور يذكرنا بالله الذي أوجده كأول أعمال خلقته (تك ١: ٣) في النور يسكن الله (تك ٢٤: ١٠)، وبه يلتحف (مو ١٠: ٤٢). هو نور شعبه (إش ١٠: ١٧)، يضيء عليه بمجيئه لخلاصه (إش ٩: ٢)، كما يضيء على الأمم والشعوب (إش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦)، ليحولهم من أبناء الظلمة إلى أبناء النور. لهذا ففي طقس العماد إذ يجحد طالب العماد الشيطان ينظر إلى الغرب، إشارة إلى مملكة الظلمة التي لإبليس، وإذ يعترف بعمل الله الخلاصي ينظر إلى الشرق، إشارة إلى مملكة النور التي لله.

وكما أن السيد المسيح هو نور العالم (يو ١: ٤١؛ ٨: ١٢) فبإشراقه على تلاميذه جعلهم نورًا للعالم (مت ٥: ١٤، ١٦)، بهذا نرى الكنائس في سفر الرؤيا في شكل مناير سبع (رؤ ١).

---

[1] *Antiq. 3: 6: 6.*
[2] *Ibid 3: 10: 7.*
[3] *Ibid 3: 6: 6.*

وجود السبعة أسرجة تُشير إلى عمل الروح القدس الناري، الذي يضيئ في الكنيسة ويلهبها بنار الحب الإلهي، يعمل في حياتها السرائرية (خلال الأسرار السبعة) بل وفي كل عمل روحي تمتد إليه يد الكنيسة لكي يعيش المؤمنون في استنارة دائمة.

النور في كنيسة العهد الجديد:

تسلمت الكنيسة عن التقليد اليهودي – التوراة والكتابات وطقوس العبادة – مفاهيم روحية للنور، واستخدمت كنيسة الرسل الأنوار أثناء العبادة، فلا يمكن لسفر أعمال الرسل أن يروي لنا عن وجود مصابيح كثيرة (٢٠: ٨) أثناء إقامة الإفخارستيا في ترواس بلا معنى، فلو إنها لمجرد الإضاءة، لكان هذا الامر طبيعيًا لا حاجة لذكره، لكن الكنيسة المسيحية منذ بدء انطلاقها رأت في الإضاءة طقسًا روحيًا يمس حياة العابدين. وقد سلكت الكنيسة بهذا الروح، فنجد الشاعر الأسباني *Prudentius* في القرن الرابع يتحدث عن السرج المنيرة داخل الكنيسة وقد انعكست أضواؤها على زجاج الكنيسة النقي وكأنها السموات قد تلألأت بالنور. وفي نفس القرن قدم الأب بولينوس أسقف نولا شهادة مشابهة عن استخدام الأنوار أثناء العبادة.

سبق أن تحدثنا عن السراج المنير في الشرقية ليل نهار وكأنه نجم المشرق الذي ظهر للمجوس ليدخل بهم إلى المسيا المخلص[١]، وعن الشمعدانين حول المذبح وكأنهما الملاكان المرافقان لجسد السيد في القبر واحد عند الرأس والآخر عند القدمين[٢]، والسراج التي تضيئ أمام أيقونات القديسين إذ صار القديسون بالمسيح يسوع ربنا نورًا في العالم وكواكب مضيئة في الفردوس.

في القداس الإلهي حسب الطقس البيزنطي يبارك الأسقف الشعب بشمعة ذات فرعين *dikri* أو ثلاثة فروع *trikri*[٣]، أما في الطقس القبطي فيبارك الكاهن الخادم الشعب بالصليب يرافقه ثلاث شمعات أثناء رفع البخور وطلب الرحمة من الله. أثناء قراءة الإنجيل تضاء كل أنوار الكنيسة كما يحمل شماسان شمعتين عن يمين الإنجيل وعن يساره، كقول المرتل "كلامك سراج رجلي ونور لسبيلي" وإشارة لعمل الإنجيل في إنارة العالم[٤]. وتستخدم الأنوار – المصابيح والمشاعل– كجزء من طقس صلاة الجنازات، كما جاء في أعمال استشهاد القديس كبريانوس[٥]، ووصف جنازة القديسة

---

[١] الكنيسة بيت الله، صفحة ١٤٣.

[٢] المرجع السابق صفحة ١٢٧.

[3] *J. G. David: Dict. of Liturgy & Worship. P. 112.*

[4] *St. Jerome: Contra Vigilantium.*

[5] *Acta Proconsularia S. Capriani, 5.*

ماكرينا أخت القديس غريغوريوس أسقف نيصص[١]، وجنازة الإمبراطور قسطنطين[٢]، إشارة إلى عبور النفس الراحلة إلى النور السماوي والفرح الأبدي.

[1] *St. Greg. Nyss.: Vita S. Macrinae.*
[2] *Euseb.: Vita Contan. 4: 66.*

الأصحاح السادس والعشرون

خيمة الاجتماع

يروي لنا سفر الخروج أن الله أظهر لموسى مسكنًا ليقيم مثالاً له (خر ٢٥: ٩)، أي أظهر له الحقيقة لكي يصنع لها رمزًا على شبه الحقيقة. وقد أكد سفر الأعمال (٧: ٤٤) والرسالة إلى العبرانيين (٨: ٥؛ ٩: ٢٣) أنه رأى نموذجًا حقيقيًا. هذا يعني شيئًا واحدًا هو أن الله قد أراد أن تكون جميع تفاصيل المبنى ودقائقه ليست أمورًا للزينة بل رمزًا يعلن حقيقة واقعية وإشارة تتنبأ بحقيقة روحية مقبلة[1].

ولما كان موضوع خيمة الاجتماع قد شغل أكثر الأصحاحات الباقية من السفر لهذا رأيت تقديم فكرة مبسطة عنها من جهة أسمائها وأبعادها وأقسامها وموادها وأثاثاتها، تسند القارئ في فهم هذه الأصحاحات.

أسماء الخيمة

١. المسكن [١]، لأن الله أمر موسى أن يقيمها لكي يسكن في وسطهم (خر ٢٥: ٨-٩).

٢. مسكن الشهادة (٣٨: ٢١)، أو خيمة الشهادة (أع ٧: ٤٤) إذ يودع فيها كأمر أساسي تابوت العهد الذي يحوي لوحي الشهادة، وكأن الخيمة في جوهرها جاءت كشهادة عملية للعهد الذي أقامه الله مع شعبه، نقشه بإصبعه على لوحي الشهادة.

٣. خيمة الاجتماع: دُعيت هكذا ليس لأن الشعب يجتمع معًا فيها، وإنما لأن الله نفسه يجتمع مع شعبه خلالها (٣٣: ٧)، ليؤكد رعايته للشعب وحفظه لعهده معهم.

٤. بيت الرب (خر ٣٤؛ يش ٦: ٢٤)، إنه ليس مجرد موضع لقاء، لكنه المكان الذي يقدمه الشعب لله كتقدمة، فيتقبله الله مالئ السماء والأرض ليجعله في ملكيته بيتًا خاصًا له، هذا الذي لا يسكن في بيت، حتى يدخل إليه رجاله وأولاده كمن يدخلون السماوات مسكن الله!

أبعاد المسكن

كانت الخيمة على شكل متوازي مستطيلات، طوله ٣٠ ذراعًا وعرضه ١٠ أذرع، وارتفاعه ١٠ أذرع، والمدخل في الشرق. يقوم الجانبان والمؤخرة على ٤٨ لوحًا، عشرون لوحًا من كل جانب

[1] *Edersheim: Bible History, Old Testament. 1977, vol 2, p 122-123.*

وثمانية ألواح في المؤخرة. طول اللوح عشرة أذرع وعرضه ذراعًا ونصف، مغشي بالذهب. لكل لوح طرفان من الفضة يدخلان في قاعدتين من الفضة. وكانت الألواح موصلة بعوارض من خشب السنط مصفحة بذهب تنفذ بحلقات ذهبية [١٥–٣٠].

المدخل في الشرق مفتوح لكنه مغطى بشقة (حجاب) من الكتان المبروم والأسمانجوني والأرجوان والقرمز، معلقة على خمسة أعمدة مغطاة بالذهب ومستقرة على قواعد من نحاس.

أقسام المسكن

ينقسم المسكن من الداخل إلى قسمين بأربع أعمدة متشابهة تثبت على أساسات من فضة ومعلق عليها حجاب [٣١–٣٢، ٣٧] عبارة عن شقة مطرزة من أعلى المسكن إلى أسفله، من الكتان المبروم والأسمانجوني والأرجوان والقرمز، وعليها الكاروبيم برسم حاذق.

يسمى القسم الغربي قدس الأقداس، وهو أشبه بمكعب كل ضلع فيه طوله عشرة أذرع، يحوي في داخله تابوت العهد.

أما القسم الشرقي فيسمى القدس، أبعاده عشرون ذراعًا في الطول، وعشرة أذرع عرضًا، وعشرة أذرع إرتفاعًا (خر ٢٦: ١٦، ١٨، ٢٢–٢٤)، يحوي مائدة خبز الوجوه على يمين الداخل للقدس، ويقابلها على اليسار المنارة الذهبية، وبينهما مذبح البخور الذهبي قبالة تابوت العهد (في قدس الأقداس).

مادة الخيمة وأغطيتها

١. الخيمة في حقيقتها عبارة عن ستارة ضخمة تغطي السقف والجانبين والمؤخرة، لكنها لا تصل إلى الأرض بل ترتفع على الأرض ذراعًا واحدًا من الجانبين. هذه الستارة تتكون من عشر قطع من الكتان المبروم والأسمانجوني والأرجوان والقرمز مطرزة بالكاروبيم، طول الشقة ٢٨ ذراعًا[١] وعرضها أربعة أذرع، موصلة في شكل شقتين، كل خمس شقق موصولة معًا. شقة منهما تمثل السقف وثلاثة جوانب قدس الأقداس، والأخرى تمثل سقف القدس وجانبيه. وتوصل الشقتين معًا خلال خمسين عروة من الأسمانجوني في كل منهما، تُربط العرى معًا خلال شظاظٍ من الذهب، فتصير كأن الخيمة كلها قطعة واحدة.

[١] لأن هذا الطول سيمثل عرض الستارة الكلية، فيغطي السقف (١٠ أذرع) وتسعة أذرع من كل جانب (٩+٩) فيكون هناك ذراع من كل جانب غير مغطى بالستارة الداخلية.

٢. يصنع الغطاء الرئيسي للخيمة من شعر المعزى، ويتكون من ١١ ستارة ضيقة كل منها ٣٠ ذراعًا × ٤ أذرع، بهذا يزيد طول الغطاء عن الستارة الداخلية ذراعين، أي ذراع من كل جانب ليغطي الخيمة حتى الأرض. هذه الستارة أيضًا موصولة معًا في شكل ستارتين، الصغيرة تتكون من خمس ستائر معًا تغطي السقف مع جوانب قدس الأقداس، والكبرى (٦ ستائر) تغطي السقف وجوانب القدس مع جزء صغير من المدخل (٧: ١٣).

٣. غطاءان آخران من جلود الكباش المحمرة وجلود التيوس لوقاية المسكن من الشمس والمطر.

الدار الخارجية

يحيط بالمسكن فناء على شكل مستطيل طوله ١٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعًا، والمسكن في موقعه يميل إلى الجانب الغربي من الفناء.

يحدد الفناء بعشرين عمودًا من كل جانب، وعشرة أعمدة في العرض، وارتفاعه خمسة أذرع، نصف ارتفاع المسكن. على الأعمدة تعلق شقق من الكتان المبروم. الأعمدة مغطاة بفضة وتستقر على قواعد من نحاس.

المدخل من جهة الشرق، اتساعه عشرون ذراعًا، مغلقًا بستارة من الأسمانجوني والأرجوان والقرمز والكتان المبروم، ومعلقة على أربعة أعمدة (خر ٢٧: ٩–١٨).

في الفناء، خارج المسكن توجد المرحضة وأيضًا مذبح المحرقة.

إقامتها وموقعها

أُقيمت الخيمة في اليوم الأول من السنة الثانية من خروجهم (٤٠: ١٧)، وقد اشتغل الصناع تسعة أشهر في إقامتها، دشنت بعدها بشعائر دينية.

وكانت تنصب مدة السفر في البرية وسط المحلة، تحيط بها خيام الكهنة واللاويين، ثم خيام بقية الأسباط حولهم في أربعة أقسام (عد ٢: ٢–٣٤).

في اليوم الذي أكملت فيه الخيمة أظهر الله ذاته في سحابة غطتها وملأتها، بعد ذلك تحولت السحابة إلى عمود كان يسير أمام الشعب في رحلاتهم. إذا وقف العمود فوق الخيمة ينزل الشعب، وإذا انتقل نقلت الخيمة وتبع الجمهور السحابة. بالليل كانت السحابة تتحول إلى عمود نار يسير أمامهم (٤٠: ٣٥–٣٨؛ عد ٩: ١٥–٢٣).

ولما انتهوا من البرية، استقرت الخيمة في الجلجال (يش ٤: ١٩) ثم نقلت إلى شيلوه (يش ١٨: ١) وبقيت ما بين ثلاثة وأربعة قرون، ثم نقلت إلى نوب (١ صم ٢١: ١-٩)، وفي أيام الملك داود نقلت إلى جبعون (١ أي ٢١: ٢٩)، وكانت هناك في بدء حكم سليمان (٢ أي ٣: ١٣) حتى بنى الهيكل على نمطها وان يكون في أبعاده ضعفها طولاً وعرضًا وارتفاعًا.

الخيمة كرمز للسيد المسيح

١. المواد التي تصنع منها الشقق هي التي يصنع منها الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس عن القدس، وأيضًا ذات المواد التي تصنع منها الستارة التي في مدخل المسكن، وأيضًا ثياب هرون رئيس الكهنة، هي تمثل شخص السيد المسيح من جوانب أربع، وكأن السيد المسيح هو غاية كل هذه الرموز.

أ. الكتان المبروم يُشير إلى الطهارة والنقاوة الكاملة.

ب. الأسمانجوني، لونه سماوي، يُشير إلى كونه من السماء (يو ٣: ١٣).

ج. الأرجوان، لباس الملوك، علامة ملكه (مز ٢).

د. القرمز إشارة إلى عمله الخلاصي، بسفك دمه لأجل خلاصنا.

هذا هو الأساس الذي تقوم عليه الخيمة من كل جوانبها، إنها شخص السيد المسيح نفسه الذي فيه يلتقي الأب مع البشرية... إذ فيه تمت مصالحتنا معه!

٢. تغطى هذه الشقق الرائعة الجمال بثلاث أغطية:

أ. الغطاء الأول من شعر معزى [٧]، غطاء بلا جمال، إذ بقدر ما حمل السيد في أعماقه جماله الإلهي، كان خارجه يحمل أتعابًا وآلامًا. رآه إشعياء النبي بلا جمال وظهر له كأنه مضروب من الله والناس (إش ٥٣)، لكنه هو حمل الله الذي عليه وضعت آثامنا وخطايانا.

ما نقوله عن شخص السيد نقوله أيضًا عن وصاياه وتعاليمه، فوصيته صعبة، طريقها كرب وبابها ضيق، لكن من يدخل إلى الوصية ويمارسها يجد السيد المسيح داخلها يفرح النفس ويهبها لذة فائقة!

وما نقوله عن السيد ووصيته ينطبق أيضًا على تابعيه، فمن يسلك مع المسيح لا يحمل حجالاً خارجيًا، إنما "مجد ابنة الملك من داخل" (مز ٤٥)! من الخارج يحمل المسيحي أتعابًا وآلامًا وفي الداخل أمجادًا وأفراحًا!

ب. جلود كباش محمرة [١٤] ترمز لطاعة السيد المسيح للآب حتى الموت.

ج. جلود تخس [١٤] وهي فوق كل الأغطية، إذ ترمز للسمة البارزة في شخص السيد المسيح: ثباته في الشهادة حتى الموت!

الأعمدة والعرائض

ما هي الأعمدة التي توضع عليها الشقق الموصولة، وما هي العرائض التي تربط الأعمدة معًا؟

يقول **العلامة أوريجينوس:** [يلزم أن يكون في الخيمة أعمدة، أي المعلمون الذين هو سفراؤها، هؤلاء يقول عنهم الرسول: "... يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرين أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة" (غل ٢: ٩).

في المسكن تجتمع الأعمدة معًا خلال العرائض المساعدة [١٩]، وذلك كما يتحد المعلمون معًا في الكنيسة.

قواعد الأعمدة من الفضة، لكل عمود قاعدتان... أما الفضة فتعلن عن كلمة الله ونوال موهبة الروح، إذ كلام الله نقي كفضة مصفاة في بوتقة[١].

أساس تبشير الرسل هو الأنبياء (القاعدة)، لأن الكنيسة تقوم على الرسل والأنبياء (أف ٢: ٢٠)، وبشهادتهم (الأنبياء) يتقوى الإيمان بالمسيح الذي هو تاج الأعمدة، الذي كما أظن عبّر عنه الرسول قائلاً أن رأس الرجل هو المسيح (١ كو ١١: ٣). أما العوارض التي تربط الأعمدة فكما رأينا – هي الأيدي المتشابكة خلال الشركة الرسولية][٢].

باختصار نقول أن الخيمة وهي ترمز للسيد المسيح، ترمز أيضًا للكنيسة كجسد المسيح الذي على الرسل (الأعمدة) المتحدين بروح الحب والشركة (العوارض) الكارزين بما تنبأ عنه الأنبياء (القواعد الفضة) فهي كنيسة رسولية تسلك بالفكر الرسولي، ولا تتجاهل الناموس والأنبياء، بل تعتمد عليهما بروح إنجيلي.

أعمدة الحجاب وأعمدة المدخل

يقوم الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس عن القدس على أربعة أعمدة، فإن كان هذا الحجاب يمثل عزل الإنسان وحرمانه من الدخول إلى حضرة الله والتمتع برؤيته، فإنه في الحقيقة يمثل حبنا للعالم، أو شهوات الجسد الذي أخذ من التراب (العالم)، لذلك فإن الأربعة أعمدة هنا تُشير للعالم

---

[١] يبدو لي أن كل عمود يتكئ على قاعدتين من الفضة، هما كلمة الله (العهد القديم والعهد الجديد)، إذ ربما قصد بهما الناموس والنبوات بكونهما قاعدة العمل الكنسي الرسولي.

[2] *Origin: In Exod, hom 9: 3.*

(أربعة جهات المسكونة) أو شهوات الجسد، الأمور التي انهارت بارتفاع السيد المسيح على الصليب، حيث انشق حجاب الهيكل.

أما ستارة المدخل (السجف) فتقوم على خمسة أعمدة؛ ورقم خمسة يُشير غالبًا إلى الحواس الخمس، فلا دخول إلى المسكن إلاَّ بتقديس الحواس الخمس. لهذا شُبه ملكوت السموات بالخمس عذارى الحكيمات اللواتي حملن مصابيحهن المتقدة، أي لهن الحواس المقدسة والمستنيرة بالروح القدس، أما ملكوت إبليس فشبه بالخمس عذارى الجاهلات اللواتي لهن مصابيح غير موقدة، لأن حواسهن قد انطمست في الظلمة ولم تقدر على الدخول إلى العرس السماوي (مت ٢٥).

الشقق

الخيمة في جوهرها ستارة ضخمة تتكون من ستارتين متحدتين معًا، كل ستارة تتكون من. خمس شقق، كل شقة طولها ٢٨ ذراعًا وعرضها ٤ أذرع؛ هذه الشقق مصنوعة من الكتان المبروم والأسمانجوني والأرجوان والقرمز.

فالستارة الكلية التي تمثل الكنيسة الجامعة، بكونها خيمة المسيح وثوبه، عرضها ٢٨ ذراعًا وطولها ٤٠ ذراعًا (١٠ شقق × ٤ عرض الشقة). هذه الأبعاد ليست بغير معنى، فأن رقم ٢٨ يُشير إلى كنيسة العهد الجديد حيث رقم ٧ يمثل الكمال كما رأينا قبلاً[١]، فإن الإنجيل إذ يُكرز به في العالم (٤ جهات المسكونة) يكون كنيسة العهد الجديد رمزها ٢٨. أما رقم ٤٠ فتشير لعهد الناموس، حيث يُشير الرقم إلى الوصايا العشر منفذه في هذا العالم (١٠ × ٤)، لذلك صام موسى ٤٠ يومًا إيليا علامة ضرورة النسك كل أيام غربتنا، وأيضًا صام السيد المسيح أربعين يومًا. إذن فالستارة تُشير إلى كمال الكنيسة المتحدة خلال العهدين، القديم والجديد.

ويلاحظ أن الستارة الكلية التي تتكون منها الخيمة في حقيقتها ستارتان متحدتان معًا، كل منهما تتكون من خمس شقق، وكأن الخيمة في حقيقتها هي ثمرة إتحاد شعبين، الشعب اليهودي الذي قدّس حواسه الخمس ليتشبه بالعذارى الحكيمات الخمس، والشعب الأممي الذي قدّس كذلك حواسه الخمس متشبهًا بالعذارى الحكيمات. الشعبان يمثلان خيمة واحدة، هي جسد السيد المسيح المقدس.

تتحد الستارتان معًا خلال خمسين عروة في إحدى الجانبين من كل ستارة [٤-٥]، ترتبط العرى كلها بواسطة خمسين أشظة ذهبية. إذن فسِرّ اتحاد الشعبين معًا هو رقم ٥٠، أي حلول الروح القدس

[١] للمؤلف: رؤيا يوحنا اللاهوتي، ١٩٧٩، صفحة ٢٠-٢١.

في يوم الخمسين، حيث وحَّد الشعب اليهودي مع الشعوب، معطيًا للتلاميذ موهبة التكلم بألسنة كل شعوب ذلك الزمان ليجتمع الكل معًا بلسان الوحدة والحب وشركة الروح القدس. أما كون الأشظة من الذهب. فذلك لأن سرّ الوحدة الذي يقدمه الروح القدس إنما يتم خلال تمتعنا بالفكر السماوي، إذ لا يوجد في السماء انشقاق ولا انقسام إنما وحدة وحب!

أما كون الشقق من الكتان والأسمانجوني والأرجوان والقرمز، فهذا يُشير إلى أن الكنيسة تتمثل بالمسيح يسوع رأسها الذي يرمز له بهذه المواد الأربعة معًا.

الحلقات الذهبية التي تربط الشقق معًا لتكون مشدودة على الأعمدة والعوارض تُشير إلى الإيمان الذي يسند الكنيسة[1].

الأغطية

الخيمة في جوهرها تتكون من عشر شقق، إشارة إلى الوصية أو الناموس (١٠ وصايا) وكأن سكنى الله في وسطنا حفظنا لناموسه أو وصاياه. بطاعتنا له ندخل فردوسه ونعيش معه كأولاد له.

أما الغطاء الذي من شعر معزى فيتكون من إحدى عشر شقة وليس عشر شقق [٧]. وفي رأي **القديس أغسطينوس** أنه إن كان رقم ١٠ يُشير للناموس، فإن هناك وصية حادية عشر تعرف ضمنًا هي "حفظ الناموس ذاته"، فرقم ١١ يُشير إلى عدم حفظنا للناموس نفسه أو كسرنا له، فإن اعترفنا بهذه الوصية إننا كاسرون للوصايا ننال – في استحقاقات الدم – غفران الخطايا. بمعنى آخر يظهر من الخارج الإحدى عشر شقة إعلانًا عن ضرورة الاعتراف بخطايانا كشرط للدخول إلى هذا المسكن الإلهي.

ويرى **القديس أغسطينوس** في إجابة السيد المسيح على الرسول عن عدد المرات التي فيها يغفر لأخيه إنها سبعة وسبعون إشارة إلى كمال الغفران، فالخطايا (كسر الناموس) هو ١١، ورقم الكمال ٧. فلا نستطيع أن ننعم بكمال مراحم الله اللانهائية ما لم نغفر لإخوتنا كل أخطائهم.

ويلاحظ أن الغطاء أيضًا ينقسم إلى جزئين، إحداهما يتكون من خمس شقق والآخر من ست شقق، في كل جزء من طرف واحد وخمسون عرى، ويرتبط الجزءان معًا خلال العرى بخمسين شظاظًا نحاسيًا.

[1] سنتحدث عنها بمشيئة الله عند الحديث عن المذبح النحاسي (ص ٢٧).

لعل الغطاءان هنا يشيران إلى العبادة الظاهرة للشعبين اليهودي والأممي، أحدهما له الذبائح الخمس مركز العبادة اليهودية، والشعب الآخر يرمز له في العبادة بالرقم ٦، لأنها عبادة أرضية بشرية ناقصة. ففي تفسيرنا للوحش ورقم ٦٦٦ في سفر الرؤيا قلنا أن رقم ٧ يُشير للكمال ورقم ٨ يعني الحياة الأخروية أو السماوية بكونها تعدت سبعة أيام الأسبوع ودخلت إلى الأسبوع الجديد أو الحياة الأخرى الجديدة، أما رقم ٦ فيُشير إلى عدم الكمال، لذا رقم الوحش ٦٦٦ أي كله نقص، ليس فيه صلاح. فالعبادة الأممية دخلتها الخزعبلات الشيطانية والأعمال الناقصة. لكن خلال العرى الخمسين، أي خلال عمل الروح القدس الذي حلّ على الكنيسة يوم الخمسين انتهت الذبائح الموسوية القديمة (الخمس) وانتهت العبادات الوثنية الناقصة، وأعطى الروح القدس شركة إتحاد الشعوب في المسيح يسوع.

هنا الشظاظ من النحاس لأنه على الغطاء وليس من الذهب كما في شقق الخيمة ذاتها، فإن الذهب يُشير للمجد السماوي، يكون في الداخل، عميقًا في النفس، أما النحاس فيُشير إلى الجهاد.

الأصحاح السابع والعشرون

المذبح النحاسي

١. المذبح النحاسي ١–٨.

٢. دار المسكن ٩–١٩.

٣. إضاءة المنارة ٢٠–٢١.

١. المذبح النحاسي

إن كنا قد تحدثنا عن المقدسات الداخلية في المسكن، سواء الخاصة بقدس الأقداس (تابوت العهد) أو القدس (مائدة خبز الوجوه والمنارة ومذبح البخور)، فإنه لا عبور إلى المقدسات إلاَّ خلال المذبح النحاسي والمرحضة. المذبح النحاسي إنما يعني سفك دم الحيوانات وتقديمها ذبائح للرب.

يقارن سفر العبرانيين بين المذبح النحاسي الدائم الاتقاد بالنار ليلتهم ذبائح يومية بلا انقطاع وبين صليب السيد المسيح الذي حمل ذبيحة واحدة في آخر الأزمنة.

بالنسبة للمذبح النحاسي يقول الرسول أن رئيس الكهنة يدخل قدس الأقداس مرة واحدة في السنة، لكن "ليس بلا دم يقدمه عن نفسه وعن جهالات شعبه" (عب ٩: ٧). دخوله كل عام مرة علامة عجز العمل، وتقديم الذبائح، أو دم الحيوانات، عن خطاياه وجهالات شعبه علامة ضعفه المستمر. أما السيد المسيح، رئيس الكهنة الأعظم، فقد دخل لا إلى رموز المقدسات السماوية أو ظلالها بل إلى السماء عينها، لكن "ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبديًا" (عب ٩: ١٢). قدم دم نفسه على الصليب فقدم إمكانية على مستوى أبدي، دون تكرار العملية الصليب! فرئيس الكهنة الأول كان يتألم مرارًا بتقديم دم حيوانات كل عام، علامة العجز عن إبطال الخطية أما رئيس الكهنة الجديد فبدم نفسه أبطل الخطية ودخل بنا إلى المقدسات عينها. وكما يقول الرسول "لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا، ولا ليقدم نفسه مرارًا كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر، فإن ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أظهر مرة عند إنقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عب ٩: ٢٤–٢٧).

هذا عن رئيس الكهنة، أما الكهنة فكان عملهم اليومي "كل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مرارًا كثيرة تلك الذبائح عينها" (عب ١٠: ١١)، ويرى الرسول في تكرار العمل يوميًا علامة عن عجز دم التيوس والعجول عن تطهير النفس بنزع الخطية (عب ١٠: ١١) إنما تقدس إلى طهارة الجسد (٩: ١٣)، أي حملت عملاً رمزيًا، حتى تقوم الذبيحة الواحدة القادرة على تطهير الضمائر (٩: ١٤).

مادة المذبح وأبعاده

يصنع المذبح من خشب السنط [١] بكونه رمزًا للصليب شجرة الحياة. يُغشى بالنحاس [٢] لا الذهب، إذ على الصليب يتقبل الابن ثمن الخطية التي ارتكبناها في ثبات كامل، كالنحاس الذي هو علامة الصبر والمثابرة.

لا نجد للذهب أثرًا خارج المسكن، فإن الأمجاد السماوية تبقى في الداخل، لكننا نجد النحاس والفضة، النحاس [١-٤، ٦...] لكي نشارك السيد المسيح صبره وآلامه ومثابرته، إذ يظهر في سفر الرؤيا هكذا: "رجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون" (رؤ ١: ١٥). إذ نلبس السيد المسيح يكون لنا النحاس الذي به ندك كل الأتعاب والضيقات ونسير نحو السماء بمثابرة دون تراخٍ. أما وجود الفضة [١٠-١١] فعلامة حاجتنا إلى كلمة الله كسند لنا في جهادنا ومثابرتنا.

المذبح مغشى بالنحس، وجميع آنيته من النحاس، وشباكه من النحاس وحلقاته من النحاس والعصوان لحمله مغشيتان بالنحاس.

طول النحاس خمسة أذرع وعرضه كذلك، وكأن الذبيحة مقدمة لأجل تقديس حواسنا الخمس، لكي نتهيأ للدخول إلى المقدسات الخفية.

رقم خمسة أيضًا يذكرنا بالذبائح والتقدمات التي وردت في سفر اللاويين، عددها خمس، لأن جميعها إنما ترمز لذبيحة الصليب، الأمر الذي سبق لنا شرحه في مقدمة سفر اللاويين.

ارتفاع المذبح النحاسي ثلاثة أذرع، وكأن المذبح لا يُشير إلى الصليب فحسب وإنما يحمل رمز القيامة (رقم ٣)، فقوة الذبيحة أنها تدخل بنا إلى الصليب لكي تعبر بنا إلى القيامة، فتقوم أفكارنا وكلماتنا وأعمالنا (رقم ٣)، أي نمارس سرّ رقم ٣ بالدخول إلى الألم والدفن والقيامة، بهذا يرفعنا المذبح إلى الثلاثة أذرع.

٢. دار المسكن

سبق لنا وصفه في الأصحاح السابق حيث عرفنا أن طوله ١٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعًا، تقوم ستائره الكتانية على ألواح أو أعمدة. عشرون عمودًا من كل جانب من الجانبين، ١٠ أعمدة في

المؤخرة، أما من جهة الشرق فيوجد ثلاثة أعمدة على اليمين وثلاثة أعمدة على اليسار وتقوم ستارة المدخل على أربعة أعمدة.

يلاحظ في دار المسكن أنه لا وجود أيضًا للذهب، إنما تقوم الأعمدة على قواعد نحاسية، أما رززها وقضبانها فمن الفضة، لينطبق عليها ما قلناه عن المذبح النحاسي.

الستائر جميعها (فيما عدا ستارة الباب) من الكتان المبروم فقط، تقوم على أعمدة طول كل منها خمس أذرع، وكأن الدار الخارجية أرادت أن تركز على الطهارة (الكتان) والنقاوة القائمة على أعمدة المثابرة الدائمة والمتكئة على كلمة الله (الفضة). أما طول العمود فيُشير إلى ضرورة النقاوة في كل الحواس الخمس.

لم يكن ممكنا أن تكون ستارة الباب من الكتان وحده، بل من الأسمانجوني والأرجوان والقرمز مع الكتان، لأنه لا دخول إلى حياة الطهارة (الكتان) ولا قدرة على المثابرة (النحاس) ولا فهم لكلمة الله (الفضة) إلاَّ من خلال السيد المسيح الذي هو باب الحظيرة.

هذه الستارة التي ترمز لحياتنا في المسيح، أو دخولنا الدار خلال المسيح تقوم على أربعة أعمدة، إذ تتم خلال جهادنا على الأرض في المسكونة (أربعة أركان المسكونة)، لكننا إن تطلعنا يمينًا أو يسارًا نرى ثلاثة أعمدة، كأننا ونحن ندخل بالمسيح هنا على الأرض إلى المسكن الإلهي الروحي يلزمنا أن ندخل بقوة قيامته.

٣. المنارة الذهبية

يؤكد مرة أخرى أن المنارة ليست لمجرد الإضاءة لكنها علامة عهد فيه نتقبل الإستنارة الإلهية، إذ يأمر باستخدام "زيت زيتون مرضوض نقي"، وأن يكون ذلك "فريضة دهرية" [٢١].

الأصحاح الثامن والعشرون

الملابس الكهنوتية

١. تقريب هرون وبنيه كهنة	**١.**
٢. صنع ثياب كهنوتية	**٢-٥.**
٣. الرداء	**٦-١٤.**
٤. الصدرة	**١٥-٢٩.**
٥. الأوريم والتميم	**٣٠.**
٦. الجبة	**٣١-٣٥.**
٧. العمامة	**٣٦-٣٨.**
٨. قميص مخرّم (منسوج)	**٣٩.**
٩. المنطقة والقلنسوة والسروال	**٤٠-٤٣.**

١. تقريب هرون وبنيه كهنة

بعد أن أعلن الله لموسى النبي المسكن السماوي ليقيم له مثالاً هو خيمة الاجتماع، أمره ان يقرب هرون وبنيه كهنة له، فإن العبادة التي ترتبط ببيت الله هي عبادة مصالحة خلالها يظهر عمل السيد المسيح الكهنوتي في مصالحتنا مع الآب، وكما جاءت الخيمة في مجملها وتفاصيلها تشهد للسيد المسيح وعمله الرعوي معنا، فإن الكهنوت بكل تفاصيل ملابسه وطقس عبادته قد حمل صورة رائعة لذات الأمر.

هذا هو مفهومنا للكهنوت اليهودي، إنه رمز لكهنوت السيد المسيح، الكاهن الأعظم وأسقف نفوسنا (١ بط ٢: ٢٥)، أما الكهنوت المسيحي فهو اختفاء العاملين في بيته الروحي في هذا الكاهن الأعظم، الذي وحده في حضن الآب قادر بدمه الطاهر أن يشفع فينا ليدخل بنا إلى هذا الحضن الإلهي.

الكاهن المسيحي يعمل لحساب المسيح وباسمه وليس لحساب نفسه[١]. في هذا يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [يقوم الوكيل بإدارة أمور موكله حسنًا، دون أن ينسب لنفسه ما لموكله، بل على العكس

[١] راجع أقوال الآباء في هذا الشأن في كتابنا الحب الرعوي صفحة ٢٣-٣١.

ينسب ما لديه لسيده... أتُريد أن ترى مثالاً لوكلاء أمناء؟ إسمع ما يقوله القديس بطرس الرسول: "لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟!" (أع ٣: ١٢). وعند كرنيليوس أيضًا قال: "قم أنا أيضًا إنسان"... والقديس بولس الرسول لا يقل عنه أمانة في قوله: "أنا تعبت أكثر من جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي" (١ كو ١٥: ١٠). وعندما قاوم الرسول أولئك الأشخاص غير الأمناء، قال: "وأي شيء لك لم تأخذه؟!" (١ كو ٤: ٧)[١].]

٢. صنع ثياب كهنوتية

لا يمكن أن تفهم هذه الثياب الكهنوتية المقدسة إلاَّ من خلال ربنا يسوع المسيح، فإنها صنعت "للمجد والبهاء" [٢]، ليس لمجد الكاهن وبهائه الشخصي، وإنما لمجد السيد المسيح الذي يتمثل الكاهن به، يحمل سماته، ويختفي داخله.

سمع أحد الآباء عن نسك القديس باسيليوس أسقف قيصرية وتقشفه فذهب لزيارته، لكنه فوجئ به يلبس ثيابًا فاخرة أثناء التقديس. وإذ ظهر عليه علامات الدهشة اضطر القديس – بإرشاد إلهي – أن يكشف له حقيقة الأمر، أنه يلبس تحتها مسوحًا لكنه يرتدي الثياب الفاخرة من أجل بهاء كهنوت السيد المسيح نفسه!

يقارن **القديس يوحنا الذهبي الفم** بين بهاء الكهنة في العهد القديم خلال ملابسهم المقدسة وبهاء كهنة العهد الجديد، فيقول: [الأمور الخاصة بعد ما قبل النعمة مرعبة ومخيفة للغاية... مثل الرمان والحجارة التي على الصدرية والأفود والمنطقة والقلانس (وصفيحة) قدس الأقداس... أما من يرغب في اختبار الأمور الخاصة بعهد النعمة فسيجدها قليلة لكنها مخيفة ومملؤة رهبة. أنك ترى (في عهد النعمة) الرب كفدية ملقى على المذبح والكاهن يقف مصليًا للذبيحة وكل المتعبدين يتلمسون ذاك الدم الثمين. إذن هل تتصور – أيها الكاهن – أنك لازلت بين البشر، وأنك مازلت على الأرض واقفًا؟! أما اجتزت إلى السماء باستقامة، قاطعًا كل فكر جسداني بعيدًا عن الروح؟! ألست أنت الآن بروح مجردة عن الجسد وفي عقل نقي متأملاً الأمور السمائية؟! آه!! يا لها من أعجوبة!! يا لعظم حب الله للإنسان!! إن الجالس في الأعالي مع الآب يُحمل في تلك الساعة في أيدي الكل، ويعطي ذاته للراغبين في احتضانه ونواله!!... هل يمكنك أن تزدري بهذه الأمور أو تفتخر عليها؟![٢].]

---

[١] للمؤلف: الحب الرعوي، ١٩٦٥، صفحة ١٧.

[٢] المرجع السابق صفحة ٤٦، ٤٧.

ويرى **القديس أثناسيوس الرسولي**[1] أن هرون لبس ثيابًا كهنوتية ليعمل ككاهن، وكان هذا رمزًا لابن الله الذي لبس جسدًا حتى يخدم لحسابنا ككاهن يشفع فينا بدمه.

٣. الرداء (الأفود)

هو الثوب الخارجي، يبدو انه كان قميصًا قصيرًا موصولا عند الكتفين فقط ومفتوحًا من الجانبين، مشدودًا بزنار مطرز متصل بالرداء نفسه [٨].

والعجيب أن الراداء كما الزنار مصنوعان من نفس مواد الخيمة، أي من الكتان المبروم والأسمانجوني والأرجوان والقرمز مضافًا إليه مادة الذهب التي وجدت بكثرة في الخيمة. وكأن العمل الكهنوتي مرتبط بالكنيسة، يقدم صورة حية لسمات السيد المسيح نفسه، أي النقاوة (الكتان) والحياة السماوية (الأسمانجوني والذهب) والفكر الملكوكي (الأرجوان) والتقديس بدم الكريم (القرمز).

كلما أدرك الآباء هذه الحقيقة ارتعبوا وشعروا بخطورة سقوط كاهن ما في خطية، أقتبس هنا بعض كلماتهم:

❖ إنه بالحقيقة لا يوجد في العالم وحش كهذا وقاسٍ نظير ذلك الكاهن القبيح السيرة الذي لا يشاء الإصلاح!

❖ إن شرف الكهنوت عظيم، لكن إن أخطأ الكهنة فهلاكهم فظيع.

❖ لا يخلص الكاهن لأجل شرفه، إنما إن سلك بما يليق بشرفه.

القديس إيرونيموس[2]

❖ الله لا يُهان من أحد بقدر ما يُهان من أولئك المتلألئين بشرف الكهنوت إذا أخطأوا، لأن خطية الكاهن تزداد رداءة وثقلاً بسبب نكران الجميل الذي يبديه ضد الله المنعم عليه برفعة هذا مقدار سموها.

❖ كيف لا يلزم أن تلمع بأشعة القداسة أكثر من الشمس، يد الكاهن التي تلمس جسد الرب، وذلك الفم الذي يمتلئ نارًا سمائية، وذاك اللسان الذي يصطبغ بدم المسيح؟!

القديس يوحنا الذهبي الفم[3]

---

[1] *Disc. Against the Arians 2: 7, 8.*

[2] الحب الرعوي، صفحة ١٤٧.

[3] الحب الرعوي، صفحة ١٤٥.

❖ الكاهن الذي يخدم المذبح الإلهي يلزمه قبل كل شيء أن يكون مزينًا بالطهارة.

العلامة أوريجينوس[١]

نعود إلى رداء رئيس الكهنة لنجد حجري الجزع موضوعين على كتفي الرداء، وقد نقش عليهما أسماء أسباط بني إسرائيل، وكأن رئيس الكهنة – كرمز للسيد المسيح – وقد وضع على كتفيه كل احتياجات شعبه؛ كل نفس تطلب منه! إنه أب يلتزم بالمسئولية عن أولاده. **للقديس يوحنا الذهبي الفم** أحاديث ممتعة وعملية عن هذه الأبوة الملزمة، جاءت ثمرة خبرة رعاية أمينة لسنوات طويلة[٢].

الكاهن – مهما كانت شخصيته ومهما بلغت قدراته – لا يقدر أن يحمل أثقال شعبه على كتفيه، لهذا إذ يضع أسماءهم على كتفيه كجزء من الطقس التعبدي، إنما يدخل بهذا الثقل ليلقيه على كتفي المسيح شخصيًا. لهذا في كل قداس إلهي يصرخ الكاهن في قلبه أكثر من مرة، قائلاً: "اقبل هذه الذبيحة عن خطاياي وجهالات شعبك"، وكأنه يلقي بأثقال نفسه وأثقال شعبه على السيد الذي وحده يقدر أن يحتمل ويعين!

٤. الصدرة

قطعة مربعة من القماش عينه كالرداء [١٥]، مثنية إلى الخلف عند الطرف الأسفل ليكون سمكها مضاعفًا [١٦]. ترصع باثني عشر حجرًا كريمًا، ثلاثة حجارة في كل صف، وينقش على كل حجر اسم من أسباط بني إسرائيل، وكانت زاويتاها العلويتان مرتبطتين بالرداء بسلاسل ذهبية، ولم تكن الصدرة تنزع عن الرداء [٢٨]، أما زاويتاها السفليتان فتربط به خلال الزنار. وكانت الحلقات وبقية أدوادت ربطها مصنوعة من ذهب أو تطريز وسميت "تذكارًا" [١٢، ٢٩]، لأنها بهذا الوضع تكون الحجارة على صدر رئيس الكهنة أي في قلبه لا يقدر أن ينسى أحدًا منهم. إن كان حجرًا الجزع يشيران إلى المسئولية والتزامه باحتياجاتهم فالصدرة تُشير إلى حمله لهم في أحشائه الداخلية كقول الرسول بولس عن أنسيموس: "الذي هو أحشائي" (في ١٢).

وسُميت أيضًا تذكارًا، لأنه كلما ارتدى الكاهن هذه الملابس تذكر التزامه بالصلاة عن كل شعبه. إن كان السيد المسيح هو رئيس الكهنة والشفيع الدائم لشعبه (عب ٧: ٢٥) لدى الآب خلال دمه، فإن الكاهن وقد اختفى في السيد المسيح يُدعى "برسفيتيروس" أي "شفيع" عمله الرئيسي الصلاة الدائمة عن إخوته وأولاده الروحيين. في هذا يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [الكاهن بما أنه نائب

---

[١] الحب الرعوي، صفحة ١٤٥.

[٢] راجع أقواله في هذا الشأن في كتابنا: القديس يوحنا الذهبي الفم، الفصل الخاص بمنهجة الرعوي.

الله، فيلزمه أن يهتم بسائر البشر، لكونه أب للعالم كله[1].] كما يقول **القديس إيرونيموس:** [المخلص بكى على أورشليم لأن سكانها لم يتوبوا (لو ١٩: ٤١)... وإرميا أيضًا ندب شعبه غير التائب قائلاً: "ياليت رأسي ماءً وعينيّ ينبوع دموع فأبكي نهارًا وليلاً قتلى بنت شعبي" (إر ٩: ١)، معللاً سبب حزنه، قائلاً: "لا تبكوا ميتًا ولا تندبوه. ابكوا ابكوا من يمضي لأنه لا يرجع بعد" (إر ٢٢: ١٠)... إذن فحري بنا أن نبكي من أجل هؤلاء الذين بسبب جرائمهم وخطاياهم عزلوا أنفسهم عن الكنيسة... وفي هذا المعنى يدعو النبي خدام الكنيسة ملقبًا إياهم "أسوارًا وأبراجًا"، قائلاً لكل منهم: "يا سور... اسكبي الدمع كالنهر" (مرا ٢: ١٨)... فبدموعك تلين قلوب الخطاة حتى يبكوا هم أيضًا[2].]

وفي العهد الجديد يلبس رئيس الكهنة صدرة، يرسم عليها الاثنا عشر تلميذًا في صفين عمودين، حتى يتشبه بالرسل والتلاميذ متذكرًا ضرورة ذكر شعبه بدموع، حاملاً إياهم في أحشائه.

٥. الأوريم والتميم

المعنى الحرفي للكلمتين هو "الأنوار والكمالات"، وقد رأى البعض أنهما شيئان صغيران (ربما حجران كريمان) يوضعان في الصدرة [٣٠] لكي يعرف رئيس الكهنة إرادة الله في الأمور الهامة الكهنوتية والقومية. ويرجح البعض أن الكلمتين تشيران إلى أن نور الإرشاد وكماله يأتي من قبل الله، وأن هذا يتم خلال الاثني عشر حجرًا المرصعة في الصدرة، لأنه حيث تذكر الحجارة لا يذكر الأوريم والتميم وأيضًا حيث يذكر الأوريم والتميم لا تذكر الحجارة (خر ٢٩: ١٠؛ لا ٨: ٨).

يقول علماء اليهود أن الله كان يحدث الشعب بواسطة الأوريم والتميم في الخيمة، أما بعد بناء هيكل سليمان فصار يحدثهم بواسطة الأنبياء.

على أي الأحوال فإن "الأوريم والتميم" يؤكدان في حياة الكاهن ألاَّ يعتمد في خدمته على الأذرع البشرية والمشورات البشرية، لكنه يلجأ أولاً إلى المذبح، حيث ينسكب أمام الله طالبًا نوره الإلهي يشرق في قلبه ويكمل كل ضعف فيه. فالتزامات الكاهن الكثيرة والخطيرة والمتشابكة، إذ يقوم بإرشاد الناس في أثمن ما لديهم – خلاص نفوسهم – وتعامله مع أنواع مختلفة من الناس، تحت ظروف متباينة، هذا الأمر الذي يجعله محتاجًا أن يكون على صلة مستمرة بالله مرشده حتى لا تهلك نفس بسبب جهله أو عجزه عن القيام بالعمل. وقد تحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن مسئولية الكاهن أو الراعي عن كل فشل يلحق بالخدمة أو خسارة تلحق بنفس ما بسبب عدم حكمته، ولا يقدر أن يقدم

---

[1] الحب الرعوي، صفحة ٥٤٦.

[2] الحب الرعوي، صفحة ٥٦٠.

عذرًا، فشاول الملك لم يُقبل على الكرسي من ذاته وإذ تصرف في المملكة بغير حكمة لا يقدر أن يعتذر بأن صموئيل النبي رسمه دون وجود رغبة داخلية فيه لهذا؛ ولم يستطِع عالي الكاهن أن يعتذر عن خطأ ابنيه بأنه ورث الكهنوت بغير إرادته، وموسى الطوباوي نفسه بالرغم من كل محاولاته للإفلات من العمل القيادي عندما أخطأ عند ماء مريبة لم تكن لمحاولاته هذه أن تشفع له، ولم يقدر يهوذا أن يخلص بالرغم من أن الرب هو الذي اختاره للرسولية... لهذا يليق بالكاهن أن يكون حكيمًا يطلب المشورة الإلهية على الدوام حتى لا يسقط تحت الدينونة[1].

٦. الجبة

مصنوعة كلها من الأسمانجوني، يلبسها تحت الرداء مباشرة، وكأنها تُشير إلى طبيعة الكاهن، الداخلية، التي هي الفكر السماوي. يحمل السماء ليس مادة للوعظ أو الحديث، لكنها تملأ قلبه في الداخل وتشغل كل أفكاره. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [يليق بمن يقوم بدور قيادي أن يكون أكثر بهاءً من أي كوكب منير، فتكون حياته بلا عيب، يتطلع إليه الكل، ويقتدون بسلوكه[2].]

ربما كانت الجبة تصل تحت الركبتين بقليل، وكانت بدون أكمام ومفتوحة فقط من أعلى، ولعلها كانت منسوجة بدون خياطة [٣٢].

كان بهدب الرداء رمانات من نسيج ذات ألوان بديعة يتخللها أجراس ذهبية [٣٣-٣٤]. تُشير الرمانات إلى ضرورة وجود الثمر في حياة الكاهن. فيظهر الكاهن مثمرًا في كلمات الوعظ العميقة، وفي صمته، وفي مناقشاته، وفي إرشاداته، وفي سلوكه مع كل أحد! وتُشير الأجراس إلى إعلان صوت الكرازة بالإنجيل أينما تحرك، منذرًا الكل بالتوبة من أجل ملكوت السماوات.

يرى **القديس يوستين** أن عدد الأجراس اثنا عشر، إشارة إلى الاثني عشر تلميذًا الذين اعتمدوا على قوة السيد المسيح الكاهن الأبدي، فبلغت أصواتهم إلى أقاصي الأرض بمجد الله ونشر كلمته. ويرى **العلامة أوريجينوس** أن [هذه الأجراس يلزم أن تدق على الدوام رمزًا لعدم سكوت الكاهن عن التحدث عن الأزمنة الأخيرة ونهاية العالم[3].]

٧. الصفيحة الذهبية

---

[1] الحب الرعوي، صفحة ٦٤٣-٦٥٠.

[2] الحب الرعوي، صفحة ٦٥٤.

[3] *In Exod. Hom 9: 4.*

ينقش على هذه الصفيحة "قدس للرب"، توضع على العمامة. ما هذه الصفيحة الذهبية إلاَّ الإعلان عن السيد المسيح، الذي هو البكر الذي تقبله الآب نيابة عنا. لقد قدس السيد حياته للآب بإسمنا، لكي نصير أيضًا مقدسين فيه، إذ يقول "من أجلهم أقدس ذاتي لكي يكونوا هم أيضًا مقديسن في الحق".

يدخل الكاهن إلى الهيكل، العرش الإلهي، ليس عن برّ فيه ولا من أجل جهاده الذاتي، وإنما مختفيًا في ذاك الذي هو موضع سرور الآب. المسيا سرّ تقديسه. لهذا يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [حين تنظر الكاهن مقدم الذبيحة، تأمل يدّ السيد المسيح ممتدة بنوع غير ملحوظ[1].] كما يقول **القديس لأمبروسيوس:** [آمن إذن أن الرب يسوع هو الحاضر أثناء صلوت الكاهن... لأنه إن كان قد قال "إن اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي فهناك أكون في وسطهم" (مت ١٨: ٢٠) فكم بالأكثر يهبنا حضوره عندما تجتمع الكنيسة وتتم الأسرار[2]؟!]

٨. العمامة

غايتها أن توضع عليها الصفيحة الذهبية السابقة، وكأن التاج الذي ينعم به الكاهن ويكلل به هو حمله للسيد المسيح نفسه، قدس الرب.

يقابل هذه العمامة التاج الذي يلبسه الأسقف، وهو غير معروف أصلاً في الكنيسة القبطية، لكنه أخذ عن الطقس البيزنطي.

٩. القميص المخرّم (المنسوج)

يصنع من الكتان الأبيض، يلبسه تحت الجبة الزرقاء فلا يظهر إلاَّ على الذراعين وما بعد الجبة تحت القدمين. إن كانت الجبة الزرقاء تُشير إلى القلب السماوي الداخلي، فإن القميص الكتاني المنسوج يُشير إلى الحياة الطاهرة النقية الملائكية، التي تعمل في الداخل لكنها تظهر على الذراعين، أي تنعكس على التصرفات الخارجية، كما تظهر من تحت الحقوين حتى القدمين، وكأن الطهارة أيضًا تغطي كل مسلك الإنسان (القدمين)، أينما سار يسلك بنقاوة!

[1] الحب الرعوي، صفحة ٢٧.

[2] الحب الرعوي، صفحة ٢٧.

١٠. المنطقة والقلنسوة والسروال

عند تقديم الذبيحة يلبس رئيس الكهنة المنطقة، وهي حزام من القماش للتمنطق وشدّ الوسط أثناء الخدمة، إشارة إلى ضرورة تيقظ الراعي (لو ٢٢: ٢٥؛ أف ٦: ١٤؛ ١ بط ١: ١٣)، وقد سبق الحديث عن "التمنطق" أثناء أكل خروف الفصح.

التمنطق هو عمل العبيد الذين يخدمون سادتهم، وكأن الكاهن في خدمته يشعر أنه خادم لأولاد سيده وليس رئيسًا أو متسلطًا.

والتمنطق يُشير إلى عمل الجندية فالكاهن كجندي صالح يُجاهد روحيًا في جيش الخلاص.

التمنطق هو عمل المسافرين، استعدادًا للرحيل. فيشعر الكاهن أنه غريب على الأرض، لا يطلب ما للأرضيات بل ما للسمويات.

وفي سفر الرؤيا رأينا الشعب يمثل المنطقة الذهبية المحيطة بصدر السيد المسيح (رؤ ١: ١٣) لكي يقتات على ثدييه أي العهدين الجديد والقديم. وهكذا يحمل الكاهن شعبه حول صدره ويقدم كل حياته في المسيح يسوع لشعبه.

أما السراويل فيعلن الله نفسه أنها لسترة الكاهن... لهذا يقول **القديس أمبروسيوس:** [لا يزال بعضنا يُلاحظ هذا، لكن الغالبية يفسرونه بطريقة روحية، ويفترضون أنها قليت لكي يراعي الكهنة الإحتشام ويحتفظون بالطهارة[1].]

فالسروال يُشير إلى احتشام الكاهن من جهة ملبسه فقط، لكنه يلزم أن يكون محتشمًا (١ تي ٣) في كل تصرفاته وكلماته. وفيما يلي مقتطفين من أقوال الآباء عن هذا الأمر:

❖ ينبغي ألاَّ يكون صوت الكاهن مترهلاً خافتًا أو "سيداتي" في نغمته، كما اعتاد الكثيرون.

القديس أمبروسيوس[٢]

❖ إن ساعة واحدة من الخلاعة، جعلت نوحًا يتعرى بعد ما استتر ستين عامًا بوقار.

القديس إيرونيموس[٣]

---

[1] *Ambrose: Duties of the Clergy 1: 18.*

[٢] الحب الرعوي، صفحة ٦٦٦.

[٣] الحب الرعوي، صفحة ٦٦٨.

الأصحاح التاسع والعشرون

تقديس الكهنة

١. الحاجة إلى التقديس	**١-٣.**
٢. غسل الكهنة	**٤.**
٣. ارتداء الملابس الكهنوتية ومسحهم بالدهن	**٥-٩.**
٤. تقديم ذبيحة خطية	**١٠-١٤.**
٥. تقديم ذبيحة محرقة للرب	**١٥-١٩.**
٦. تقديم كبش ملء	**٢٠-٢٢.**
٧. ملء أيدي الكهنة والترديد	**٢٣-٢٨.**
٨. مسح الثياب المقدسة	**٢٩-٣٠.**
٩. الكهنة يأكلون عند باب الخيمة	**٣١-٣٥.**
١٠. تقديس المذبح	**٣٦-٣٧.**
١١. التقدمة اليومية	**٣٨-٤٦.**

١. الحاجة إلى التقديس

دعى الله هرون وبنيه للعمل الكهنوتي، وحدد لهم الثياب التي يرتدونها حتى يدركوا أن سرّ القوة ليس فيهم بل في الله الذي دعاهم وسترهم بنفسه. والآن قبل أن يمارسوا أي عمل كهنوتي يقدم لهم الرب طقسًا طويلاً خاصًا بتقديسهم وتقديس ثيابهم الكهنوتية وتقديس المذبح الذي يخدمونه، وكأن الثلاثة يمثلون وحدة واحدة، فلا تقديس للكهنة مالم يلبسوا السيد المسيح نفسه (الثياب المقدسة) ويحملون سماتهم فيهم، ويخدموا المذبح المقدس (الصليب).

اختيار الكهنة ودعوتهم وتقديسهم كان إشارة إلى اختيار الابن الوحيد القدوس الذي قدّس ذاته لهذا العمل الخلاصي، فهو وإن كان القدوس الذي بلا عيب لكنه يقول "من أجلهم أقدس ذاتي لكي يكونوا هو أيضًا مقدسين في الحق"، ليس بمعنى أن يحمل قداسة جديدة، إنما قد قدم حياته المقدسة لهذا العمل، كاهنًا على طقس ملكي صادق (مز ١١٠: ٤؛ عب ٥: ٦؛ ٧: ١١). وكما التزم الكهنة أن يرتدوا الثياب الكهنوتية المقدسة لكي يقتربوا إلى المذبح، هكذا مع الفارق لبس ابن الله القدوس جسدنا

وصار كواحد منا حتى يقترب إلى الصليب نيابة عنا ويتمم الفداء، أما تقديس المذبح إنما يُشير إلى الصليب الذي صار مقدسًا بالدم الثمين.

٢. غسل الكهنة

يتقدم هرون وبنوه إلى باب خيمة الإجتماع ويغسلهم (موسى) بماء [٤]. وكأن اختيار الله لهم ودعوتهم لهذا العمل المقدس يلزمهم التطهير أولاً قبل الدخول إلى الخيمة أو ممارسة أي عمل كهنوتي. فالكاهن وأن كان قد نال شرف الصلاة عن شعبه لكن هذا لا يخلق فيه كبرياءً فلا يظن أنه قد صار أفضل منهم أو أكثر منهم برًا، بل بالعكس يحمله بالمسئولية أن يجاهد من أجل نفسه أيضًا حتى لا يهلك الشعب بسببه.

ففي القداس الإلهي يتعلم الكاهن أن يشرك نفسه في طلباته عن الشعب، قائلاً "إعط يا رب أن تكون مقبولة ذبيحتنا عن خطاياي وجهالات شعبك"[١]... يبقى في كل الصلوات السرية يطلب عن نفسه أولاً ليغفر الله خطاياه وعن شعب الله ليغفر لهم جهلاتهم، وكأنه يشعر إذ يخطئ إنما يفعل ذلك بمعرفة أما شعب الله فيفعل ذلك بغير معرفة.

لقد أدرك الآباء حاجتهم إلى رعاية الله المستمرة والتعليم الدائم مع شعب الله فيقول **القديس أغسطينوس:** [إننا كما لو كنا رعاة بالنسبة لكم، لكننا نحن أيضًا في رعاية الله، إذ نحن خراف زملاء لكم. إننا معلمون بالنسبة لكم، لكننا بالنسبة لله فهو السيد الواحد، ونحن زملاء لكم في مدرسته[٢]].

دعوته للكهنوت تؤكد عضويته في جماعة الله المقدسة يبقى على الدوام طالبًا التطهير في استحقاقات الدم والتعليم المستمر على يديّ الله. لهذا كتب الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس يقول: "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا" (١ تي ١: ١٥). فلا ينظر الرسول إلى نفسه كرأس ومعلم ومدبر وإنما أولاً وقبل كل شيء أنه أول الخطاة يحتاج أن يبقى دومًا في أحضان مخلصة!

ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الله يسمح للكهنة بالشعور بالضعف حتى يترفقوا بالضعفاء إخوتهم!

---

[١] القداس الباسيلي: صلاة الاستعداد.

[٢] الحب الرعوي طبعة ١٩٦٥، صفحة ١٣٧.

٣. ارتداء الملابس الكهنوتية ومسحهم بالدهن

ارتداء الملابس الكهنوتية يعتبر جزءً من طقس تقديس الكهنة كما رأينا سابقًا.

ما أن لبس رئيس الكهنة الصفيحة الذهبية أو الإكليل المقدس [٦] الذي نقش عليه "قدس للرب" حتى صار ممثلاً للسيد المسيح، لذلك سكب عليه الدهن المقدس [٧] قبل تقديم أي ذبيحة، إشارة إلى حلول الروح القدس في السيد المسيح حلولاً أقنوميًا منذ الأزل بكونه روحه الأزلي، وليس نعمة ممنوحة له.

عاد هرون وبنيه الكهنة الذين لبسوا أقمصتهم ليتقدموا للمسحة المقدسة [٢١] حتى يعرف هرون وكهنة الله أنهم لا يمسحون كهنة إلاَّ بعد تقديم ذبائح عنهم ونضح دم السيد المسيح لتقديسهم. لقد أكد لهم الوحي الإلهي أنهم في حاجة إلى التقديس، فإنه ليس أحد من البشر بلا خطية ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض. وسنترك الحديث عن المسحة المقدسة للأصحاح القادم إن شاء الرب.

٤. تقديم ذبيحة خطية

جاءت تفاصيل هذه الذبيحة "ذبيحة الخطية" في تفاصيل كثيرة في سفر اللاويين (٤، ٥: ١-١٣) وقد حملت معانٍ كثيرة رائعة لا يتسع المجال هنا للحديث عنها. إنما نستطيع أن نبرز هنا الجوانب التالية:

أ. هذه الذبيحة تعبر عن السيد المسيح الذي وضعنا عليه أيدينا لحمل خطايانا وسيق إلى الموت (١ بط ٢: ٢٤)، لهذا يضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الثور ويذبح الثور أمام الرب عند باب خيمة الإجتماع [١٠-١١]... فلا نسمع عنها إنها للرضى والمسرة كما في ذبيحة المحرقة، فهي تُشير إلى ثقل ومرارة ما يحمل السيد عنا، كهنة وشعبًا! لهذا كان السيد يكتئب ويصرخ: "نفسي حزينة جدًا حتى الموت"!

ب. يأخذ من دم الثور ويجعله على قرون المذبح بأصبعه، وسائر الدم يصبه إلى أسفل المذبح، ويأخذ كل الشحم الذي يغشي الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذي عليهما ويوقدها على المذبح [١٢-١٣]... وكأن الله أراد أن يؤكد للكهنة أنه قد جاء بكل خطاياهم حتى الخفية في الجوف وكفرّ عنها بدمه على المذبح ليعيشوا بالطهارة الداخلية.

ج. حرق لحم الثور وجلده وفرائه خارج المحلة [١٤] يُشير إلى تألم المسيح خارج المحلة، حتى يخرج الكهنة معه حاملين عاره (عب ١٣: ١٣) في خدمتهم لشعبه.

٥. تقديم ذبيحة محرقة

بعد تقديم ذبيحة الخطية يقدم كبش كذبيحة محرقة للرب "رائحة سرور، وقود هي للرب" [١٨]. هذه الذبيحة تقدم جانبًا آخر للصليب، فإن كانت الأولى تحمل ثقل خطايانا لذلك قدمت بآنات وصراخ، فإن هذه الذبيحة تعلن في الصليب جانب السرور ورائحة الرضا، إذ تكشف عن "الطاعة الكاملة للسيد المسيح نحو الآب" (عب ٥: ٥؛ ١٠: ٧؛ يو ٦: ٣٨؛ في ٢: ٨)، الطاعة الإرادية غير الاضطرارية (يو ١٠: ١٨).

يضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش ليصيروا والذبيحة واحدًا، فيحملوا روح الطاعة الكاملة التي للسيد المسيح فيهم، فيشتم الله في كهنوتهم رائحة السرور والرضا (لا ١: ٩، ١٣، ١٧). هكذا يلتصقون بالرب ليكونوا حاملين روحه (١ كو ٦: ١٧).

يذبح الكبش ويرش دمه على المذبح من كل ناحية ويقطع ويغسل جوفه وأكارعه وتوضع على القطع والرأس، وكأنه بهذا تظهر كل أعماقه، فقد جاز السيد المسيح أمام الآب فوجد بلا عيب (لو ٢٣: ٢٢؛ إش ٥٣: ٩؛ يو ٨: ٤٦)، فقبله كموضع سروره. هكذا يليق بالكاهن أن يتقدس في أعماقه الداخلية، ليجتاز أمام الله بلا عيب ويكون موضع سروره ورضاه في المسيح يسوع.

٦. تقديم كبش الملء

يحمل هذا العمل صورة حية للتقديس، فبعدما يضع هرون وبنوه أياديهم على رأس الكبش، أي يعلنون اتحادهم معه، تقدم حياته فدية عنهم في دمه، الذي يرش على أجسادهم وثيابهم لتطهيرهم وتقديسهم بالكلية، فتكون حياتهم وأعمالهم كلها للرب.

يأخذ موسى من الدم ويجعله على شحم آذانهم اليمنى وأباهم أيديهم اليمنى وأباهم أرجلهم اليمنى [٢٠]، وكأن آذانهم وأياديهم وأرجلهم قد تقدست وتكرست لخدمة الله تمامًا. كل كلمة يسمعها الكاهن وكل حركة وكل عمل إنما يكون لحساب موكله. لقد تقدس له بالكامل، لذلك فإن هذه الذبيحة التي للتقديس هي "رائحة سرور أمام الرب، وقود هي للرب" [٢٥].

٧. ملء أيدي الكهنة والترديد

إذ تقدست أيدي الكهنة يضع موسى فيها الأجزاء المقدسة من كبش الملء ويقومون بالترديد أي تقديمها للرب، وكأنها أول ذبيحة تمتد يدهم المقدسة لتقديمها أما الرب.

٨. مسح الثياب المقدسة

تقدس الثياب بالدم والمسحة (لا ٨: ٣٠)، ليلبسها الكاهن سبعة أيام، ولا يخرج من باب خيمة الإجتماع (لا ٨: ٣٣)، إذ يقول الرب "ولدى باب خيمة الإجتماع تقيمون نهارًا وليلاً سبعة أيام وتحفظون شعائر الرب فلا تموتون لأني هكذا أمرت" (لا ٨: ٣٥).

هذا إنذار خطير للكاهن الذي قدم حياته ذبيحة حب لله ولخدمته، فبعدما لبس الثياب الكهنوتية المقدسة، وتقدست كل حياته الداخلية وتصرفاته الظاهرة، يليق به أن يبقى كل أيام حياته (سبعة أيام) يحفظ شعائر الرب ولا يرتبك في أي عمل زمني.

٩. الكهنة يأكلون عند باب الخيمة

يأمر الله هرون وبنيه أن يأكلوا عند باب الخيمة [٣]. لعلها إشارة إلى الدخول في عهد معًا، الله يتعهدهم كخدام له، وهم يتعهدون بتكريس كل حياتهم له. ولعله أيضًا أراد أن يعلن لهم أنه حتى أكلهم وشربهم وكل تصرفاتهم فلتكن في حضرته، لأنهم نصيبه وهو نصيبهم.

يأكل هرون وبنوه لحم الكبش والخبز الذي في السلة، وهو ثلاث أنواع:

أ. خبز فطير من دقيق حنطة، وقد تحدثنا عن الفطير كرمز للحياة الجديدة[١]. فالكاهن لا يأكل خبزًا مخمرًا سبعة أيام، أي يبقى كل أيام حياته لا يحب الشر، ينسى الإنسان القديم وأعماله ليحيا على الدوام حسب أعمال الإنسان الجديد. حياته وأفكاره تتجدد كل يوم بالتوبة المستمرة بلا انقطاع.

ب. أقراص فطير ملتوتة بالزيت، تُشير إلى حياته التي امتزجت داخليًا بمواهب الروح القدس، فتحمل ثمرة على الدوام.

ج. رقاق فطير مدهونة بزيت، أي تظهر ثمار الروح القدس في حياتهم الخارجية أيضًا.

إن كانت الأقراص الملتوتة بالزيت تُشير إلى شهادة الذين في الداخل عنهم فإن الرقاق المدهون بالزيت يُشير إلى ضرورة شهادة الذين في الخارج عنهم (١ تي ٣: ٧)، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [إنه حتى الوثنيين يوقرون الإنسان الذي بلا عيب... لذلك ليتنا نحن أيضًا نعيش هكذا حتى لا يقدر عدو أو غير مؤمن أن يتكلم عنا بشر. لأن من كانت حياته صالحة، يحترمه حتى

[١] راجع تفسير الأصحاح ١٢.

هؤلاء، إذ بالحق يغلق أفواه حتى الأعداء[1]...]. ويقول **القديس إيرينيؤس:** [الأسقف المسيحي يلزم أن يكون هكذا، إن الذين يكابرون معه في العقيدة لا يقدرون أن يكابروا معه في حياته[2]].

١٠. تقديس المذبح

"سبعة أيام تكفّر على المذبح وتقدسه، فيكون المذبح قدس أقدس. كل ما مس المذبح يكون مقدسًا" [٢٧].

هكذا يتقبل الله من شعبه هذا المذبح الذي يقدسه ويجعله قدس أقداس، خلاله تقبل الذبائح لتقديس شعبه والتكفير عنهم.

١١. التقدمة اليومية

أمر الله بتقدمة يومية بطقس خاص في الصباح والمساء، أما علة هذا الطقس فهو "وأجتمع هناك ببني إسرائيل فيتقدس بمجدي" [٤٣]... إذ يتمجد الله في حياتهم وتصرفاتهم يتقدسون هم باجتماعه في وسطهم. إنه يريد أن يسكن في وسطنا ليقدسنا له!

[1] الحب الرعوي، صفحة ٦٥٥.

[2] الحب الرعوي، صفحة ٦٥٥.

الأصحاح الثلاثون

مذبح البخور والمرحضة

١. مذبح البخور ١–١٠.
٢. فضة الكفارة ١١–١٦.
٣. المرحضة ١٧–٢١.
٤. دهن المسحة ٢٢–٣٣.
٥. البخور المقدس ٣٤–٣٨.

١. مذبح البخور

جاء الحديث عن مذبح البخور الذهبي بعد الحديث عن مذبح المحرقة النحاسي، فالخاطئ يلتقي في الدار بالمذبح النحاسي ليرى خطيته قد تحولت إلى رماد تحت المذبح، عندئذٍ يقدر خلال الكاهن الأعظم – السيد المسيح المخلص – أن يدخل إلى المقدسات الإلهية، يدخل إلى صدر القدس ليرى أمامه تابوت العهد في قدس الأقداس، ومائدة خبز الوجوه عن يمينه، والمنارة عن يساره، مقدمًا حياته على المذبح الذهبي رائحة بخور طيبة، يشتمها الآب رائحة سرور ورضى في المسيح يسوع. خلال المذبح النحاسي دفع الدين لكي ندخل إلى برّ المسيح في شركة معه نأكل خبز الملائكة ونستنير بالروح القدس، ونرى الأمجاد الإلهية فوق الكاروبيم...

لقد هزّ المنظر أعماق نفس **العلامة أوريجينوس** فقال:

[ليبحث كل منا كيف يمكن أن يبني في داخله مسكنًا لله!

ليكن للنفس في أعماق القلب مذبحًا للبخور حتى تستطيع أن تقول: نحن "رائحة المسيح الذكية" (٢ كو ٢: ١٥). ليحمل فيه أيضًا تابوت العهد حيث لوحي الشريعة، فيلهج في ناموس الله نهارًا وليلاً (مز ١: ٢). ليكن فكرها ذاته وتابوتًا ومكتبة تحفظ الكتب الإلهية، إذ يقول النبي: طوبى لمن يحفظ في قلبه ناموس الرب ليعمل به. ولتحمل في قلبها قسط المن، أي الإدراك الصحيح العذب لكلمة الله. وليكن لها عصا هرون أي التعليم الكهنوتي والتدقيق المستمر للتقوى. وفوق كل مجد لتحمل الزينة الكهنوتية، إذ يوجد في داخلها من يقوم بدور الكاهن... الذي يربطنا بالله، يسميه البعض القلب والبعض يسميه حاسة العقل وآخرون يدعونه الفكر.

ليكن في داخلنا زينة الملابس كالكاهن والحجارة الكريمة ونلبس أفودًا من الكتان؛ تنسدل حتى الرجلين وتغطي كل الجسد، مشيرًا بذلك إلى الفضيلة الأولى التي ينبغي أن نتحلى بها وهي العفة. لنأخذ الصدرة المرصعة بالحجارة التي تُشير إلى ضياء الأعمال: "حتى يروا الناس أعمالكم فيمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥: ١٦)[1]...].

لنتحدث أيضًا عن مذبح البخور الداخلي، قائلاً: "النفس التي لا تعطي لعينها نومًا حتى تجد موضعًا للرب إله يعقوب (مز ٨١: ٤) تقتني لها مذبحًا ثابتًا في وسط قلبها حتى تقدر أن تقرب لله[2].

ويرى **الأب ميثوديوس** في المذبح الذهبي رمزًا لجماعة البتوليين الأطهار في صدر الكنيسة يحملون رائحة المسيح البتول الذكية، إذ يقول: [تسلمنا أن مذبح الله غير الدموي يُشير إلى جماعة الأطهار، فتطهر البتولية كأمر عظيم وجيد، إذ يجب أن تحفظ بلا دنس نقية تمامًا، ليس لها نصيب مع دنس الجسد، بل تقوم في حضرة الشهادة، مذهّبة بالحكمة، في القدس، تبعث رائحة الحب الإلهي الذكي[3]].

٢. فضة الكفارة

إن كان البخور هو ذبيحة الحب التي كان الكهنة يقدمونها داخل القدس باسم الجماعة كلها، لكن الشعب التزم بتقديم مساهمة حب في نفقات الخيمة (أو الهيكل) من كل الرجال، ٢٠ عامًا فما فوق، دون تمييز بين غني وفقير [١٥]. تُشير إلى أن التقدمة وإن كانت تحمل روحًا جماعية، لكنها تحمل أيضًا علاقة شخصية بين كل مؤمن وإلهه. خدمة الخيمة (أو الهيكل) هي خدمة الجماعة كلها، دون أن تفقد المؤمن شخصيته كعضو حيّ له علاقة مباشرة مع الله، وفي نفس الوقت خلال اتحاده بالجماعة.

ويلاحظ أن التقدمة رمزية، يقدر الجميع أن يقدمها (نصف شاقل) حتى لا يظن الأغنياء أن لهم دالة على خدام الله على حساب دالة الفقراء عليهم، فالخلاص مجاني للجميع، وكل نفس متساوية لدى الله وعند خدامه.

٣. المرحضة

---

[1] *Origen: In Exod, hom 9: 4.*
[2] *Ibid.*
[3] *Methodius: Banquet of the Ten virgins 5: 6.*

إناء نحاسي مستدير، يوجد في الدار الخارجية، فيه يغسل الكهنة أيديهم وأقدامهم قبل الخدمة، أو قبل الدخول إلى القدس، أما موقعها فهو بين المذبح وباب خيمة الاجتماع، وكأنها تُشير إلى المعمودية حيث لا يقدر أحد أن يتمتع بالقدسات الإلهية، أي يدخل خيمة الاجتماع، ويجتمع مع الله مالم يتطهر أولاً في مياه المعمودية. أما كونها بين المذبح وباب الخيمة فلأنه لا تطهير بمياه المعمودية إلاَّ خلال ذبيحة المسيح الكفارية.

يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص:** [عندما يسمع أحد عن المرحضة فليفهم هذه التي نغتسل خلالها من الخطايا المشينة بالمياه السرية[1]].

٤. دهن المسحة

يحتل دهن المسحة مكانًا خاصًا في وصايا الله لشعبه في العهد القديم، إذ يُشير إلى مسحة الروح القدس لأداء أعمال قيادية تحمل جوانبًا من عمل السيد المسيح نفسه. فكان الأنبياء والكهنة والملوك يمسحون، الأمور التي اجتمعت معًا في شخص السيد المسيح، والذي دعى "المسيح" لأنه ممسوح منذ الأزل لهذا العمل الخلاصي. وقد شهد له المرتل بقوله: "أحببت الحق وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مز ٤٤؛ عب ١: ٩)... وقد سبق لنا الحديث عن هذه المسحة أثناء تفسيرنا لنشيد الأناشيد[٢].

هذه المسحة أيضًا تشير إلى المسحة العامة التي تعطى للمسيحيين بعد العماد، والتي تدعى "مسحة الميرون"، إذ يقول **القديس أمبروسيوس:** [كل مؤمن يمسح كاهنًا وملكًا، غير أنه لا يصير ملكًا حقيقيًا ولا كاهنًا حقيقيًا بل ملكًا روحيًا وكاهنًا روحيًا، يقرب الله ذبائح روحية وتقدمات الشكر والتسبيح[٣]]. ويقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [الذين كانوا يمسحون في العهد القديم إما كهنة وإما أنبياء أو ملوك. أما نحن المسيحيون أصحاب العهد الجديد، فيجب أن نمسح لكي نصير ملوكًا متسلطين على شهواتنا، وكهنة ذابحين أجسادنا ومقدسين إياها ذبيحة حية مقدسة مرضية عبادتنا العقلية، وأنبياء لإطلاعنا على أسرار عظيمة جدًا وهامة للغاية (خاصة بالأبدية)[٤]]. ويقول **القديس**

---

[1] *Vita Moses 2: 185.*

[٢] المؤلف: نشيد الأناشيد، الطابعة الخامسة ١٩٨٠، صفحة ٢٥-٢٧.

[٣] المؤلف: الحب الإلهي، صفحة ٨٦٩.

[٤] الحب الإلهي: صفحة ٨٧٠.

أغسطينوس: [إن اسم "المسيح" جاء من المسحة، فكل مسيحي يقبل المسحة، يكون ذلك دلالة ليس فقط على أنه صار شريكًا في الملكوت، وإنما صار من المحاربين للشيطان[1]].

٥. البخور المقدس

كما تحدثنا عن النور (المنارة الذهبية) أنه لم يكن مجرد وسيلة لإضاءة الخيمة بل طقسًا تعبديًا يحمل مفهومًا لاهوتيًا يخص علاقتنا بالله، هكذا أيضًا البخور، لم يكن القصد منه مجرد إيجاد رائحة طيبة في الخيمة، لكنه حمل مفهومًا لاهوتيًا يمس حياتنا في الله. لذلك حدد الله نوع البخور وكمياته، وموعد إيقاده، ومن الذين يقومون بهذا العمل. فحرم استخدامه (بذات النسب) خارج الخيمة، أو إيقاده بيدٍ غريبة!

في مناجاة السيد المسيح لعروسه قال لها: "من هذه الصاعدة من البرية، كأعمدة من دخان، معطرة بالمرّ وبكل أذرة التاجر" (نش ٣: ٦). وكأن دخان المذبح النحاسي (الذبائح اليومية) قد التحم مع البخور اليومي الصاعد من المذبح الذهبي، هكذا يلتحم عمل المسيح الذبيحي في حياتنا بصلواتنا فيشتمها الله رائحة رضا.

في دراستنا لبيت الله من الجانب الطقسي الروحي تعرضنا للبخور والتبخير في الكنيسة الأولى[2]، ورأينا كيف التحم الطقس اليهودي (خر ٣٠: ٣٤-٣٨) بالطقس المسيحي (مل ١: ١٠-١١) وبالطقس السماوي (رؤ ٨: ٣-٤). لقد قبلت كنيسة أورشليم البخور بسهولة إذ عرفته في خيمة الاجتماع وفي خدمة الهيكل كما عرفته كطقس هام في وجبة الشبورة، ورأت في نبوة ملاخي (١: ١٠-١١) عن كنيسة العهد الجديد أنها تقدم تقدمة البخور من مشارق الشمس إلى مغاربها، كما رأت في العبادة السماوية البخور يقدمه السمائيون لله (رؤ ٥: ٨؛ ٨: ٤)، لكن كنائس الأمم تخوفت في بدء انطلاقها منه، لئلا يمزج المؤمنون الذين من أصل أممي بين البخور لله والبخور للوثن. لكننا سرعان ما رأينا في القداسات الأولى تأكيدات مستمرة لتقديم تقدمة البخور لله.

---

[1] الحب الإلهي: صفحة ٨٦٨.

[2] المؤلف: الكنيسة بيت الله، ١٩٧٩، صفحة ٣٧٣-٣٧٩.

الأصحاح الحادي والثلاثون

الحديث الختامي

ختم الرب حديثه مع موسى النبي بتحديد اسمي العاملين للخيمة وكل أدواتها، وأخيرًا أكد له وصية تقديس يوم الرب، وسلمه اللوحين قبل أن ينزل للشعب.

١. العاملون في الخيمة ١-١١.
٢. تقديس يوم الرب ١٢-١٧.
٣. تسليمه اللوحين ١٨.

١. العاملون في الخيمة

بعدما أوصى الله موسى بعمل الخيمة وأدواتها وحدد له تفاصيلها وآراه نموذجًا حيًا ليُقيم الخيمة على مثاله، لم يترك له الحرية في اختيار من يقوم بالعمل وإنما حدد له بصلئيل بن أوري بن حور من سبط يهوذا وملأه من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة، وجعل معه أهولياب بن أخيساماك من سبط دان يسنده في العمل، كما طلب تشغيل كل إنسان حكيم القلب في الشعب. ويلاحظ في هذه الوصية الآتي:

أ. اختار الله أناسًا سبق فأعطاهم حكمة في العمل، وها هو قد ملأهم من روحه بالحكمة والفهم والمعرفة، وهكذا كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [تلتحم حكمة العبد التي وهبه الله له طبيعيًا بالحكمة السماوية التي تسنده في بناء بيت الرب[1].

لم يتجاهل الله الحكمة الطبيعية لأنها هي أيضًا من عنده، بل قدسها بروحه القدوس الذي يسند ويعين.

ب. إن كان الله قد اختار بصلئيل وملأه من روحه... [٣] تأكيدًا بضرورة تدخل الله نفسه في اختيار الراعي، فقد اختار معه أيضًا أهولياب لكي يسنده. وكأن العمل الرعوي يقوم على روح الشركة والحب والمشورة، وليس بروح فردي. فالكاهن أو الخادم، أيًا كانت رتبته، سرّ نجاحه ليس في عمله الفردي وإنما في عمله مع إخوته بالروح الواحد.

[1] *St. Chrys.: Conc. The Statues 17: 11.*

ج. يقول الرب: "وفي قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كل ما أمرتك" [٦]. وكأن الله يعلن لموسى النبي أن يلتزم بتشغيل كل الطاقات، فقد وهب الله وسط الشعب حكماء القلب يسندون الرعاة في العمل الكرازي الرعوي.

د. يلاحظ في كل العاملين أن يدّ الله هي التي تتدخل في اختيار العاملين في كرمه إما بتحديد الأسماء علانية أو بطريقة غير مباشرة بتحديد سمات العاملين. هذا ما أكده السيد المسيح إذ سألنا أن نصلي لكي يرسل رب الحصاد فعلة لحصاده. ولهذا يصرخ الكاهن في كل قداس إلهي (القداس الباسيلي)، قائلاً: "الذين يُفصِّلون معه (أي مع الأب البطريرك) كلمة الحق باستقامة أنعم بهم يارب على بيعتك ليرعون قطيعك بسلام".

٢. تقديس يوم الرب

من بين كل الوصايا والشرائع التي سلمها الله لموسى، اختار الرب هذه الوصية "تقديس يوم الرب" لتكون الوصية الختامية، وقد سبق لنا الحديث عنها في شرحنا الأصحاح العشرين.

هنا نلاحظ قول الرب لموسى: "سبوتي تحفظونها" [١٣]. لم يقل "السبوت" ولا قال "سبوتكم" بل نسبها لنفسه، قائلاً: "سبوتي". فإن كان السبت يعني "الراحة". فإننا بحفظ يوم الرب نستريح نحن فيه، إذ نلتقي بالله سرّ راحتنا الحقيقة، وفي نفس الوقت يستريح الله فينا، إذ يجد له موضعًا في قلبنا، نحن موضوع سروره ولذته. لهذا يدعوها هكذا: "سبوتي"، أي "راحتي".

ترى ماذا تكون هذه السبوت التي نحفظها إلاَّ السيد المسيح نفسه، الذي فيه وحده نجد راحتنا، وفيه يجد الآب راحته. فيه نستريح نحن إذ نجده الصديق والفادي والمخلص الذي يدخل بنا إلى حضن أبيه، وفيه يجد الآب راحته حيث صالحه معنا.

عن السبوت أيضًا يقول: "لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدسكم" [١٣]. فالسيد المسيح هو علامة العهد والمصالحة بيننا وبين الآب، فيه ننعم بالتقديس، إذ هو ربنا وقدستنا. ولهذا السبب كانت العقوبة قاسية للغاية: "من دنسه يقتل قتلاً، إن كان من صنع فيه عملاً تقطع تلك النفس من بين شعبها" [١٤]. من يزدري بالسيد المسيح يحرم من أبديته ويموت إلى الأبد، ويفقد عضويته في الملكوت الأبدي.

ركَّز الرب في هذا الأصحاح على السبت كعهد أبدي [١٦-١٧]، لأنه يخص حياتنا الأبدية.

٣. تسليمه اللوحين

سلم الرب موسى لوحي الشريعة اللذين من الحجر والمكتوبين بإصبع الله، أي بالروح القدس[1]، الذي أوحى بالكتاب المقدس كله.

هذان اللوحان ينكسران خلال غضب الإنسان وضعفه ليحل محلهما لوحان جديدان يشيران إلى حلول النعمة عِوَض حرف الناموس، كقول الإنجيلي يوحنا: "لأن الناموس بموسى أُعطيَ أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١).

[1] *St. Augustine: On the Spirit & the Letter, 28.*

الأصحاح الثاني والثلاثون

العجل الذهبي

١. إقامة العجل الذهبي ١–٦.

٢. غضب الله على شعب موسى ٧–١٤.

٣. غضب موسى وكسر اللوحين ١٥–١٩.

٤. سحق العجل الذهبي ٢٠.

٥. تأديب موسى للشعب ٢١–٢٩.

٦. شفاعة موسى ٣٠–٣٥.

١. إقامة العجل الذهبي

كان الشعب في مصر يعبد التيوس ويزني وراءها (لا ١٧: ٧؛ يش ٢٤: ١٤؛ خر ٢٠: ٨)، فاعتادوا أن يعبدوا إلهًا منظورًا مجسمًا أمامهم. وكان وجود موسى النبي قدامهم يقدم لهم على الدوام أعمال الله العجيبة الملموسة قد غطى إلى حين على حاجاتهم إله مجسم قدام أعينهم. لهذا إذ غاب موسى عنهم سألوا هرون، قائلين: "قم اصنع لنا إلهًا[١] يسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه" [١]. إنهم لم يقصدوا تجاهل الله الذي أخرجهم من أرض مصر، لكنهم أرادوا أن يعبدوا خلال العجل[٢] الذي في قلبهم، يظهر ذلك من قول هرون: "غدًا عيد للرب (يهوه)" [٥].

ومع ذلك فإننا لا نتجاهل أن ما صنعوه هو أثر عبادتهم القديمة للعجل، والتي كانت لا تزال في داخلهم، إذ يقول **القديس مار أفرآم السرياني:** [استُبعد موسى عنهم إلى حين حتى يظهر العجل الذي كان قدامهم، فيعبدوه علانية، هذا الذي كانوا يعبدونه خفية في قلوبهم!**[٣]**]. كما قال: [أُخذ موسى عنهم لكي تظهر عبادة الأوثان التي كانت داخلهم[٤]].

---

[١] الترجمة الدقيقة "إلهًا" وليس آلهة.

[2] *Edersheim: Bible History, vol 2, P. 126.*

[3] *Hom 2 on Our Lord 1: 17.*

[4] *Ibid 1: 42.*

والحق إنهم كانوا بلا عذر، فإن كان موسى قد تأخر، لكن أعمال الله خلال موسى لم تتوقف، كان المن ينزل عليهم كل صباح، والصخرة كانت تتبعهم، وعمود النور في الليل يرشدهم وعمود السحاب يظلل عليهم نهارًا... إنهم بلا عذر.

يعطي سفر التثنية تعليلاً آخرًا لهذا الانحراف، وهو اهتمام باللذة الجسدية خلال الأكل والشرب واللهو، إذ يقول: "سمنت وغلظت واكتسبت شحمًا... ذبحوا لأوثان ليست لله... الصخر الذي ولدك تركته ونسيت الله الذي أبدأك" (تث ٣٢: ١٥-١٨).

ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الترف والسكر هما جذبا الشعب إلى عبادة الأوثان[1]. وكما أن "عيسو خلال النهم فقد بكوريته وصار قاتلاً لأخيه"[2]. ويستشهد **القديس جيروم** على قول الكتاب "جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب" [٦] على أثر النهم في إثارة الخطايا قائلاً: [إذ تحدث في البطن تخمة تثور عندئذٍ بقية الأعضاء[3]]، كما يعلق على هذا الحدث قائلاً: [لقد ضاع تعب أيام كثيرة كهذه خلال الشبع لمدة ساعة[4]]، وأيضًا قال: [بجسارة كسر موسى اللوحين إذ عرف أن السكارى لا يقدرون أن يسمعوا كلمة الله[5]].

أخيرًا، فإن هذا الشعب يمثل الطبيعة البشرية الفاسدة التي تُريد أن تقيم لنفسها إلهًا حسب أهوائها. تُريد إلهًا يرضي ضمائرها الشريرة ويترك لشهوات جسدها العنان، ولا تريد صليبًا وآلامًا!

٢. غضب الله على شعب موسى

إذ اختار الشعب لنفسه إلهًا آخرًا حسب أهوائه الشريرة لم يحتمل الرب أن ينسب هذا الشعب لنفسه، فلم يعد بعد يدعوه "شعبي" بل نراه يقول لموسى النبي: "اذهب انزل، لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر" [٧]. ويعلق **العلامة أوريجينوس** على ذلك قائلاً: [كما أن الشعب عندما لا يخطئ يحسب شعب الله، ولكنه إذ يخطئ لا يعود يتحدث عنه كشعب له، هكذا أيضًا الأعياد، عندما تكرهها نفس الله يدعوها أعياد الخطاة، مع أنه عندما قدم الشريعة الخاصة بها دعاها أعياد الرب[6]].

لقد غضب الله على ما بلغ إليه الإنسان، ومع ذلك يفتح الباب أمام موسى ليشفع فيه، إذ يقول له: "رأيت هذا الشعب، وإذ هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني (وحدي) ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم،

---

[1] *St. Chrys. In Matt, hom 57: 5.*
[2] *In Acts, hom 27.*
[3] *Ep. 22: 8.*
[4] *Against Jovan. 2: 15.*
[5] *Ibid.*
[6] *On John 10: 11.*

فأصيرك شعبًا عظيمًا" [٩-١٠]. ففي قوله: "اتركني" يترك له مجالاً للتشفع وإعلان حبه لشعبه، أي ممارسته لعمله الأبوي.

وبالفعل تشفع موسى عن شعبه لدى الله مقدمًا له ثلاث حجج، الأولى يذكر أنه شعبه الذي اهتم به قديمًا فأخرجه بقوة عظيمة ويد شديدة [١١]، والثانية أن العدو يشمت بهزيمة أولاده فيقول: "أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض" [١٢]، والثالثة يذكره بمواعيده لآبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب عبيد الرب، الذين أقسم الله لهم بنفسه أن يبارك نسلهم ويهبهم أرض الموعد [٣].

أمام دالة موسى النبي يقول الكتاب "ندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه" سنترك الآن الحديث عن قلب موسى المحب الأبوي، لكنني أود أن أوضح أن الله ليس كسائر البشر يخطئ فيندم، إنما يحدثنا هنا بلغة بشرية، بالأسلوب الذي نفهمه، حين نقدم توبة نسقط تحت مراحم الله ورأفاته فلا نسقط تحت العقوبة (الشر).

٣. غضب موسى وكسر اللوحين

موسى النبي الذي لم يحتمل كلمات الرب على شعبه فتشفع فيهم حتى ندم الرب عما كان سيفعله بهم إذ نزل إلى سفح الجبل لم يحتمل رؤية الشعب وهو يرقص حول العجل، فحمى غضبه وطرح اللوحين من يديه وكسرهما [١٩]. على جبل المعرفة دخل موسى في الأمجاد وتسلم الوصية الإلهية، لكنه إذ نزل إلى سفح الجبل كسر اللوحين، هكذا يليق بنا أن نبقى دائمًا مرتفعين وصاعدين من مجد إلى مجد، أما النزول عند السفح فيجعلنا نكسر الوصية فنسقط تحت الغضب!

لقد تنبأ بموسى حتى في غضبه، فبكسره للوحين أعلن حال البشرية الساقطة تحت لعنة الناموس بسبب كسرها للوصية، وها هي تنتظر عمل النعمة الإلهية عوض الناموس، كقول القديس يوحنا: "لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١). وقد جاء في رسالة برناباس: [طرح موسى اللوحين عن يديه، وانكسر عهدهما لكي يقوم عهد يسوع المحبوب مختومًا في قلبنا على الرجاء الذي ينبع من إيماننا به[1]].

بكسر اللوحين الحجريين ظهر ثقل الناموس ولعنته على البشرية العاجزة عن تنفيذه، لهذا كان لابد من رفع هذا الحجر أي حرف الناموس القاتل، لتحل محله نعمة السيد المسيح.

هذا ما أوضحه **القديس أغسطينوس** في تفسيره الرمزي لكلمات السيد المسيح: "ارفعوا الحجر" عند إقامة لعازر من القبر، إذ يقول: [ماذا تعني الكلمات "ارفعوا الحجر"؟ إنها تعني: اكرزوا بالنعمة.

[1] *Apis. Of Barnabas 4.*

لأن الرسول بولس يدعو خدمة العهد الجديد خدمة الروح لا الحرف، إذ يقول "لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي" (٢ كو ٣: ٦). الحرف الذي يقتل كالحجر الذي يحطم. لهذا يقول: ارفعوا الحجر. ارفعوا ثقل الناموس، واكرزوا بالنعمة. لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يحيي لكان بالحقيقة يتحقق البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطي الموعد بإيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون[1].

٤. سحق العجل الذهبي

يقول الكتاب: "ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعمًا وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل" [٢٠].

لماذا تصرف موسى هكذا؟

لقد أحرق العجل بالنار وسحقه وذراه على الماء لكي يشرب الشعب من هذا الماء الممتزج بالمسحوق علامة على أن كل إنسان يلتزم بأن يشرب ثمار خطاياه، وذلك كما أمرت الشريعة أن تشرب المرأة المشتبه في أمرها أنها حملت من رجل غير رجلها وليس من شاهد عليها أن تشرب ماء اللعنة المرّ، فإن كانت برئية تلد ولا يصيبها ضرر، وإن كانت قد تنجست يورم بطنها ويسقط فخذها وتصير لعنة وسط شعبها (عد ٥: ١١-٢٨).

ويعلق **القديس أغسطينوس** على تصرف موسى النبي في العجل قائلاً: [رأس العجل هو سر عظيم، إذ هو رأس لجسد أناس أشرار يتشبهون بالعجل في أكلهم العشب، إذ يطلبون الأمور الأرضية كل يوم، لأن كل جسد كالعشب (إش ٤٠: ٦)[2]].

ألقاه (موسى) في النار حتى يزول شكله، ثم سحقه جزءً جزءً حتى يباد قليلاً قليلاً، وألقاه في الماء وقدمه للشعب لكي يشرب. ماذا يعني هذا إلاَّ أن المتعبدين للشيطان قد صاروا جسدًا متمثلاً به؟! وذلك كما أن الذين يعترفون بالمسيح يصيرون جسد المسيح، فيقال لهم: أنتم جسد المسيح وأعضاؤه" (١ كو ٢: ٢٧)[3].

---

[1] *Augustine: On the Gospel of St. John, yr 49: 22.*
[2] *On Ps 62.*
[3] *On Ps.74.*

يرى **القديس أغسطينوس** أن الشعب شرب هذا التمثال بسحقه وتذريته على الماء فاستهلكه، إشارة إلى إبادة جسد الشيطان بواسطة الإسرائيليين، إذ يخرج منهم الرسل الذي يكرزون بين الأمم فيفقدون الشيطان أعضاءه[1].

٥. تأديب موسى للشعب

رأى موسى الشعب وقد تعرَّى بسبب شره، وصار هزءً بين مقاوميه [٢٥]. لقد تشفع عن الشعب قبل أن يرى بعينيه الشر وقبل الرب شفاعته [١٤]، لكنه في نفس الوقت أمر بحزم كل الذين للرب – بني لاوي – أن يقتلوا أخوتهم الذين خارج أبواب خيامهم، فقتلوا في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل [٢٨]. لقد أخطأ الشعب، وكان لابد من التأديب. فالذين دخلوا خيامهم في خجل من خطيتهم نادمين نجوا من السيف، والدليل على ذلك أنهم إذ اجتمعوا بموسى في اليوم التالي قال لهم: "أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة، فأصعد الآن إلى الرب لعلى أكفر خطيتكم" [٢٠]، أما الذين لم يبالوا بما فعلوا وكانوا خارج خيامهم فقتلوا.

٦. شفاعة موسى

طلب الله من موسى أن يتركه ليحمي غضبه عليهم فيقتلهم [١٠] ويصيره شعبًا عظيمًا، ولكن القلب الأبوي رفض أن يترك شعبه – مهما بلغت قسوة قلوبهم – بل تشفع فيهم بقوة[2]، إذ قال: "الآن إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبت" [٣٢]... وبقيت هذه الشفاعة ينبوعًا حيًا يستقي منه الرعاة والخدام الحب الأبوي إلى يومنا هذا. وفيما يلي بعض تعليقات الآباء على هذه الشفاعة:

[قال (الله لموسى) "أصيرك شعبًا عظيمًا" (خر ٣٢: ١٠)، لكنه لم يقبل، بل إلتصق بالخطاة وصلى من أجلهم. كيف أصلي؟ إنها علامة الحب يا إخوتي! كيف صلى؟ لاحظوا أن تصرفه كان كمن يحمل حنان الأم، الأمر الذي أتحدث عنه كثيرًا. لقد هدد الله الشعب الذي دنس المقدسات، لكن قلب موسى اللطيف ارتعب، معرضًا نفسه لغضب الله بسببهم، إذ قال: "يا رب، والآن إن غفرت

---

[1] *On Ps.74.*

[2] يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن الفرصة قد سنحت لموسى ليتخلص من هذا الشعب القاسي العنيد بأمر إلهي، لكنه كراعٍ قديس وأب محب لم يحتمل ولا قبِلَ أن يتخلى عن أولاده الضعفاء ليبحث عن أولاد آخرين. هذا ما يليق براعي النفوس *On St. Johm, hom 13: 1.*

خطيتهم وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبت" [٣٢]. بهذا نظر إلى عدل الله ورحمته في نفس الوقت. فبكونه عادلاً لا يهلك الإنسان البار (أي موسى)، وبكونه رحيمًا يغفر للخطاة[١].

[يا لقوة الحب! يا لكماله الذي يفوق كل كمال!

العبد يكلم سيده بكل حرية، طالبًا العفو عن الشعب أو يهلك مع الجموع[٢].

[يا لعظم كماله، فإنه يود أن يموت مع الشعب ولا يخلص بمفرده![٣].

[يقول: سهل عليّ أن أهلك معهم عن أن أخلص بدونهم!

حقًا إنه حب حتى الجنون، إنه حب بلا حدود!

ماذا تقول يا موسى؟

أما تبالي بالسماوات؟... نعم، فإني أحب الذين أخطأوا في حقي!

أتصلي أن يُمحي إسمك؟ نعم، فإنه ماذا أقدر أن أفعل أمام الحب[٤]؟!].

[لقد نطق بهذا لكونه صديقًا لله، يحمل طابعه (الحب)[٥]!].

[هكذا كان الاهتمام الأول للرجال العظماء النبلاء إنهم لا يطلبون ما لأنفسهم بل كل واحد ما لقريبه. بهذا ازدادوا ضياءً وبهاءً!

لقد صنع موسى عجائب وآيات كثيرة عظيمة، لكن أمر واحد جعله عظيمًا هكذا هو حديثه الطوباوي مع الله قائلاً: "إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحني..."[٦].

[ماذا فعل موسى؟

أليس هذا هو الذي هرب بسبب خوفه من مصري واحد (فرعون) وذهب إلى منفى؟ ومع هذا فإن هذا الهارب الذي لم يحتمل تهديدات إنسان واحد، إذ ذاق عسل الحب بكل نبل ودون التزام من أحد تقدم ليموت مع محبوبيه قائلاً: "إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحني من كتابك الذي كتبت" [٣٢][٧].

[هكذا هي أحشاء القديسين، أنهم يحسبون الموت مع أولادهم أعذب من الحياة بدونهم[٨]].

---

[1] *St. Augustine: Sermons on N.T. Lessons, 38: 24.*
[2] *St. Clement of Rome: Ep. 1: 53.*
[3] *St. Clem. Alex.: Strom 4: 19.*
[4] *Chrys,: In Eph, hom 7.*
[5] *Chrys.: In Rom. Hom 27.*
[6] *Chrys.: In 1 Cor, hom 25.*
[7] *Chrys.: In 1 Cor, hom 34.*
[8] *Chrys.: Conc. The Statues hom 3: 2.*

يرى الآباء أيضًا أن موسى النبي كان متأكدًا من حب الله الذي يقبل شفاعته ولا يعرض حياته للموت، فيقول **القديس أغسطينوس:** [إذ عرف أنه يفعل ذلك أمام الرحيم الذي لن يمحِ إسمه قط إنما يغفر لهم من أجله[1]]. ويقول **القديس أمبروسيوس:** [لم يمحِ الله اسمه، بل فاضت عليه النعمة، إذ لم يوجد فيه شر[2]].

خلال هذا العمل صار موسى مثلاً حيًا للحب والوداعة والحلم حتى أن **القديس يوحنا الذهبي الفم** يرى في ظهوره مع إيليا عند تجلي السيد المسيح أمام تلاميذه، كان إعلانًا عما يجب أن يكون عليه التلاميذ من سمات فيحملون وداعة موسى وحلّمه الذي صرف غضب الله عن شعبه، وحزم إيليا وغيرته الذي طلب أن تحلّ المجاعة ثلاثة سنين ونصف للتأديب.

أما عن فاعلية شفاعة موسى في شعبه فيعلق عليها **القديس يوحنا الذهبي الفم** قائلاً: [حقًا إن صلوات القديسين لها قوتها العظيمة بشرط توبتنا وإصلاحنا لنفوسنا. فإنه حتى موسى الذي أنقذ أخاه وستمائة ألف رجل من غضب الله لم يستطِع أن يخلص أخته[3]].

وفي حديث **القديس جيروم** عن شفاعة القديسين يقول: [إن كان رجل واحد أي موسى كسب صفحًا من الله عن ستمائة ألف رجل حرب، واستفانوس الشهيد المسيحي توسل طالبًا المغفرة عن مضطهديه، فهل عندما يدخل هؤلاء بحياتهم إلى المسيح تكون قوتهم أقل من هذا؟![4]].

أخيرًا، مع قبول شفاعة موسى للشعب يقول الله لموسى: "والآن اذهب اهدِ الشعب إلى حيث كلّمتك. هوذا ملاكي يسير أمامك، ولكن في يوم افتقادي أفتقد منهم خطيتهم" [٣٤]، فضرب الرب الشعب، لأنهم صنعوا العجل [٣٥].

لقد قبل شفاعة موسى النبي فلا يفنيهم، بل يعطي العون حتى تتم وعوده مع الشعب، لكنه ليس بدون شرط، فإنهم إذ قبلوا الخطية حين يفتقدهم بالخلاص أيضًا يفتقد فيهم الخطية أي يؤدبهم، لذلك ضربهم بالتأديب حتى يعود ويعلن عمله الخلاصي في حياتهم.

حب الله أو رحمته لا تتعارض مع عدله، إن كان يغفر لكنه لا يقبل الاستهتار ولا يتحد مع الإنسان وهو بعد في خطيته. ولعله قصد بقوله "أفتقد فيهم خطيتهم" إشارة إلى دفعه ثمن الخطية وقبوله الموت عنهم في يوم افتقاده لهم على الصليب، حتى يعبر بهم أرض الموعد الحقيقية.

---

[1] *St. Augustine: On Ps. 78.*
[2] *St. Ambrose: On the Holy Spirit 3: 10.*
[3] *St. Chry.: In Matt, hom 5: 7.*
[4] *St. Jweome: Against Vigilantius, 6.*

الأصحاح الثالث والثلاثون

تجديد العهد

سقوط الشعب وعبادته للعجل الذهبي لم يكن بالأمر الهيِّن، لذا رأينا الله يسرع بإنزال موسى إليهم مصرحًا له أن يتركه ليفنيهم، فتشفع موسى لديه، وإذ عاد موسى إلى أسفل الجبل رأى الشعب ساقطًا في الخطية كسر اللوحين وقام بتأديب الشعب بمرارة، ثم عاد يشفع فيهم من جديد طالبًا إما أن يخلص مع شعبه أو يهلك هو معه، وقبل الرب الشفاعة... وكان لابد من الدخول في مناقشات جديدة تنتهي بتجديد العهد الذي كسرّ الشعب بخطيته، وتجسم في كسر اللوحين. هذا ما نراه في الأصحاحين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين.

وقد شمل الأصحاح الثالث والثلاثون الآتي:

١. **عتاب إلهي مع الشعب** ١–٦.

٢. **مسكن موسى كخيمة اجتماع** ٧–١١.

٣. **استعطاف الله** ١٢–١٧.

٤. **الصدقة الإلهية** ١٨–٢٣.

١. عتاب إلهي مع الشعب

لقد قبل الله شفاعة خادمه موسى، وأكد له أنه يبقى أمينًا بالرغم من عدم أمانة الناس، إذ يقول له: "اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدته من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها" [١]. إنه يحقق وعوده حسبما تعهد مع آبائهم، لكنه يغيِّر طريقة تحقيقها، إذ نلاحظ في حديثه:

أ. لا زال يحمل ألمًا من جهة هذا الشعب، فلا يدعوه "شعبي" ولا يتحدث بلغة الصداقة الأولى... ربما لكي لا يستسهل الشعب الخطية، ويستغل محبة الله ومراحمه.

ب. لا يعود يحلّ في وسطهم بنفسه، إذ يقول: "وأنا أرسل أمامك ملاكًا... فإني لا أصعد في وسطك لأنك شعب صلب الرقبة، لئلا أفنيك في الطريق" [٣]. أنه يرسل "ملاكًا" للدفاع عنهم ومساندتهم مع إرشادهم، وهذا غير الملاك الذي تحدث عنه في الأصحاح الثالث والعشرون الذي هو الأقنوم الثاني إذ يقول "لأن اسمي فيه" (٢٣: ٢١). فإن الله قد انسحب من وسط الشعب، لأنه أي

شركة بين الله والإنسان صلب الرقبة (٣: ٥). الله لا يقبل ولا يمكن أن تتحق الشركة هكذا، والإنسان أيضًا لا يحتمل، إذ يقول: "قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة؛ إن صعدت لحظة واحد في وسطكم أفنيكم" [٥]؛ وكأنه من رحمة الله عليهم ألاَّ يصعد في وسطهم وهم بعد في خطيتهم!

ج. فتح الرب باب الرجاء أمام موسى والشعب بحديثه عن التوبة قائلاً: "ولكن الآن أخلع زينتك عنك فأعلم ماذا أصنع بك" [٥]، وكأنه يقول لهم: إخلعوا اتكالكم على ذواتكم، واتركوا شهوات جسدكم واعطوني فرصة للعمل في وسطكم!

٢. مسكن موسى كخيمة اجتماع

ناح الشعب ونزعوا زينتهم عنهم [٤-٦] كعلامة لحزنهم المقدس وتوبتهم، لكن الله لم يعد يجتمع مع موسى داخل المحلة التي تنجست بهذه الخطية البشعة والتزم موسى أن يأخذ خيمة وينصبها إلى خارج المحلة بعيدًا، ودعاها خيمة الاجتماع [٧].

هذه ليست خيمة الاجتماع التي أمر الله موسى بصنعها فإنها لم تكن بعد قد صنعت لكنها خيمة موسى الخاصة بعبادته، أي مخدع صلاته، خرج بها بعيدًا عن الشر حتى يلتقي بالله داخلها ويكلمه "وجهًا لوجه كما يكلم الرجل صاحبه" [١١].

هذا لا يعني أن موسى رأى وجه الله، لكن العبارة هنا تعني أن الله كان يحدث موسى مباشرة وبصوت مسموع واضح وليس كما كان مع الشعب إذ يقفون بعيدًا جدًا كلٌ في باب خيمته ويرون عمود السحاب نازلاً عند باب خيمة الاجتماع. لقد دخل موسى خلال حبه لله ولشعبه في صداقة خاصة مع الله. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [إذ كان موسى وديعًا وحليمًا جدًا كما قيل عنه "وكان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (١٢: ١٣)، لهذا كان مقبولاً لدى الله وموضع حبه حتى قيل أنه كان يتحدث مع الله وجهًا لوجه وفمًا لفم كمن يحدث صديقه[1]].

بهذه الخيمة هيأ الله الشعب لخيمة الاجتماع التي يقيمها موسى حسب الأمر الإلهي، إذ كانوا يرون مجد الله عند باب الخيمة، فكانوا يسجدون كل واحد في باب خيمته، بل إنهم صاروا يهابون موسى، فإذا خرج إلى الخيمة يقف كل واحد في باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة [٨]. لقد أدركوا قدسية اللقاء مع الله وقدسية خدام الله!

[1] *St. Chrys.: In Matt, 78: 4.*

وكما تتلمذ يشوع الشاب على يدي موسى خاصة على جبل المعرفة المقدس، إذ رافقه هناك لكنه لم يرتفع معه على قمته (خر ٢٤: ١٣) هنا صار يتلمذه على روح العبادة، إذ يقول "وإذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمه يشوع بن نون لا يبرح داخل الخيمة" [١١]. فالتلمذة لا تقف عن المعرفة ولكن يلزم أن تمتزج بالحياة التعبدية التقوية.

لعل ترك يشوع في الخيمة كان لمساندة موسى أيضًا، فإذا ما خرج موسى من الخيمة للخدمة بقى يشوع في الخيمة يصلي من أجله، وكأن الكرازة والعبادة متكاملان، لا نجاح للخدمة إلاَّ بروح الصلاة والعبادة.

ويرى **الأب أفراهات**[1] أن عدم مفارقة يشوع بن نون للخيمة تعني التزامه بحياة البتولية، فالخيمة في ذلك لم يكن يخدم بها نساء أو تقترب إليها امرأة، فإذا أرادت النساء الصلاة يصلون عند الباب ولا يدخلونها، أما يشوع فبقي في الخيمة يكرس حياته كلها للعبادة غير منشغل حتى بالحياة العائلية.

٣. استعطاف الله

عرف موسى النبي كيف يتعامل مع الله بروح الاتضاع مع دالة الحب والجرأة... كان نهازًا للفرص، لا يترك فرصة إلاَّ ليدخل بالأكثر إلى الأحضان الإلهية يغتصب لنفسه ولشعبه رحمة وحبًا! لهذا يقول الرب نفسه: "ملكوت السموات يُغصَب والغاصبون يختطفونه" (مت ١١: ١٢).

بعد أن غفر الله خطية هذا الشعب الشنيعة، وعاد الله يتحدث مع موسى وجهًا لوجه في خيمة الاجتماع المؤقته خارج المحلة، بدأ موسى يعاتب الرب في جرأة مع اتضاع: "انظر، أنت قائل لي أصعد هذا الشعب وأنت لم تعرِّفني من ترسل معي، وأنت قد قلت عرفتك باسمك. ووجدت أيضًا نعمة في عينيك..." [١٢]. كأن موسى يقول للرب، هل تحتاج أن أستعطفك على شعبك؟ من الذي أرسل الآخر؟! أنت الذي أمرتني بإصعاد هذا الشعب، فهل تتركني؟! لقد قلت لي أنك عرفتني باسمي وإنني وجدت نعمة في عينيك، إذن فلتسمع لي ولا تتركني في القيادة بمفردي.

في دالة يقول لله "انظر" [١٢]، وفي دالة يقول له "أنت قلت عرفتك باسمك" وفي الترجمة السبعينية "عرفتك فوق الكل". الله يعرف الجميع، لأنه عالم بكل شيء، لكن المعرفة هنا ليست الفهم والإدراك إنما معرفة القبول والصداقة، كما يقول الرسول أن الرب يعرف الذين هم له (٢ تي ٢: ١٩)، أما الذين يفعلون الشر فيقول لهم الرب: لا أعرفكم (مت ٧: ٢٣)[2].

---

[1] *Aphraat: Dom. 6: 5 on the Monks.*

[2] *St. Greg. Nyssa: On the Making of Man 20: 1.*

مرة أخرى في دالة الحب الحقيقي يقول له "علمني طريقك لكي أعرفك" [١٣]، فإن كنت أنت كإله قد عرفتني باسمي وأنعمت عليَّ بهذا، فاسمح لي أن أعرف طريق معاملات حبك مع شعبك لكي أعرفك أنا أيضًا! كما تعرفني باسمي، أريد أن أعرفك باسمك ليست معرفة الفهم والإدراك بل معرفة الحب والصداقة!

مرة أخرى في دالة يكرر في حديثه مع الله كلمت "شعبك" [١٣، ١٦]، ثلاث مرات، كأنه يقول له إن كنت تدعوه "الشعب" فهو منسوب لك، وأنت أيها الرب قد خصصته لك، وكل الشعوب تعرف ذلك.

أخيرًا بعد دخوله إلى هذه الدالة العظيمة يقول الرب: "إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا" [١٥]. لن نقبل عنك بديلاً، ولن نسترح بدونك! أمام هذا الحب وهذه الدالة يقول الرب لموسى: "وجهي يسير فأريحك... هذا الأمر أيضًا الذي تكلمت عنه أفعله!" [١٤، ١٧]. من يقدر أن يغتصب قلب الله هكذا حتى يشتاق الله أن يريحه، وما يتكلم به العبد يفعله الخالق؟!

ليتنا في كل عمل وقبل كل تصرف نصرخ مع موسى، قائلين: "إن لم يسِر وجهك فلا تصعدنا من هنا". وجه الله هنا إشارة إلى الأقنوم الثاني الذي تأنس فصار بيننا يقود حياتنا ويصعد بنا إلى أحضان الآب.

٤. الصداقة الإلهية

لم تتوقف طلبات موسى من إلهه؛ حقًا قد عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل أن يخطئ الشعب بعبادته العجل، ووعد الله أن يفعل ما طلبه موسى، ويسير وجهه في وسطهم، لكن موسى يطمع في عطايا الله اللانهائية، فقد سأل في جرأة "أرني وجهك" [١٨].

تشجع موسى فسأل الله، طالبًا منه ما لم يتجاسر أحد من قبل على طلبه إذ التهب قلبه بنار الحب الإلهي أراد أن يرى الله كما هو... ماذ يكون؟! أراد أن يتعرف على ذاك الذي لا يدرك ويرى غير المنظور... فكانت إجابة الرب له هكذا: "أجيز كل جودتي قدامك، وأنادي باسم الرب قدامك، وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم[١]... لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش" [١٩-٢٠].

[١] راجع تفسير هذا القول في الأصحاح التالي (بند ٢).

كأن الله يُجيب موسى: لقد سألت أمرًا أنت لا تحتمله، فأنا لا أبخل على خليقتي، أني أقدم لك كل إحساناتي وخيراتي وأعلن اسمي لك وأتراءف وأرحم، أقدم كل شيء للإنسان، أما وجهي فلا يقدر الإنسان أن يراه ويعيش! إن هذه الرؤيا المجردة الكاملة للاهوت هي فوق كل طاقة بشرية!

في قول موسى "أرني وجهك" إعلان واضح أن معرفتنا لله لا تأتي بحكمة بشرية، إنما بقوة الله، إذ يقول **القديس إكليمنضس الإسكندري:** [اقتنع موسى أن الله لا يُعرَف بالحكمة البشرية... والتزم أن يدخل في الظلام الكثيف (السحاب) حيث كان صوت الله، ليبلغ إلى الأفكار الخاصة بوجود الله غير المدرك ولا منظور. الله ليس في ظلام ولا في مكان، إنما هو فوق المكان والزمان وفوق كل السمات[1]. كما يقول: [يقوله هذا إشارة بكل وضوح أن الله لا يمكن أن نتعلم عنه بواسطة إنسان، ولا أن نعبر عنه بكلمات، لكننا نعرفه خلال قوته[2]].

الله الذي لا يرى يعلن ذاته داخل النفس قدر ما تستطيع أن ترى، لكن جوهر لاهوته لا يقدر أحد أن يعاينه، إذ لا يعرف أحد الآب كما هو إلاَّ الابن (مت ١١: ٢٧؛ يو ٦: ٤٦)، ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن جميع الرؤيا التي تمتع بها الآباء والأنبياء هي من قبيل تنازل الله، معلنًا ذاته قدرما يحتملون، حتى الخليقة السماية بجميع طغماتها ترى الله هكذا. الابن وحده هو الذي يعرف جوهر الآب، وقد تجسد لا ليعلن الجوهر الإلهي إنما ليعلن عن ذاته خلال الناسوت[3].

عندما سأل فيلبس السيد المسيح: أرنا الآب وكفانا، أجابه السيد: "من رآني فقد رأى الآب" (يو ١٤: ٨). كانت إجابة السيد كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [أشبه بهذا: يستحيل عليك أن تراه أو تراني. لأن فيلبس ظن أنه يعرف الله خلال النظر، وحسب نفسه أنه قد عرف المسيح برؤيته له، فأراد أن يعرف الآب هكذا. لكن يسوع أوضح له أنه لم يَرَ بعد حتى المسيح نفسه[4]].

إننا نراه هنا خلال عمله فينا، نتمثل به فنصير خاصته وأصدقاء له، بهذا نعاينه لا في جوهر لاهوته لكن خلال علاقة الحب والشركة معه. يقول **القديس إكليمنضس الإسكندري:** [من الواضح أنه لا يقدر أحد في هذه الحياة أن يدرك الله بوضوح، لكن أنقياء القلب يعاينون الله (مت ٥: ٨)، إذ يبلغونه خلال الكمال النهائي[5]].

---

[1] *Strom 2: 2.*
[2] *Strom 5: 11.*
[3] *In Joan, hom 15: 1.*
[4] *In Joan, hom 74: 1.*
[5] *Strom 5: 1.*

سبق أن تعرضنا لموضوع رؤية الله بأكثر توسع في كتابنا "القديس يوحنا الذهبي الفم" طبعة ١٩٦٨، الفصل الخاص بأفكاره ولاهوتياته.

أخيرًا أجاب الرب موسى سؤاله بقوله: "هوذا عندي مكان، فتقف على الصخرة، ويكون متى اجتاز مجدي إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يُرى" [٢١-٢٣].

هذا الحديث كما يقول **القديس أمبروسيوس** يُشير[1] إلى التجسد الإلهي، فقوله "هوذا عندي مكان"، كأنما يعني، لقد حققت طلبك بالقدر الذي تحتمله، فإني أحملك إلى سرّ التجسد فتقف على الصخرة، أي ترتكز على السيد المسيح (الصخرة الحقيقية). أما قوله تنظر ورائي فيُشير إلى نهاية الأزمنة حيث يجتاز الله على العالم معلنًا حبه فنرى الله خلال التجسد الإلهي، كمن هو في سترة يد الله (المسيح) يرى مجد اللاهوت (في نقرة من الصخرة)، فيقول مع الرسول يوحنا: "ورأينا مجد مجدًا كما لوحيد من الآب" (يو ١: ١٤).

وللقديس باسيليوس تفسير روحي لإجابة الرب، إذ يقول: [ماذا يعني بقوله عندي مكان سوى الرؤيا في الروح؟ التي لما صار موسى فيها استطاع أن يرى الله ظاهرًا له بطريقة تمكنه من التعرف عليه. هذا هو المكان الخاص بالعبادة الحقيقية، فقد قال: "احترز من أن تصعد محرقاتك في كل مكان تراه، بل في المكان الذي يختاره الرب" (تث ١٢: ١٣). إذن ما هي المحرقة الروحية؟ ذبيحة التسبيح. في أي مكان نقدمها إلاَّ في الروح القدس؟! ممن تعلمنا هذا؟ من المسيح نفسه القائل: "الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق" (يو ٤: ٢٣). ولما رأى يعقوب هذا المكان قال: "حقًا إن الرب في هذا المكان" (تك ٢٨: ١٦). الروح هو مكان القديسين، والقديسون هم مكان خاص بالروح، إذ يقدمون أنفسهم لسكن الله ويسمون هيكل الله. وذلك كما يتحدث بولس عن السيد المسيح قائلاً إنه يتكلم في حضرة الله، كذلك يتكلم في الروح بالأسرار والروح يتكلم أيضًا فيه[2].]

[1] *St. Ambrose: On the Holy Spirit 3: 5.*
[2] *St. Basil: On the Holy Speirit, 62.*

الأصحاح الرابع والثلاثون

تجديد العهد (يتبع)

١. لوحان آخران للعهد ١-٤.
٢. نزول الرب وحديثه مع موسى ٥-١٠.
٣. شرطا التجديد ١١-٢٦.
٤. صوم موسى ٢٧-٢٨.
٥. لمعان وجه موسى ٢٩-٣٥.

١. لوحان آخران للعهد

في المرة الأولى قدم الله اللوحين منحوتين ومنقوشة الوصايا عليها، لكن في هذه المرة طلب الله من موسى أن ينحت اللوحين مثل الأولين، ويكتب الله عليهما. لقد جدد الله العهد مع شعبه الساقط، لكن الشعب فقد اللوحين اللذين من عمل الله.

٢. نزول الرب وحديثه مع موسى

لقد حقق الله وعده لموسى: "ويكون متى اجتاز مجدي..." (٣٣: ٢٢)، إذ نراه هنا قد "اجتاز الرب قدامه" [٦]، وأعلن الرب عن طبيعته أنه "إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف، غافر الإثم والمعصية والخطية، ولكنه لن يبرئ إبراءً، مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع" (٦: ٧).

إنه يحقق أيضًا وعده: "أنادي باسم الرب قدامك، وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم" [١٩]. لقد أوضح ماذا يعني أنه يتراءف على من يتراءف ويرحم من يرحم، إنها ليس كما تبدو لأول وهلة إن الله لديه محاباه يرحم من يشاء حتى وإن كان غير تائب، ويقسو على من يشاء حتى وإن كان تائبًا! إنما أحكامه فوق الفكر البشري، هو يرحم متى رأى الإنسان قدم توبة، أو مشتاقًا إلى التوبة. هوذا الآن يعلن رحمته بتجديد العهد، لكن ليس بغير عدل إنما بعد أن قدموا توبة صادقة، ونزعوا عنهم زينتهم (٣٣: ٦) وناحوا (٣٣: ٤).

قوله "أرحم من أرحم" تشبه قول الرسول بولس: "أنا غرست وأبولس سقى لكن الله كان ينمي" (١ كو ٣: ٦). حقًا الله هو الذي يهب النمو لكرمه أي الكنيسة، لكن هل يعمل الله من غير أن يغرس

الرعاة ويسقوا الكرمو؟! أو هل يتوقف الرعاة عن العمل لأن الله هو الذي ينمي؟! هم يبذلون ما في استطاعتهم لكن لا حياة بدونه! هكذا نحن نقدم التوبة لكن لا رحمة من أجل برّ فينا إنما من أجل الله الذي يرحم من يرحم. وكما يقول **القديس أغسطينوس:** [من يظن أن في الله ظلمًا لكونه يؤدب تأديبًا عادلاً على من يستحق ذلك أو يطيل أناته ورحمته... فهو غبي[1]].

استخدم الرسول بولس هذه العبارة في رسالته إلى أهل رومية، إذ يقول: "فماذا نقول؟! ألعل عند الله ظلمًا؟! حاشا. لأنه يقول لموسى إني أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف، فإذًا ليس من يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم" (رو ٩: ١٤-١٦). ماذا يعني هذا، هل أننا لا نشاء ولا نسعى لأنه هو الذي يرحم أو يقسو كما يشاء؟! يستحيل. لكن يُريد الرسول أن يؤكد أن رحمة الله مجانية وحبه من أجل طبيعته، أنه يهب الذين يشاءون التوبة ويسعون إليه لكنه ليس من أجل حبه ورحمته وخلاصه المجاني. وقد أراد الرسول في هذا الأصحاح أن يوضح إن كان الرب قد قبل شعب إسرائيل ورحمه قديمًا فليس له فضل في ذلك، وإن كان الأمم قد اشتهوا الخلاص وآمنوا أيضًا ليس لهم فضل، الله الذي يرحم إسرائيل قبلاً يرحم كل الأمم حاليًا، فليس لإسرائيل أن يعترض!! فقد سبق وتنبأ هوشع النبي بلسان الرب قائلاً: "سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة" (رو ٩: ٢٥)، ليس على حساب الشعب القديم وإنما لأن الشعب القديم قد رفض والأمم قبلوا![2].

أما قوله أنه يفتقد إثم الآباء في الأبناء، فقد شرحناه قبلاً أثناء الحديث عن الوصية الأولى (أصحاح ٢٠).

إذ سمع موسى صوت الرب "أسرع وخرّ إلى الأرض وسجد" [٨]، مقدمًا الخضوع والتوبة نيابة عن الشعب كله فجدد الرب العهد قائلاً: "ها أنا أقطع عهدًا..." [١٠].

٣. شرطا التجديد

إذًا يقطع الرب عهدًا مع الشعب بعد سقوطه في عبادة الأوثان قدم لهما شرطين أساسيين:

أ. شرط سلبي: هو تحطيم الخطية بكل صورها، إذ يقول "احترز من أن تقطع عهدًا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخًا في وسطك، بل تهدمون مذبحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم، فإنك لا تسجد لإله آخر، لأن الرب اسمه غيور. إله غيور هو...". وكما قلنا قبلاً

[1] *Enchiridion 98.*

[2] سأعود لشرح هذا الأمر بأكثر تفصيل في شرحنا لرسالة بولس الرسول إلى أهل رومية إن شاء الرب.

لم يكن ممكنًا للشعب أن يميز بين الخطية والخطاة، فإبادة كل ما يتعلق بالخطاة كان رمزًا لإبادة الخطية في حياتنا.

ب. شرط إيجابي: لا يكفي الهروب من الشر، ولكن الجانب الإيجابي ضروري في العهد، كحفظ الأعياد وتقديم الأبكار وتقديس يوم الرب... الأمور التي تلهب قلب الإنسان بنار محبة الله، تعطيه فرحًا وراحة! وقد سبق الحديث عن هذه الأمور.

٤. صوم موسى

امتزج العهد بالصوم، إذ "كان هناك عند الرب أربعين نهارًا وأربعين ليلة لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماءً" [٢٨].

إذ كان عند الرب لم يحتاج إلى خبز أو ماء، إذ كان الرب هو شعبه وسرّ ارتوائه. وقد رأينا قبلاً أن رقم ٤٠ يُشير إلى الحياة الزمنية، وكان الإنسان في تمتعه بلذة الوصية والشركة مع كلمة الله يلزم أن يقضي حياته بعيدًا عن حياة الترف.

٥. لمعان وجه موسى

إذ وقف موسى أمام الله صار "جلد وجهه يلمع في كلامه معه" [٢٨]، الأمر الذي لم يحدث طوال السنوات السابقة، أثناء لقائه معه خلال العليقة الملتهبة أو عند تسلم الوصايا العشر في المرة الأولي أو الشريعة. وكأن الله أراد أن يكافئه في هذه المرة لقاء حبه الشديد لشعبه، فإن كان بالحب قبل أن يُمحى اسمه من الكتاب الأبدي، فإنه بالحب صار وجهه يضيء وهو بعد على الأرض! هذا هو بهاء حياة الحب الحقيقية ومجدها!

يرى **القديس إكليمنضس الإسكندري** في لمعان وجه موسى رمزًا للإنسان الغنوسي أي صاحب المعرفة الحقيقية العملية، فإنه يتمجد هنا على الأرض كما حدث لموسى، فيحمل جسده سمات النفس البارة[1]. يرى **العلامة ترتليان** في هذا الحدث إعلانًا لعمل الله في القيامة، فإن كان موسى هو بعينيه قد تمجد حتى لم يستطع الشعب أن ينظر إلى وجهه المضيء، هكذا يكون حالنا في القيامة[2].

أما البرقع الذي وضعه موسى حين كان يتحدث مع الشعب حتى يقدر أن يقف بينهم ويحدثهم، فهو ذاك الذي أزاله السيد المسيح بنوالنا نعمته (٢ كو ٣: ١٣-١٤)، وكما يقول القديس بولس أن

[1] *Strom 6: 12.*
[2] *In Exod, hom 12: 4.*

البرقع لا يزال موجودًا لدى اليهود على قلوبهم غير المؤمنة (٢ كو ٣: ٧)، لهذا لا يستطيعوا إدراك أسرار الناموس وروحه الخفي!

يتحدث **العلامة أوريجينوس** عن هذا البرقع قائلاً:

[إن قرأنا بإهمال بلا غيرة للفهم أو الإدراك يكون الكتاب كله مُغطى بالبرقع حتى الأناجيل والرسائل[1].]

[يأتي بعضكم بعد القراءة مباشرة، والبعض لا يناقش ما يسمعه، ولا ينطق به، هؤلاء لا يتذكرون وصايا الناموس الإلهي القائلة: "إسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك" (تث ٣٢: ٧). والبعض لا ينتظر حتى نهاية القراءة في الكنيسة، وآخرون لا يهتمون إن كانت القراءات قد تليت أم لا... أقول عن هؤلاء أنه عند قراءة موسى ليس فقط لا يوضع برقع بل يوضع حائط وسور في قلبهم[2].]

[لا تكفي الدراسة لمعرفة الكتب المقدسة إنما يليق بنا أن نتضرع إلى الرب ونتوسل إليه نهارًا وليلاً حتى يأتي الحمل الذي من سبط يهوذا ويمسك الكتاب المختوم ويفك ختومه (رؤ ٥: ٥). هذا الذي لما شرح الكتب لتلميذيه التهب قلباهما فقالا: "ألم يكن قلبنا ملتهبًا فينا إذ كان يشرح لنا الكتب" (لو ٢٤: ٣٢). ليتحنن الرب علينا الآن، إذ قيل: الرب هو روح، وحيث روح الرب هناك الحرية (٢ كو ٣: ١٧) حتى تثبت حرية المعرفة ونخلص من عبودية البرقع، لهذا أضاف الرسول قائلاً: "ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف"... ولكن كيف يمكن أن نجد هذه الحرية إن كنا لا نزال عبيدًا للعالم والمال وشهوات الجسد؟![3]]

---

[1] *On the Resurr. Of the Flesh, 55.*
[2] *Ibid 12: 2.*
[3] *Ibid 12: 4.*

الأصحاحات ٣٥-٤٠

صنع الخيمة وإقامتها وتكريسها

قدمت لنا هذه الأصحاحات (٣٥-٤٠) صورة تفصيلة لعمل الخيمة وإقامتها وتكريسها حيث أعلن الله مجده فيها، وقد سبق لنا الحديث عن الخيمة وأدواتها (ص ٢٥-٢٧، ٣٠-٣١)، لذا سأكتفي هنا بالملاحظات البسيطة التالية:

١. لماذا ذكرت تفصيلات الخيمة بإسهاب مرة أخرى؟

أ. أراد الكتاب المقدس أن يؤكد أن الصناع قد التزموا بالدقة الشديدة في عمل الخيمة وكل أدواتها حسب المثال الذي أمر به الله موسى. فإن الله الذي يهتم بإقامة مسكن روحي في داخلنا يُريد فينا الدقة في تنفيذ الوصية.

ب. تسجيل أعمال الطاعة التي قام بها هذا الشعب لتصير جزءً حيًا من كلمة الله، إنما يعلن لنا أننا – خلال أعمال الطاعة – تصير حياتنا مسجلة في سفر الحياة ويُكتب لنا الخلود.

٢. التقدمات

رأينا قبلاً قول الكتاب "خذوا من عندكم تقدمة للرب" (٣٥: ٥)، إنها قد حملت تقدمة داخلية، فيقدم الإنسان حياته وقلبه ومشاعره وفكره... لهذا تنوعت التقدمات لكننا لا نجد فيها "رصاصًا" لأنه يُشير للخطية، إنما نجد الذهب والفضة والنحاس... حتى شعر الماعز وجلود الكباش والتخس التي تُشير إلى حياة الإماتة وضبط شهوات الجسد.

يؤكد الكتاب: "جاء الرجال مع النساء كل سموح القلب..." هذه الشركة في العطاء تُشير إلى اشتراك النفس مع الجسد، والفكر مع العاطفة، أي تقديس الإنسان كله كوحدة واحدة. وكما يقول **العلامة أوريجينوس:** [النساء هن صالحات يُطِعن رجالهن، بمعنى أن الجسد صالح لا يتمرد على الروح بل يطيعها وينسق العمل معها[1]].

كما أن الجسد يمكن أن يحطم النفس بمقاومته لها خلال الشهوات الشريرة، فيحرم الاثنان معًا من الأمجاد الإلهية، هكذا بخضوعه يعمل مع النفس تحت قيادة السيد المسيح بواسطة روحه القدوس

[1] *In Exod hom 13: 5. Prudentius.*

لينالا معًا الإكليل السماوي. وكما يقول **العلامة أوريجينوس** أنه إذ يتم التنسيق بين النفس والجسد والوحدة بينهما في العمل الروحي يسكن الله في الإنسان كقول الرب: "إن اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون في وسطهم" (مت ١٨: ١٩).

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجد أيضًا في هذا العمل صورة حية للكنيسة الحية التي يعمل فيها الرجال مع النساء ويشترك الشيوخ أيضًا... الكل يقدم شيئًا، ليس من خاملٍ ولا من عقيم فى أعضاء جسد السيد المسيح.

تخصص الرؤساء في تقديم حجارة الجزع وحجارة الترصيع للرداء والصدرة وتقديم الطيب والزيت للضوء ولدهن المسحة وللبخور العطر [٢٧-٢٨]، هؤلاء الرؤساء يشيرون للعمل القيادي لذا قدموا الحجارة التي تحدثنا عنها قبلاً والتي تُشير إلى حمل الشعب على الكتفين والصدر للدخول بهما إلى هيكل الرب بروح أبوي، نحمل مسئوليتهم ونصلي عنهم! هؤلاء يملأون أيضًا السراج بالزيت حتى تضيئ حياتهم العملية بنور الإيمان العملي الحيّ فيشهدوا لله أمام الجميع، ويقدموا دهن المسحة لتكون أعمالهم ممسوحة بالروح القدس، أما البخور والعطور فلأن سرّ نجاحهم هو "الصلاة الدائمة" وتقديم حياتهم ذبيحة حب رائحة بخور زكية لدى الله.

٣. الحكمة في العمل والتبرع

يلزمنا إذ نملك مواد الخيمة أن تكون لنا الحكمة في بناء الخيمة، وكما يقول **العلامة أوريجينوس**: [ماذا ينفعك لو أنك ملكت هذه المواد ولا تستطيع أن تستعملها، وتجهل إبراز قيمتها في الوقت المناسب وبالطريقة اللائقة؟! لهذا يليق بنا أن نجاهد لنصير حكماء، لكي نقدر أن نستخدم الأشياء التي نتعلمها من الكتب المقدسة في حينها، ونضعها في مكانها المناسب، فنبني بها مسكن الله ونزينه[١]].

٤. التبكير في العطاء

كان الشعب يقدم عطاياه كل صباح (٣٦: ٣)، والصناع يقدمون أعمالهم، ليس كحماس مؤقت ولكن بروح مثابر دائم حتى صار هناك فيض فوق الحاجة. هذه صورة الحياة العاملة التي تقدم للرب حياتها الداخلية وأعمالها كل صباح، أي في وقت مبكر، ولا تنتظر لتقدم للرب ما يتبقى منها في آخر

---

[١] عظة ١٣: ٧.

(كثير من كلمات العلامة أوريجينوس في تفسيره لسفر الخروج قامت بترجمتها الأخت المباركة عايدة حنا بسطا).

النهار. إنها تعطيه الأولوية في كل حياتها، الله أولاً وقبل كل إنسان وقبل كل عمل! لهذا تقول الحكمة (الرب): "أنا أحب الذين يحبونني والذين يبكرون إليَّ" (أم ٨: ١٧). ويقول المرتل: "يا الله إلهي أنت. إليك أبكر. عطشت إليك نفسي، يشتاق إليك جسدي في أرض ناشفة ويابسة بلا ماء لكي أبصر قوتك ومجدك كما قد رأيتك في قدسك" (مز ٦٣: ١-٢).

تقديمهم عطاياهم في الصباح لا يعني فقط أنهم يقدمون من أعوازهم، لكنهم أيضًا يقدمون بفرح وابتهاج بغير تردد ولا تأجيل، وكأنهم يتمثلون بمريم المجدلية التي خرجت في الصباح الباكر تحمل أطياب الحب لتلتقي بالسيد المسيح القائم من الأموات.

٥. تدشين الخيمة (ص ٤٠)

إذ أطاع الشعب أوامر الله بكل دقة أُقيمت الخيمة، وتقبلها الله الذي تسعه السموات والأرض لتكون مسكنًا له وسط شعبه!

كان يومًا مفرحًا إذ سيم الكهنة ودشنت كل الخيمة وأدواتها "ثم غطت السحابة خيمة الإجتماع وملأ بهاء الرب المسكن، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الإجتماع، لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن" [٣٤-٣٥]. هنا موسى بكل ما بلغ إليه من دالة لدى الله عجز عن الدخول إلى الخيمة لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن، وكأنه أراد أن يعلن لشعبه أنه قدم الرمز كاملاً وترك الطريق للابن الوحيد الذي في حضن الآب، وهو وحده الذي يدخل قدس الأقداس، يحملنا فيه لننعم بسحابة الروح القدس التي تملأ المسكن وندخل به إلى بهاء الرب وشركة أمجاده إلى الأبد.

المحتويات

تقديم ٥
مقدمة السفر ٦
أقسام السفر ١٥

الباب الأول: أحداث الخلاص في مصر (١-١٢) ١٦
الأصحاح الأول: الحاجة إلى مخلص ١٧
الأصحاح الثاني: إعداد موسى للخدمة ٢٤
الأصحاح الثالث: العليقة المتقدة نارًا ٢٩
الأصحاح الرابع: موسى يلتقي بشعبه ٤٠
الأصحاحان ٥-٦: لقاء مع فرعون ٤٩
الأصحاحات ٧-١٠: الضربات العشر ٥٣
الأصحاحان ١١-١٢: الفصح ٦٣

الباب الثاني: من مصر إلى سيناء (١٢: ٣٧-١٩: ٢) ٨٠
الأصحاح ١٢ (تابع): خروج الشعب ٨٢
الأصحاح الثالث عشر: تقديس البكر ٨٤
الأصحاح الرابع عشر: عبور البحر الأحمر ٨٩
الأصحاح الخامس عشر: تسبحة النصرة ٩٥
الأصحاح السادس عشر: تجربة الطعام ١٠٣
الأصحاح السابع عشر: تجربة الشراب ١٠٩
الأصحاح الثامن عشر: مقابلة يثرون لموسى ١١٥

الباب الثالث: في سيناء (١٩: ٣ - ص ٤٠) ١١٩
الأصحاح التاسع عشر: الاستعداد للشريعة ١٢١
الأصحاح العشرون: الوصايا العشر ١٢٩
الأصحاحات ٢١-٢٣: الشريعة ١٥٠
الأصحاح الرابع والعشرون: العهد الإلهي والتحرك الكنسي ١٦٥
الأصحاح الخامس والعشرون: التابوت والمائدة والمنارة ١٦٩

الأصحاح السادس والعشرون: خيمة الاجتماع ١٨١
الأصحاح السابع والعشرون: المذبح النحاسي ١٨٩
الأصحاح الثامن والعشرون: الملابس الكهنوتية ١٩٢
الأصحاح التاسع والعشرون: تقديس الكهنة ٢٠٠
الأصحاح الثلاثون: مذبح البخور والمرحضة ٢٠٦
الأصحاح الحادي والثلاثون: الحديث الختامي ٢١٠
الأصحاح الثاني والثلاثون: العجل الذهبي ٢١٣
الأصحاح الثالث والثلاثون: تجديد العهد ٢٢٠
الأصحاح الرابع والثلاثون: تجديد العهد (يتبع) ٢٢٦
الأصحاحات ٣٥-٤٠: صنع الخيمة وإقامتها وتكريسها ٢٣٠

صدر عن هذه السلسلة

العهد القديم

١. التكوين
٢. الخروج
٣. اللاويين
٤. العدد
٥. التثنية
٦. يشوع
٧. القضاة
٨. راعوث
٩. صموئيل الأول
١٠. صموئيل الثاني
١١. ملوك (جزءان)
١٢. أخبار الأيام الأول
١٣. أخبار الأيام الثاني
١٤. عزرا
١٥. نحميا
١٦. يهوديت
١٧. أستير
١٨. أيوب (٤ أجزاء)
١٩. المزامير
٢٠. الأمثال (٣ أجزاء)
٢١. الجامعة
٢٢. نشيد الأناشيد
٢٣. حكمة سليمان
٢٤. إشعياء
٢٥. إرميا (جزءان)
٢٦. مراثي إرميا
٢٧. حزقيال
٢٨. دانيال
٢٩. هوشع
٣٠. يوئيل
٣١. عاموس
٣٢. عوبديا
٣٣. يونان
٣٤. ميخا
٣٥. ناحوم
٣٦. حبقوق
٣٧. صفنيا
٣٨. حجي
٣٩. زكريا
٤٠. ملاخي

العهد الجديد

١. إنجيل متى
٢. إنجيل مرقس
٣. إنجيل لوقا
٤. إنجيل يوحنا (جزءان)
٥. أعمال الرسل (جزءان)
٦. رسالة رومية
٧. كورنثوس الأولى
٨. كورنثوس الثانية
٩. غلاطية
١٠. أفسس
١١. الرسالة إلى فيلبي
١٢. الرسالة إلى كولوسي
١٣. تسالونيكي الأولى
١٤. تسالونيكي الثانية
١٥. تيموثاوس الأولى
١٦. تيموثاوس الثانية
١٧. الرسالة إلى تيطس
١٨. الرسالة إلى فليمون
١٩. الرسالة إلى العبرانيين
٢٠. رسالة يعقوب
٢١. رسالة بطرس الأولى
٢٢. رسالة بطرس الثانية
٢٣. رسائل يوحنا الثلاث
٢٤. رسالة يهوذا
٢٥. رؤيا يوحنا اللاهوتي

يُطلب من

❖ مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة – ت: ٢٤٨٨٢٤٥٤

❖ كنيسة مارجرجس – سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية ت: ٥٩١٩٨٨٨ / ٠٣